جمهوريــة الســودان
وزارة التعليــم العـالي والبحـث العلـمي
جامعــة أم درمــان الإسلاميــة
كليــة الدراســات العليــا
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

جــهود سـيبويــه في التفســير

دراســة مقارنــة في ضــوء أقــوال المفســرين

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعــداد الطالـب: أبو بكـر حسـن مالــن

إشـراف الدكتــور: علــي الأميـن عـوض الله

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال تعالى:

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١ ﴾ الحشر : ٢١

إهداء

إلى روح والدي الحبيب الذي رباني وأرشدني إلـــي طريـــق العلـــم والقرآن. وحثني على كل فضيلة، أسال الله تعالى أن يصبّ على قبره شئآبيب الرحمة والمغفرة، وإلي والدتي التي كان دعاؤها سر نجاحي وحنانها بلســـم روحي، أسال الله تعالى أن يمدّ لها في عمرها ويرزقها العفو والعافية ويعينني على البر بها والإحسان إليها .

وإلى مشايخي وأساتذتي من العلماء الأجلاء، وأصحاب الفضل علـــىّ الذين أضاءوا لي الطريق وكانوا على درب التعليم خير معين، وإلى إخواني وأخواتي وزوجاتي وأولادي أفلاذ كبـــدي، وإلـــى زملائـــي طـــلاب العلـــم المخلصين والباحثين المثابرين الذين عرفوا قيمة العلم فوصلوا ليليهم بنهارهم باذلين في سبيله النفس والنفيس والغالي والرخيص، إليهم جميعاً أهدي هـــذا البحث المتواضع عرفاناً وتقديراً وما هو إلا غيض من فيض، وقليـــل مـــن كثير، عساه يرد، عليهم بعض ما لهم سائلاً ربي أن يتقبله قبولاً حسناً ويجعله من العلم الذي ينتفع به .

شكرُ وتقدير

الشكر أوّلاً وأخيراً لله الشكور المنّان، الذي وفّق وسدّد وأعان، ثم أقدم شكري لجمهورية السودان حكومةً وشعباً وفي مقدمتها جامعتنا العريقة **جامعة أم درمان الإسلامية**، خاصة كلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن، التي تربيت في أحضانها وتلقيت العلم على جلة مشايخها، وتخرجت على أعتابها، ذاك الصرح الشامخ الذي أتاح لي فرصة الالتحاق بها وأقدّم شكري إلى صاحب الفضل الأول عليّ بعد الله في إنجاز هذا البحث المتواضع، المشرف على هذه الرسالة، **فضيلة الدكتور /على الأمين عوض الله**، الذي تفضّل عليّ بتوجيهاته التي لم تنقطع عني طيلة البحث، وقد فتح لي قلبه الرءوف ومنحني خلال تلك الرحلة الطويلة الكثير من وقته الثمين، وزودني بفوائده العلمية الدقيقة، وملاحظاته القيمة العميقة، ونصائحه المفيدة ، وكل ذلك في طلاقة وجه ورحابة صدر أسال الله تعالى أن يبارك له في جميع أموره ويمد له في عمره ويرفع منزلته في الفردوس الأعلى وأعني أيضاً بتسجيل شكري وامتناني للأستاذين الكريمين ركني لجنة المناقشة فضيلة الدكتور /**السر محمد الأمين** – مناقشاً خارجياً، وفضيلة الدكتور/**عثمان الحسن أحمد** – مناقشاً داخلياً لتفضلهما بمناقشة هذه الرسالة وتقييمها، رغم كثرة المشاغل والمسؤوليات فجزاهما الله تعالى عني خير الجزاء على ما بذلا من جهد وكابداهُ من مشقة في قراءة هذه الرسالة، وتصويب ما فيها من الأخطاء فلهما عظيم شكري وامتناني، كذلك أشكر القائمين على أمر المكتبة المركزية في جامعة أم درمان الإسلامية و**جامعة أفريقا العالمية وجامعة القرآن الكريم وجامعة الخرطوم** لما كان لهم من فضل عليّ بحسن تعاونهم معي في توفير مستلزمات البحث من مصادر ومراجع، كذلك أشكر الأخ **العزيز عبد القادر حاشي جمعاله** الذي وقف بجانبي ومد لي يد العون من بداية الدراسة إلى نهايتها جزاه الله خير الجزاء وبارك له في أهله وماله وذريته أسال الله تعالى أن يتقبل منا جميعاً صالح الأعمال وأن يوفقنا السداد وحسن الختام.

مستخلص البحث

موضوع هذا البحث هو (**جهود سيبويه في التفسير – دراسة مقارنة في ضوء أقوال المفسرين**).

تناول الباحث كتاب سيبويه بالبحث فقد وضع الباحث هذا الكتاب أمامه واستخرج الآيات القرآنية التي اجتهد المؤلف في تفسيرها بنفسه أو نقل عن غيره أثناء شرحه لبعض الكلمات اللغوية دون التعرض لما كان في الاستشهادات النحوية ، وليس له علاقة بموضوع البحث .

استفتح البحث بمقدمة موجزة عن نشأة علم التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته ونموّ هذا العلم على أيدي التابعين في القرن الثاني الهجري وتناول في فصله الأول حياة سيبويه ثم أشار البحث إلي أهمية كتاب سيبويه وجهوده الجبارة في التفسير اللغوي واختياره أرجح الأقوال في تفسير كتاب الله تعالي

ثم يأتي الفصل الثاني في المفردات من القران الكريم وتفسير سيبويه لها على الوجه الذي اختاره . وتناول البحث في الفصل الثالث الآيات المشكل تفسيرها وإعرابها . وتناول الفصل الرابع القراءات وتوجيهها عند الإمام سيبويه .

Abstract

This is a comparative study based on the speeches of interpreters of Quran. The study examines the book of the scholar called Sebaya. Then, the researcher has made used of Quranic verses, the author has paid much efforts in its interpretation where, he quotes from others. The author has explained the meaning of words discussing their grammatical aspects and quotations that seem to be irrelevant to the research.

The study has introduced a brief word about the development of the science of interpretation during the era of prophet Mohammed. Interpretation science has developed in the second Hejri century. Chapter one through slight on the biography of Sebayha and the significant book he has written on linguistic interpretation and the probable selection of speech in terms of the interpretation of the Quran.

Chapter two has discussed words interpretation according to Sebayha. Chapters three examines the problematic interpretation of some verses and prosody. Whereas, chapter four examines readings orientation according to Sebayha.

المقدّمـــــة

الحمد لله المتصف بصفات الكمال، المنعوت بنعــوت الجــلال والجمـــال، المنفرد بالعزّة والكبرياء، أحمده على ما ألهم وعلّم من العلم ما لم نعلم .

ومنّ علينا بالإيمان، وشرّفنا بالقرآن المجيد الّذي لا يأتيه الباطل من بــين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

والصلاة والسلام على البشير النّذير، والسّراج المنير خاتم الأنبياء، ونور أهل الأرض والسماء، سيّدنا محمدّ الّذي جعله الله نــورا ومنيــرا، وعلــى آلــه وصحابته الغرّ الميامين.

وبعد فإنّ أولى ما أفنى المكلّف عمره وأعمل فيه خــاطره وفكــره علــم التفسير، فلم يزل العلماء قديما وحديثا يتسابقون ويتشرّفون بخدمته.

ويبذلون فيه جهودهم المتنوّعة ، على اختلاف تخصّصــاتهم واتجاهــاتهم، فمنهم من خدمه بتجويد حروفه وإتقان قراءاته ، ومنهم من توجّــه إلــى توضــيح معانيه واستخراج أحكامه ، ومنهم من تقدّم في لغته وبلاغته وإعرابه .

ومن هؤلاء شيخنا الإمام سيبويه –رحمه الله تعالى– أحد العلماء البــارزين الذين توّجت أسماؤهم سجلّ التاريخ الإسلامي، وقد كانت له القدم الراســخة فــي مختلف أنواع العلوم الإسلاميّة خصوصا في مجال النحو واللغة .

وسفره الجليل المسمّى بــ(الكتاب) استقى منه المفسّرون، فقلما تجد كتابــا من كتب المفسّرين إلا وتجد فيه بحوثه التفسيريّة وتحليلاته النحويّة، ولا غرو في ذلك؛ لأنّ مؤلفه إمام النحاة ورائدهم في عصره، وأبرز أئمّة اللغة في وقتــه، ذاك الذي ذاع صيته وانتشر وارتفع ذكره واشتهر واتفق السلف والخلف على إمامتــه وتفوّقه في تأصيل قواعد اللغة ومن ثمّ كان لكتابه مكانة رفيعة فقد استطاع بغزارة مادّته وإحكام صنعته واتساع شموليّته أن يكشف الغموض عــن كثيــر مــن آي القرآن، ممّا جعلني أتناوله موضوعا لبحثي لأعرض جهوده العظيمة الجبّارة في التفسير اللغويّ. أسأل الله تعالى أن يمنّ علينا بالرّشد والصواب في الدّنيا والآخرة.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

هناك أسباب وعوامل شجّعت ودفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع، من أهمّها ما يلي:

١. الرغبة في دراسة علم التفسير إذ هو أشرف العلوم على الإطلاق لصلته الوثيقة بأشراف كتاب جعله الله نورًا مبيناً، ودستورًا سماويًا شاملا لجميع الحاجات البشرية.

٢. إنّ دراسة التفسير في كتاب سيبويه ليس أمراً سهلاً باعتباره كتاب نحو ولغة إلا أن الباحث وجد فيه أنّ المادّ ة التفسيرية غزيرة متناثرة في ثناياه ، فأحببت أن أبرز الجوانب التفسيريّة اللغويّة في هذا الكتاب .

٣. إثراء التراث الإسلاميّ بخدمة هذا الكتاب

٤. إنه بحث يتعلق بكتاب الله تعالى ، وذاك في غاية من الأهميّة.

٥. مكانة الإمام سيبويه ومنزلته ، وكذلك قيمة كتابه في النحو واللغة.

فهو كتاب يعتبر أنفع كتاب في النحو يحمل في ثناياه تفسيرًا وتحليلاً لكثير من الآيات القرآنية، لكن الباحث لم يتعرض للآيات التي لا تناسب موضوع البحث، فتلك الآيات ودراستها دراسة مقارنة بأقوال المفسّرين يعتبر ذا أهميّة كبيرة .

٦. كشف النّقاب عن نهضة الدّراسات اللغويّة والنّحويّة لخدمة التفسير حيث نهضت فئة من اللغويّين بهذا الجانب .

أهداف البحث:

١. الكشف عن موقف سيبويه في التفسير اللغويّ وتوجيه القراءات بالتفصيل، حيث تبدو من هذا البحث أهميّة كتاب سيبويه من منظور علم التفسير في أنّه يمثّل مرحلة من بواكير الجهود المبذولة في هذا العلم.

٢. إني رأيت الحاجة ماسّة إلى القراءة في كتب التراث القديمة لا سيما كتاب سيبويه فقد نال منذ تأليفه شهرة كبيرة وإقبالا هائلا حتى أصبح أنّه إذا أطلق الكتاب في مجال النحو والعربية لا ينصرف إلا إليه.

٣. إن الأمة الإسلاميّة عرفت سيبويه نحويّا لغويّا فأحببت أن يعرفوه من خلال هذا البحث كأستاذ مفسّر للقرآن؛ لأنّ كتابه يعتبر تسجيلا أمينا بأسلوب العالم الفذّ لما كان يدور في حلقات الدّروس ومجالس العلم في عهد سيبويه، فهو حافل بآراء السابقين من شيوخه وغيرهم حول توجيه كثير من الآيات القرآنيّة.

الدّراسات السابقة للموضوع قديماً:

لا أدّعي السبق في دراسة كتاب سيبويه ، فقد حظي الكتاب بعناية فائقة في العصر القديم والحديث.

الدراســات القديمة:

من أهمها:

١/ شرح السيرافي[١] الذي تقصى أبواب الكتاب وتناول بالشرح عبارات سيبويه، وأنشأ أبوابا جديدة لرؤوس بعض المسائل الواردة في الكتاب، وهو أفضل شروح الكتاب حتى كان يحسد عليه علماء عصره، ويدل على ذلك ما قاله السيوطي[٢] في ترجمة السيرافي: وله من التصانيف: شرح كتاب سيبويه ، لم يسبق إلى مثله وحسده عليه أبو علي الفارسي وغيره من معاصريه. [٣]

---

(١) السيرافي : هو الحسن بن عبد الله بن المرزبان القاضي أبو سعيد السيرافي النحوي ،كان أبو سعيد يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفقه والفرائض . قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد واللغة على ابن دريد ، وقرآهما عليه النحو . وأخذ هو النحو عن ابن السراج ومبرمان ، وأخذا عنه القرآن والحساب . وولي القضاء ببغداد . : وهو إمام الأئمة ، معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة . أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة ، فما وجد له خطأ ، ولا عثر له على زلة ، . صام أربعين سنة أو أكثر الدهر كله. ، بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغات تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٢ / ٥٩ تحقيق محمد أبي الفضل ، الناشر المكتبة العصرية مكان النشر لبنان ، بدون تاريخ (١/ ٥٠٨)

(٢) السيوطي: هو الحافظ عبد الرحمن بن الكمال بن محمد المحقق صاحب المؤلفات النافعة ، ولد في رجب سنة ٩٤٨ تـ – ٩١١هـ انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٩ ١٥ الناشر المكتبة العصرية تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وكتب لنفسه ترجمة حافلة في كتابه(حسن المحاضرة).

(٣) المرجع نفسه نفس الصفحة

٢/ الديباج في جوامع كتاب سيبويه ، تأليف بكر بن محمد أبي عثمان المازني توفي (٢٤٩ هـ).

٣/ الباب الألباب في شرح الكتاب ، تأليف سليمان بن بنين بن خلف النحوي الأديب تـ(٦١٤هـ). [١] ..

٤/ تحصيل عين الذهب في شرح شواهد سيبويه ، تأليف الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى ،ت (هـ ٤٧٦).[٢]

٥/ شرح أبيات سيبويه تأليف إبراهيم بن السري أبو إسحاق الزجاج ت (٣١١هـ).[٣]

الدراسات الحديثة:

فمن أهمها:

١. سيبويه إمام النحاة لعلي النجدي الناصف، مطبعة لجنة البيان العربي، طبع ١٩٧٩م.
٢. عبقري من البصرة ، للدكتور أحمد المخزومي، دار الحرية ،بغداد ١٩٧٢م.
٣. لمحات من تاريخ النحوي العربي بالأندلس في ضوء كتاب سيبويه وشروحه لمحمد خليفة الدناع ، دار الملتقى ، ٢٠٠٣.
٤. سيبويه والضرورة الشعرية ، لإبراهيم حسن إبراهيم ، ١٩٨٣.
٥. الكتاب بين المعيارية والوصفية ، للدكتور أحمد سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩م .
٦. أبنية الصرف في كتاب سيبويه للدكتورة خديجة الحديثي، مكتبة النهضة بغداد الطبعة الأولى ١٩٦٥م .
٧. سيبويه والقراءات دراسة تحليلية معيارية ، لأحمد مكي الأنصاري دار المعارف، ١٩٧٢م.
٨. القياس النحوي في كتاب سيبويه ، صالح محمد ١٩٨٩م.

([١]) بغية الوعاة ، مرجع سابق (١/ ٥٩٧).

([٢]) كتاب سيبويه قديما وحديثا / الدكتور جودة مبرول ، ص(٤٤) الناشر مكتبة الآداب .

([٣]) انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١ / ٤١٢) .

٩. النواسخ في كتاب سيبويه لعبد الوهاب سر الختم أحمد (ماجستير ،جامعة الخرطوم ، كلية الآداب ١٩٦٧م).

١٠ المعارضة الصريحة للقراءات عند سيبويه . أحمد مكي الأنصاري . مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم، العدد ٣ ١٩٧٢م

طبعات الكتاب والتي أعتمد عليها في البحث :

طبع الكتاب طبعات عدة ، منها: [١] ..

أ. طبعة كلكتا سنة ١٨٨٧ م بتصحيح كبير الدين أحمد.

ب. طبعة بولاق سنة ١٨٩٨ م باعتناء محمود مصطفى ، وبهامشها تقريرات من (شرح أبي سعيد السيرافي).

ج. طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م .

د. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ بتحقيق عبد السلام محمد هارون.

ه. طبعة الدار الكتب العلمية، بيروت، سنة ٢٠٠٩ بلد الطباعة لبنان، الطبعة الثانية، بتحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب .

وعلى هذه الطبعة الأخيرة أعتمد، وربما اعتمدت أحيانا على طبعة القاهرة. وهناك بحوث كثيرة كتبت قديما وحديثا حول كتاب سيبويه أرى أن أقتصر على هذا القدر.

وبعد القراءة لأكثر هذه البحوث والوقوف على فهارس الكتب والرسائل الجامعية ظهر لي أنه لا توجد رسالة بهذا العنوان. هذا والباحث يعترف بالفضل للباحثين من القدماء والمحدثين.

وهنا يتمثل الباحث بقول القائل:[٢]

([١]) انظر: مقدمة كتاب سيبويه للدكتور إميل يعقوب ص ٣٢طبعة الدار الكتب العلمية . بيروت سنة ٢٠٠٩.

([٢]) انظر: البيتين من شواهد كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(٣ /٢٠٦)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل سنة النشر ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م مكان النشر لبنان/ بيروت.

والقائل هو: ابن مقبل ، رأى هذا الشاعر محبوبته وهي تبكي ، فتنفّس الصعداء وبكى ، ويعني : أنّ بكاءه وإن وقع الموقع المناسب إلا أنّ الفضل يرجع إليها ؛ لأنها سبقت عليّ بالبكا !!

ولو قبــل مبكاهــا بكيت صبابــة *** بسعدى شفيــت النفس قبل التندم

ولكن بكــت قبلي فهيج لي البكــا *** بكاهــا فقــلت الفضل للمتقــدم

المنهــج المستخدم :

١. لقد سلكت في صياغة هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلــي والتــاريخي، فتتبّعت النصوص التي فسّرها سيبويه في كتابه من أوله إلى آخره سطرًا سطرًا وذلك من خلا ل القراءة المتأنّية للكتاب.

٢. بما أن سيبويه في كتابه لم يعز ولو آية واحدة إلى سورتها أو رقمها فقــد قام الباحث بعزو كل الآيات الكريمة إلى سورها مع أرقامها، ورجّــح الباحــث كون هذا الغزو مع الآية في متنها، ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة ، وذلــك بسبب تشتّت مظانّ تلك الآيات وتقطيع الإمام سيبويه لهــا بحســب الشــواهد اللغوية الأمر الذي يجعل الإنسان محتارا في كيفيّة التعامل مع هذه النصــوص المتناثرة.

٣. قد يقدّم سيبويه حكما من الأحكام النحوية ، ثم يذكر الآية للاستشــهاد بهــا، فيتركها من غير بيان لمعناها؛ لأنه رأى أنها من البديهيات التي لا تحتاج إلــى شرح وتوضيح، فمثل هذه الآية لا أعرج عليها في بحث لأنه لا يتعلــق بهــا موضوع بحثي .

٤. بدأت في دراسة النصوص القرآنية بذكر موقف سيبويه منها وتحليلاته اللغويّة والإعرابيّة وتوجيهاته للقراءات ، ثمّ انتقلت إلى بيان من وافقه أو خالفه مــن المفسّرين، مع التوثيق للاقتباسات وعزو كل قول إلــى قائلــه مــن مصــدره الأصلي، ثمّ أشير إلى الراجح من تلك الأقوال بواســطة النظــر فــي أســباب الترجيح.

٥. قمت بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها الأصليّة من كتب الأحاديث المشهورة، مع التعليق على درجة الحديث من غير الصحيحين .

٦. ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم في داخل البحث إن وجدت لهم ترجمة، ولم أترجم للأنبياء و لصحابة والأئمّة المشهورين. لشهرة تراجم هؤلاء ، وما تكرر ذكره من الأعلام فلا يكرر الباحث ترجمته بل ولا يرى الباحث ضرورة الإشارة إلى محل ترجمته خوفا من الإطالة .

٧. وثّقت جميع المصادر الّتي استقيت منها في البحث، وقد حوى البحث أيضا مجموعة من الفهارس فهرس الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات .

خطــة البحــث:

يشتمل البحث على مقدّمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة .

المقدّمــة: فهي تشتمل على ما يلي:

١. أسباب اختيار الموضوع
٢. أهمية الموضوع
٣. أهداف البحث
٤. المنهج المستخدم
٥. خطة البحث

أما التمهيد:

فهو يشمل على معنى التفسير لغة واصطلاحا،ونشأة التفسير وتطوّره. وأهمية اللغة العربية والنحو في فهم القرآن .

الفصــل الأول

سيــبويه وكتابــه

- المبحث الأول: الحالة السياسية والاجتماعية في عصر سيبويه
- المبحث الثاني : اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته .
- المبحث الثالث: شيوخه وتلامذته وثناء العلماء عليه.
- المبحث الرابع: كتاب سيبويه وثناء العلماء علي كتابه .
- المبحث الخامس: منهج سيبويه في تفسيرا لقرآن والاستشهاد به .

الفصــل الثــاني:

مفــردات مـن القـرآن الكريم وتـفسيـرها عند سيبويــه.

الفصــل الثــالث:

تـفسير سيبويه لما أشكل حكمه وإعرابه من القرآن الكريم .

الفصـل الرابـع :

القـراءات وتوجيهها عند سيبـويـه.

- المبحث الأول : تعريف القراءات.
- المبحث الثاني : نشأة عـلـــــــم القراءات.
- المبحث الثالث : الأحرف السبعة .
- المبحث الرابع : النصوص التي وجّهها سيبويه

الخاتمـة:

فذكرت فيها أهمّ النتائج التي توصّلت إليها خلال البحث والتوصيات والفهارس. فهرس الآيات والأحاديث والآثار والأعلام والمصادر والمراجع والموضوعات.

التمهيــد

- معنى التفسير لغــة واصطلاحاً.
- نشــأة التفســير وتطــوّره .
- أهميّــة اللغــة العربية والنحو في فهم القرآن .

التمهيد
معنـى التفسـير لغـة واصطلاحاً

معنى التفسير لغة:

معنى التفسير لغــة: تفعيل من الفسر وهو البيان، والكشف، والإيضاح، وكشــف المغطّى،[١] و إظهار المعنى المعقول ومنه قيل لما ينبئ عنه البول تفسرة وســمي بها قارورة الماء، والتفسير في المبالغة كالفسر. [٢]

التفسير اصطلاحــاً:

اختلفت عبارات العلماء في تعريفه، وغالبها تدور حول المعنى الذي أراده الله تعالى من كلامه الذي انزله إلينا، ولعل من أحسنها تعريف الإمام الزركشي[٣]: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المــنزل على نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان معانيه واستخراج أحكامه[٤] وقال البغوي[٥] : التفسير: هو الكلام في أسباب

---

[١] الإتقان في علوم القرآن / لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ٢ / ١٧٣ – تحقيق سعيد المندوب، دار الفكر– لبنان ط –الأولى ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

[٢]المفردات في غريب القرآن/ لأبي القاسم الحسين بن محمد تحقيق محمد سيد كيلاني –دار المعرفة لبنان١/ ٣٨٠ ، بدون تاريخ

[٣] الزركشي: هو محمد بن بهادر بن عبد الله فقيه أصولي تركي الأصل ، له من المؤلفات– تشنيف المسامع شرح جمع الجوامع ، والبحر المحيط في أصول الفقه ، والبرهان في علوم القرآن، ولد سنة ٧٤٧ ت ٧٩٤ إنباء الغمر بأنباء العمر(٣ / ١٣٨) دار الكتب العلمية – بيروت ــ لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

[٤] البرهان في علوم القرآن/ للزركشي (١/ ١٣) ط الأولى، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧م، الناشر دار إحياء الكتب العربية ، ثمّ صوّرته دار المعرفة / بيروت لبنان .

[٥] البغوي: هو الشيخ أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي الفقيه المفسر الشافعي الملقب بمحيي السنة صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان، كان سيداً زاهداً قانعاً، يأكل الخبز وحده، فليم في ذلك، فصار يأكله بالزيت، وكان أبوه يصنع الفراء، توفي بمروروذ، ودفن عند شيخه القاضي حسين، أخذ الفقه عنه، وصنف في تفسير كلام الله تعالى، وأوضح المشكلات من قوله صلى الله عليه وآله وسلم، وروى الحديث، ودرس، وكان لا يلقي الدرس إلا على طهارة، وصنف كتباً كثيرة منها: كتاب التهذيب في الفقه، وشرح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، وكتاب المصابيح، والجمع بين الصحيحين، تــ٥١٦هـ. ترجمته في مرآة الجنان http://www.alwarraq.com١ /٤٩٦.

نزول الآية وشأنها وقصتها، فلا يجوز إلا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل. وأصل التفسير من التفسرة وهي: الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض، كذلك المفسر يكشف عن شأن الآية وقصتها. [1].

([1]) معالم التنزيل المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] (١٤٦/١). حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش – الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع ط : الرابعة ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧م.

نشـأة علم التفسير وتطـوّره

نزل القرآنُ الكريم بلسانٍ عربي مبين، وَفْـقَ أسـاليبِ العـرب وطرائـق تعبيرهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُفَسِّر لصـحابته – رضـوان الله عليهم – معانيَ مفرداته وتراكيبه. امتثالا بقوله تعـالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل: ٤٤. وقد جمع الحافظُ السيوطيُّ» في النوع الثمانين من كتاب «الإتقان»[1] روياتٍ كثيرةً تتضمن الأحاديث الواردة في تفسير جملة من الآيات بحسب ترتيبها في المصحف.

وتميَّز الصحابة الذين عاصروا نـزول القرآن الكريم، وشهدوا أسباب هذا النـزول، بالفصاحة والمقدرة الفطرية على فَهْم مواقع كَلِمِه ومعاني نَظْمِه، وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عمَّا أشكل عليهم من تفسيره، ولكنْ لـم يُـدَوَّن شيءٌ ثابت من التفسير في عهد الصحابة، بل إنَّ ما نقل عنهم لا يتجاوز رواياتٍ منثورة، معظمُها أقربُ إلى التفسير اللغوي.

وبعد وفاةِ النبي صلى الله عليه وسلم تَوَجَّه جماعة من علماء الصحابة إلى الأمصار، ومضَوا ينشرون فيها علوم التفسير، ويجيبون عن أسئلة النـاس الـذين دخلوا في دين الله أفواجاً، ونشأ على أيدي علماءِ الصحابة مدارسُ في التفسـير، تتلمذ فيها كبارُ التابعين الذين أخذوا عن الصحابة أنفسهم، أو عن تلاميذهم: ومـن هذه المدارس : مدرسة مكة، التي تصدَّر فيها الصـحابي عبـد الله بـن عبـاس (ت:٦٨هـ)، وأخذ عنه سعيد بن جبير [2]، وعكرمة[3]، ومدرسة المدينة التي تصدَّر

---

(1) الإتقان في علوم القرآن / النوع الثمانون ٢ / ٤٩٣.

(2) سعيد بن جبير : الحافظ المقرئ المفسر،أحد الأعلام المشهورين، أخذ عن ابن عباس ، كان يختم القرآن في ركعة ، قتله الحجاج شهيدا سنة ٩٠ هـ سير أعلام النبلاء للذهبي(٤ / ٣٣٢) مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، الطبعة ١١ سنة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م

(3) عكرمة : هو أبو عبد الله القرشي مولاهم العلامة، الحافظ، المفسر، المدني، البربري الأصل. كان يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب، وابن عباس في الدار، توفي سنة ١٠٥ هـ. المرجع نفسه(٤/٣٨٠).

فيها أُبَيُّ بن كعب (٣٣ هـ)، وأخذ عنه السُّلَمي[١] (٧٤هـ) وأبو العالية[٢] (٩٠ هـ)، ومدرسة العراق، وتَصَدَّر فيها عبد الله بن مسعود (٣٢هـ)، وبرز فيها الشعبي [3] وقتادة.[٤]

وكان أصحابُ هذه المدارس يعودون في تفسيرهم إلى: القرآن، والسنة، ومنطوق اللغة، والاستدلال، والاستنباط.

---

(١) السلمي: هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي الأمام الربّني، هو من أولاد الصحابة قرأ القرآن ومهر فيه أخذ عن أبيّ وابن مسعود وعثمان ، كان يقرئ الناس في المسجد أربعين سنة، وحديثه مخرّج في الكتب الستة، انظر: طبقات المفسّرين / احمد بن محمد الأدنروي(٤/ ٩)الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م

(٢) أبو العالية: هورفيع بن مهران البصري الرياحي ، كان إماما في القرآن والتفسير والعلم والعمل ، أخذ القرآن عن أبيّ وابن عباس ، المرجع السابق (٩/١)

[3] الشعبي: هو عامر بن شرحبيل بن عبد بن ذكبار، حافظ مفسر، سمع من عدّة من كبار الصحابة، وكان من الذين خرجوا على الحجاج ، ولد ٢١ هـ، ومات ١٠٤ هـ المرجع السابق ٢٩٤/٤).

(٤) قتادة : هو ابن دعامة بن عكابة السدوسي، حافظ وقدوة للمفسرين ، كان من أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ ، وكان يرى القدر !! نسأل الله العفو والعافية ، ولد ٦٠ هـ وتوفي ٢١٧ هـ انظر : سير أعلام النبلاء / الذهبي (٢٧١/٥)

أهميـة اللغـة العربيّـة والنحـو فـي فهـم القـرآن الكريـم

قد اتفق العلماء على أنّ المفسّر لكتاب الله تعالى يشترط فيه العلـم باللغـة العربيّة، لأنّ التفسير لا يمكن بدونها ، ولا شكّ أنّ النحو في مقدّمة علوم العربيّـة فلا يجوزُ لأحد أن يتكلم في كتاب الله من غير عِلْمٍ بلغات العرب وأساليبهم .

يقول العكبري[١] أما بعد فإنّ أولى ما عنى باغي العلم بمراعاته، وأحقّ ما صرف العنان إلى معاناته، ما كان من العلوم أصلا لغيره منها، وحاكما عليها ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك القرآن المجيد ... فأوّل مبدوء به من ذلك تلقف ألفاظه من حفاظه، ثمّ تلقي معانيه ممن يعانيه، وأقوم طريق يسلك في الوقوف على معناه ويتوصّل به إلى تبين أغراضه ومغزاه ، معرفة إعرابه واشتقاق مقاصده من أنحاء خطابه والنظر في وجوه القرآن المنقولة عن الأئمّة الإثبات[٢] قال القرطبي[٣] –رحمه الله تعالى– جاء تفضيل إعراب القرآن والحض على تعليمه وذم اللحن وكراهيته ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وتابعيهم رضوان الله عليهم من ذلك ما جاء عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)[٤].

---

[١] العكبري: هو أبو البقاء عبد الله بن الحسين النحوي الضرير البغدادي المولد والدار ولد سنة ٥٣٨ ببغداد وت سنة ٦١٦ هـ ترجمته في بغية الوعاة(٢ / ٣٨) ومقدمة تحقيق كتابه – التبيان في إعراب القرآن – فقد ترجم له محقق الكتاب علي محمد البجاوي ترجمة وافية .

[٢] التبيان في إعراب القرآن . لأبي البقاء العكبري من مقدّمة الكتاب (١/ ١) بتحقيق علي محمد البجاوي . نشر دار الجيل – بيروت لبنان ط / ٢ سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

[٣] القرطبي : هو أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجى الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الزاهدين في الدنيا تفسيره من اجل التفاسير وأعظمها نفعا قال فيه ابن عماد الحنبلي : كان إماما علما من الغوّاصين على معاني الحديث حسن التصنيف جيد النقل تـــوفي سنة ٦٧١ هـــ، انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب(٥ / ٣٣٤

[٤] رواه الحاكم في المستدرك ٢ /٤٧٧ رقم ٣٦٤٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد .

وعن الضحاك قال: قال عبد الله بن مسعود: جودوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب به[١]، وعن مجاهد[٢]. عن ابن عمر قال: (أعربوا القرآن. وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال :قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: لبعض إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه[٣]. وعن الشعبي قال قال عمر رحمه الله: من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد[٤]. وقال مكحول[٥]: بلغني أن من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان[٦] .. ممن قرأ بغير إعراب. وروى ابن جريج[٧]. عن عطاء[٨]. عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحبوا العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي)[٩]. وروى سفيان عن أبي حمزة قال : قيل للحسن

---

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال/ علاء الدين علي بن حسام/ ج٢/ ٣٤٥/مؤسسة الرسالة/الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

(٢) مجاهد : هو ابن جبر أبو الحجاج مولى السائب المخزومي ، شيخ القراء والمفسرين ،قرأ القرآن على ابن عباس أكثر من ثلاثين مرة ، وله أقوال وغرائب شاذّة في القرآن أنكر عليه العلماء ، مات وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ سير أعلام النبلاء للذهبي (٤ / ٤٤٩)

(٣) كنز العمال، مرجع سابق، رقم ٤١٧٦، (١١/٤).

(٤) أخرجه الهيثمي مرفوعاً في مجمع الزوائد . وقال رواه الطبراني في الأوسط وفيه نهشل وهو متروك، (٣٣٩/٧).

(٥) مكحول: هو ابن أبي مسلم بن شهراب بن شاذل ، تابعي جليل ، عالم أهل الشام ومفتيهم ، مات ١١٢هـ سير أعلام النبلاء(٥ / ١٥٥).

(٦) لم يجد الباحث لهذا الأثر تخريجاً.

(٧) ابن جريج : هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام الحافظ شيخ الحرم المكي ،كان من بحور العلم ، وهو أول من دوّن العلم بمكة ، وكان يرى المتعة ، فتزوج تسعين امرأة !! مات ١٥٠هـ المرجع نفسه(٦ / ٢٢٥).

(٨) عطاء : هو ابن أبي رباح أبو محمد القرشي مولاهم ، المكي ، العالم الرباني ، أخذ عن أبي هريرة وابن عباس وعدّة من الصحابة ، وكان من أوعية العلم قال ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة. مات ١١٤ هـ انظر : سير أعلام النبلاء/ الذهبي (٥/ ٧١)

(٩) قال السخاوي في المقاصد الحسنة(١ /٦٣) : رواه الطبراني في معجميه الكبير والأوسط والحاكم في مستدركه ، وهو حديث ضعيف .

في قوم يتعلمون العربية قال أحسنوا يتعلمون لغة نبيهم صلى الله عليه وسلم وقيل للحسن: إن لنا إماما يلحن قال: أخروه. [1].

ولهذا كله اتجهت أنظار العلماء إلى النحو قبل غيره من علوم العربيّة لحفظ أعظم وأفصح كتاب، ويظهر من كلام بعض العلماء أنّه كان في القديم قوم يجهلون فائدة النحو وينكرون فضله والحاجة إليه ، فكان عتاب العلماء لهؤلاء شديدا.

فهذا شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني[2]. أحسن الرّدّ على هؤلاء، حيث قال: (أمّا زهدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم أشبه أن يكون صدّا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه إذ قد علم أنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأنّ الأغراض كامنة فيها حتّى يكون هو المستخرج لها، وأنّه المعيار الذي لا يتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذي لا يعرف الصحيح من السقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه ، وإلا من غالظ في الحقائق نفسه). [3] ..

وكذلك ردّ العلامة محمود بن عمر الزمخشري[4]. على منكري فضل النحو والعربيّة ردّا مجملا جامعا في مقدّمة كتابه (المفصّل في علم العربيّة) والباحث ينقل هذا الردّ بطوله لأنه يمثّل موقف سلفنا من النحو، ويلخّص فهمهم لهذا الموضوع الذي لا يزال قوم يجادلون فيه إلى اليوم، قال رحمه الله تعالى ولعل

([1]) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٣) : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ): دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية

([2]) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي المتوفى سنة ٤٧١هـ عالم بالبلاغة بل هو إمامها الأكبر، وله فيها دلائل الإعجاز ، وأسرار البلاغة ، كان أعالما صالحا ، له ترجمة في أنباه الرواة ٢ / ١٨٨ وبغية الوعاة (٢ /٣١٠).

([3]) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ص ٥٦ ط / ٤ نشر دار المنار بمصر ١٣٦٧ هـ.

([4]) هو محمود بن عمر بن محمد جار الله أبو القاسم الزمخشري ،كان ممن يضرب به المثل في علوم البلاغة والنحو واللغة، وكان معتزيا مجاهرا باعتزاله ،و له مؤلفات كثيرة ممتعة غزيرة الفوائد، منها الفائق في غريب الحديث ، والكشّاف عن حقائق التنزيل ، ولد ٤٦٧ هـ وتوفي ٥٣٨ ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي(٢ / ٣٨٨)

الذين يغضون من العربية ويضعون من مقدارها ويريدون أن يخفضوا ما رفع الله من منارها حيث لم يجعل خيرة رسله وخير كتبه في عجم خلقه ولكن في عربه لا يبعدون عن الشعوبية منابذة للحق الأبلج وزيغا عن سواء المنهج.

والذي يقضى منه العجب حال هؤلاء في قلة إنصافهم وفرط جورهم واعتسافهم وذلك أنهم لا يجدون علما من العلوم الإسلامية فقهيا وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بين لا يدفع ومكشوف لا يتقنع. [١]

وقال السخاوي. [٢]. وصرّح العزّبن عبد السلام في أواخر القواعد بوجوب الاشتغال بالنحو الذي نقيم به كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنّ حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى إلا بذلك فيكون في مقدّمة الواجب[٣]).

وبهذا كله تتّضح مكانة النحو والحاجة إليه ولذلك سارع علماء السلف الصالح إلى ابتكاره واختراعه قبل غيره لصيانة الكتاب العزيز، ولا شكّ أنّ كل علم يشرف ويسمو بقدر الحاجة إليه وقد وضح وجهُ الحاجة إليه فهل ندرك كلام الله تعالى ونفهم دقائق التفسير إلا بإرشاد مسائل النحو فلا بدّ لمن يريد النظر والفهم لكتاب الله أن يُتْقنها حتى يتيسّر له الغوص في معاني القرآن الكريم .

وقد كان من أهداف النحاة الأوائل:

١. الحفاظ على لغة القرآن من اللحن.

٢. توثيق نصّ القرآن لحفظه من الخطأ في قراءته

---

(١) من مقدّمة كتابه (المفصّل في علم العربية) ، الناشر مكتبة الهلال بيروت ط/ الأولى ١٩٩٣.

(٢) هو شمس الدّين محمد بن عبد الرحمن فقيه شافعي محدّث مقرئ مؤرّخ ، كان من أخصّ تلاميذ الحافظ ابن حجر، له ترجمة في كتابه الضوء اللامع(له ٨ /٤٣١)

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي ص ٢٢٨ ط الأولى نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان سنة ١٤٣ هـ – ١٩٨٣م

٣. فهم كلام الله تعالى ومعرفته ، وذلك بمعرفة إعرابه ، وتركيب جمله ، كما جاء في بعض الروايات أنّ زياد بن أبيه[١] قال لأبي الأسود الدّؤلي[٢]: اعمل شيئاً تكون فيه للناس إماماً وينتفع الناس به ويعرف به كتاب الله[٣] .

ويؤخذ من هذا النص وغيره أنّ إعراب القرآن ومعرفته كانا من الأسباب الباعثة أصلا على وضع النحو وتأسيس قواعده، وذلك بتحقيق قوله تعالى:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾الحجر: ٩

ولذلك كان النحاة واللغويّون من أكثر النّاس خدمة للقرآن ، فقد بلغ ما ألّفه علماء اللغة والنحو الأقدمون تحت عنوان (معاني القرآن) أربعة وثلاثين كتابا لم يصل إلينا إلا القليل منها ، كما بلغ ما ألّفوه تحت عنوان (إعراب القرآن) ما يزيد على أربعة وعشرين كتابا لم يصل إلينا كذلك إلا القليل منها ، والباقي ضاع في المحن التي تعرّض لها التراث الإسلامي والعرب في الحقب التاريخيّة المختلفة.[٤]

وهذا العدد الكبير من المؤلفات يوضّح لنا تلك الجهود الجبارة التي بذلها النحاة واللغويّون في خدمة الكتاب العزيز تيسيرا لفهمه على المسلمين،

---

(١) زياد بن أبيه : هو زياد بن أبي عبيد الثقفي ، وهو الذي استلحقه معاوية ، أسلم زمن الصديق ،ويضرب به المثل في العقل والمكر والدهاء ، ولي المصرين البصرة والكوفة ، مات ٥٣ هـ. سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٩٤)

(٢) أبو الأسود الدؤلي: هو ظالم بن عمرو بن سلطان الدئلي ، تابعي من أصحاب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول من أسّس النحو وفتح بابها ، ووضع قواعدها ،مات بالبصرة في طاعون العمواس ٦٩ هـ ، سير أعلام النبلاء(٤/ ٨١)

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢/ ٢١٧)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بالقاهرة – بدون تاريخ

(٤) راجع تفصيل الكلام عن هذه المؤلفات إلى(منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن الكريم) للدكتور سليمان يوسف خاطر ص٨٩ مكتبة الرشد ط الأولى ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

الفصـــل الأوّل
سـيبويـه وكتـابـــه

- المبحث الأول: الحالة السياسيّة والاجتماعيّة في عصر سيبويه.
- المبحث الثاني: سيبويه اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته.
- المبحث الثالث: شيوخ سيبويه وتلاميذه وثناء العلماء عليه.
- المبحث الرابع: كتاب سيبويه ، وثناء العلماء عليه .
- المبحث الخامس: منهج سيبويه في تفسير القرآن والاستشهاد به .

الفصـل الأول
الحـالة السّـياسـية والاجتماعيّـة فـي عصـر سـيبويـه

المبحـث الأوّل: الحالة السّياسية والاجتماعيّة في عصر سيبويه

الإمام سيبويه، –رحمه الله تعالى– عاش في العصر العباسي الأول، وهـو العصر الذهبي للدولة العباسية، عاش عشر سنين من خلافة أبي جعفر المنصور[١] الذي استمرّت خلافته من ١٣٦– ١٥٨هـ وعاصر المهدي [٢]الـذي اسـتمرّت خلافته من ١٥٨– ١٦٩هـ وابنه الهادي[٣] من ١٦٩ – ١٧٠ هـ وهارون الرشيد[٤] من ١٧٠ – ١٩٣ هـ وأربعتهم من كبار الخلفاء العباسيين ، ومات سيبويه أثناء خلافة الرشيد سنة ١٨٨ هـ على أرجح الروايات .

وهذا العصر قامت فيه أركان الدولة العباسية على أحسن وجه ، وكثـرت الفتوحات ، وفاضت الأموال ، فعاش الناس في رغد من العيش .

فمن الناحية السياسية سيطر الخلفاء العباسيون على الدولة سيطرة كاملـة، هذا بالإضافة إلى ظهور بعض الثورات من بقايا الشيعة. [٥]

---

[١] هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ولد ٩٥ وتوفي ١٥٨ هـ ، كان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، جمّاعا للمال، جيد المشاركة في العلم والأدب ،قتل خلقا كثير حتى استقام ملكه، وهو الذي ضرب أباحنيفة على القضاء ثم سجنه فمات ، راجع تاريخ الخلفاء للحافظ عبد الرحمن السيوطيّ ١/ ٢٢٩ مطبعة السعادة – مصر ط الأولى ١٣٧١ هـ– ١٩٥٢م

[٢] المهدي: هو أبو عبد الله محمد بن المنصور ولد ١٢٩ وتوفي ١٦٩ هـ كان ولي عهد أبيه ، فلما مات بويع بالخلافة ، كان جوادا محبّبا إلى الرعية ، حسن الاعتقاد ، تتبع الزنادقة وأفنى منهم خلقا كثيرا المرجع نفسه (١ / ٢٣٩)

[٣] الهادي: أبو محمد موسى بن مهدي ، ولد ١٤٧ وتوفي ١٧٠ هـ كان شجاعا فصيحا مهيبا ، ولكنه كان قليل الخير يشرب المسكر، المرجع نفسه (١ / ٢٤٦).

[٤] هو هارون بن مهدي بن محمد ،ولد ١٤٨ وتوفي ١٩٣ هـ كان من أفضل الخلفاء وأجلّ ملوك الدنيا، كثير الغزو والحج ، يحب العلم وأهله ، وكان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة لا يتركها إلا لعلة . المرجع نفسه (١ /٢٤٩).

[٥] الشيعة : هم الذين شايعوا عليا رضي الله تعلى عنه وقالوا بإماميته وأفضليته بعد المصطفى عليه الصلاة والسلام ،وأنه لا تخرج الإمامة عن أولاده ،وتفرقت فيما بينها نحو عشرين فرقة ،وهم من الفرق الضالة ،

والخوارج[1]. ولكنّها أخمدت بشدّة البطش، وبقيت أركان الإسلام سليمة، وكان للوزراء العباسيين تدخل في كل ما يحدث في المجتمع من حركات سياسية واجتماعية ودينية ،ممّا قد يثير شكوك الخليفة كما كان لسياسة العهد بالخلافة إلى أحد الإخوة والأبناء أثر كبير لا يخفى في إثارة المكايد والإحن والصراعات السياسية.

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان لهذه الأحداث السياسية أثر لا ينكر على الحياة الاجتماعية للخلفاء ولعامة الشعب في جميع طبقاته ولكن كانت الأمور تمشي على منهج الإسلام فالحدود كانت تقام ، والجهاد ضدّ أعداء الإسلام مستمرّ.

أما من الناحية العلمية فقد كثر العلم والعلماء في هذا العصر، وعمّرت المساجد بالعبادة ودرس العلم وحلقات المناظرة بين العلماء من الطوائف المختلفة وبدأ التأليف في علم الدّين واللغة والأدب وغيرها من العلوم لعناية الخلفاء بالعلم والعلماء ، ورجعوا إليهم في الفتوى والاستشارة .

عاش سيبويه في هذا الجو المشحون بالعلم والعلماء ،يعاشر القرّاء والمحدّثين والفقهاء والمفسّرين والأدباء والشعراء في مجالس الدرس والمناظرة ، ولا يريد الباحث الاسترسال في هذا الجانب الذي محله كتب التاريخ، والله الموفّق.[2]

انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢٤/١)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي .http://www.alkashf.net/mthahb

(1) الخوارج : فرقة خرجت بعد معركة صفين ، كفّرت عليا ومعاوية ومن معهما من الصحابة ، وزعمت أنّ أهل المعاصي مخلدون في النار، وهي من الفر ق الضالة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة(١١/٢).

(2) راجع للتوسع في هذا المجال حوادث السنوات المذكورة في تاريخ الخلفاء للسيوطي،(٢٢٩/١) – (٢٣٩/١) – (١/ ٢٤٩)

المبحث الثاني
سيبويه اسمه وكنيته ولقبه ومولده ونشأته [1]

سيبويه هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء ، وهو فارسي الأصل، ولم تذكر المصادر التي وقف عليها الباحث مع كثرتها إلا هذا القدر اسمه واسم أبيه وجده .

أمّا لقبه فهو أشهر من الشمس، ثمّ أصبح هذا اللقب بعده رمزاً يشار به إلى كل من تبحر في علوم العربية، أصبح اسم سيبويه في النحو كحاتم الطائي في الجود، فهو إمام النحاة وشيخ اللغويين أجمعين .

جرت عادت الناس بأنه إذا أراد شخص أن يمدح آخر بأنه ماهر في العربية أن يقول: هو سيبويه زمانه وفريد أوانه .

قيل: إن لفظ " سيبويه" فارسي، ومعناه ، رائحة التفاح ، مركب من (سيب) بمعنى التفاح و(ويه) بمعنى الرائحة[2]

هذا ويحيط بتاريخ مولد سيبويه ووفاته كثير من الاضطراب والاختلاف .

ويرى الباحث أنّ أقربها إلى الصحة أنه ولد سنة ١٤٨ هـ في البيضاء من قرى شيراز ومات بفارس سنة ١٨٨ هـ .

ويروى أنّ سيبويه ترك البيضاء موضع ولادته وهو صغير السن في وقت لا يدري الباحث تحديده، وذهب إلى البصرة التي كانت عامرة بالعلم والعلماء، وبدأ دراسة الحديث والفقه على إمام الحديث في ذاك العصر حماد بن سلمة، ووقعت له حادثة مع شيخه هذا كانت هي السبب في تفرغه لدراسة علوم العربية، وهي أن سيبويه سأل يوما شيخه حمادا، فقال: أحدّثك هشام ابن عروة عن أبيه في

---

[1] ترجم لسيبويه عدد كثير من القدماء والمعاصرين ، ومن أحسن ما وقف عليه الباحث في ذلك ما جاء في المصادر التالية- مراتب اللغويين لأبي الطيب اللغوي ص ١٠٦ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ص٦٦ والبداية والنهاية لابن كثير(٨ / ١٧٦) وتقديم الكتاب لعبد السلام محمد هارون ومعجم الأدباء لياقوت الحموي ٦ / ٨٠ وبغية الوعاة للسيوطي(٢ / ٢٢٩).

[2] ولكن نقد هذا التفسير الأستاذ محمد عبد السلام هارون في المقدمة التي كتبها على كتاب سيبويه ، ورجح أن (سي) معناه بالفارسية ثلاثون و(بويه) معناه الرائحة فيكون المعنى ذو الثلاثين رائحة . والله أعلم.

رجل رعُف في الصلاة ...؟ فقال حماد أخطأت يا سيبويه !! إنما هو: رعَف بفتح العين، فقال سيبويه: لا جرم لأتعلمن علماً لا يلحنني فيه أحد، وخبر آخر يرويه شيخه حماد أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئا من الحديث قال حماد: فكان فيما أمليت ذكر(الصفا) فقلت صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا، وكان هو الذي يستملي، فقال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفاء فقلت: يا فارسي لا تقل: الصفاء؛ لأن الصفا مقصور، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، وقال لا أكتب شيئا حتى أحكم العربية. [1]

ولعل هذه الحوادث هي التي رمت سيبويه إلى العناية الشديدة بتعلم العربية حتى صار إمامها ورافع لوائها .

---

[1] انظر تفاصبل هذه الحكاية: أخبار النحويين البصريين لأبي طاهر المقرئ، (ص٤٣) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١٠ / ٥٥)وتقديم الكتاب للأستاذ / عبد السلام محمد هارون ٣/١

المبحث الثالث
شيوخ سيبويه وتلاميذه وثناء العلماء عليه

وقد لزم سيبويه كثيرا من العلماء ودرس عليهم ، وأشهر شيوخه حماد ابن سلمة والخليل [١]، وهو الأستاذ الأكبر لسيبويه، وإذا قال سيبويه في كتابه: "سألته" أو "قال" من غير أن يذكر القائل فهو الخليل، والأخفش الأكبر[٢]، ويعقوب ابن إسحق[٣] ويونس بن حبيب[٤].

وكان سيبويه ذا مشاركة في كل العلوم التي عرفت في عصره ، وكان سنّيّا على مذهب أهل السّنّة والجماعة[٥]

تلاميذه:

أما تلاميذه فأشهرهم اثنان الأخفش الأوسط [٦] ... وقطرب، [٧] ...

---

[١] هو الخليل بن احمد الفراهيدي ولد سنة ١٠٠ وتوفي ١٧٥ هـ كان الغاية في كثير من العلوم والذكاء والزهد والديانة وهوا لمخترع للعروض والقافية ، بغية الوعاة للسيوطي(٥٥٧/١)

[٢] هو أبوا لخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الأخفش الأكبر ، كان ثقة ورعا إماما في النحو واللغة ، ولم يقف الباحث على سنة مولده ووفاته بالتحديد ، لكنه عاش ما بين أواخر القرن الأول وأواسط الثاني ،المرجع نفسه(٢/ ٧٤.)

[٣] هو يعقوب بن إسحق بن زيد بن عبد الله الحضرمي البصري، احد القرّاء العشرة ، وكان من أعلم الناس بالقراءات والنحو واللغة ، مسموع الكلمة عند الحكام ، توفي بالبصرة سنة ٢٠٥ هـ المرجع نفسه(١/ ٢٩٦).

[٤] هو يونس بن حبيب الضبي بالولاء ، نقل عنه سيبويه فيما يزيد على مأتي موضع في الكتاب ، فهو أكثر من نقل عنه مات سنة ١٨٢ هـ قارب تسعين سنة في عمره ولم يتزوّج ، المرجع نفسه (٢/ ٤٢٢).

[٥] انظر: سيبويه إمام النحاة تأليف كوركيس عواد ص١٠ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي الطبعة / الأولى سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م

[٦] هو سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط ، أخذ عن سيبويه وهوا لذي أظهر الكتاب للناس ،فهو أشهر تلاميذه ، وكان أسنّ منه توفي سنة ٢١٩ المرجع السابق(٥٩٥/١).

[٧] هو محمد بن مستنير تلميذ سيبويه ، وكان ملازما له ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه ، فقال(ما أنت إلا قطرب ليل) والقطرب: دويبة لا تستريح نهارها سعيا ، توفي ٢٠٦ هـ المرجع السابق(١/ ٢٤٢).

وسبب قلة تلاميذه أنّه مات مبكراً فلم يجلس للدّراسة فترة طويلة .

واشتهر عن سيبويه أنه ناظر بعض علماء عصره، ومن أشهر مناظراته ما تذكره كتب التاريخ بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى أنه جاء إلى بغداد في خلافة هارون الرشيد ووزارة يحيى البرمكي. [1]

ويقال: إن سيبويه هو الذي طلب مناظرة الكسائي[2] .. فقال له البرمكي: لا تفعل ! فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها ومؤدّب ولد أمير المؤمنين، فتناظرا في المسألة المعروفة بالمسألة الزنبورية .

فلما جاء الكسائي قال لسيبويه: كيف تقول : قد كنت أظنّ أن العقرب أشدّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي : لحنت، العرب تنصب ذلك كله وترفع .

فدفع سيبويه قوله وطال بينهما النقاش، وكان بالباب نفر من الأعراب النازلين ببغداد ممن ليسوا في درجة عالية من الفصاحة ، فطلب الكسائي الاحتكام إليهم فتابعوا الكسائي في رأيه ، فانكسر سيبويه نفسيا !!

ولقد كان الحق حليفا لسيبويه ؛ لما يقتضيه القياس في مثل هذا الموضع الذي يطرد فيه الرفع كما جاء في القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٨﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [يس: ٢٩]

وغير ذلك من الشواهد التي تدلّ على أن إذا الفجائية لا تدخل إلا على الجمل الاسمية المكوّنة من المبتدأ والخبر، وأما النصب فيكون على الحالية، وتوجيهه ضعيف.

---

(1) هو الوزير الكبير أبو العباس الفارسي البرمكي، كان من أفراد الرجال رئاسة ودهاء وحزما ،توفي ١٦٥ هـ ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي(٧ / ٢٢٨)

(2) هو علي ابن حمزة بن عبد الله بن عثمان القارئ المشهور بالكسائي ، كان من أعلم الناس بالنحو والقراءة ، وهو أحد القراء السبعة وإمام المدرسة الكوفية توفي ١٨٩ هـ ترجمته في معرفة القراء الكبار للذهبي(١ / ١٠٠) مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٤.

والحق أن انهزام سيبويه في هذه المعركة لم يكن انهزاما علميا ، بل كان مظاهرة سياسية وعصبية كما قال الأستاذ عبد السلام. [1]

ولهذا كان جمهور العلماء حين نظروا في هذه المسألة من جوانب عدّة رأوا أنّ الحق كان مع سيبويه ، وما كانت المناظرة مناظرة علميّة إنما كانت مناظرة عصبية. [2]

وذكروا أن يحيى البرمكي حاول إرضاء سيبويه وتعويضه عن الظلم الذي وقع عليه فأجازه بعشرة آلاف درهم من تلقاء نفسه ، وأنّ سيبويه غضب غضبا شديدا من المؤامرة التي حيكت له ! فأثّر ذلك في نفسه تأثيرا شديدا فمرض ومات عقب ذلك .

ويبدو أنّ سيبويه أحسّ أن الظلم قد ساد الدنيا وانّ العدل قد رفع منها، فترك البصرة وبغداد وتوجّه إلى مسقط رأسه ليعيش بعيدا عن هذا الجوّ المرير .

ولكنّ المنية عاجلته، رحمه الله تعالى، هذا ولا يعرف شيء كثير عن نشأته الأولى وطفولته وحياته الاجتماعية ، ولم يقف الباحث على أيّ معلومات من هذا الجانب إلا ما جاء في رسالة (كتاب سيبويه وشروحه).

من أنه تزوّج جارية عصبية بالبصرة، وكانت مشغولة بحبه، ولم يكن يشغله غير السهر والتصنيف ، فترصّدت خروجه إلى السوق في بعض حوائجه ، وأخذت جذوة نار فطرحتها في تصنيفه حتى احترق ، فرجع سيبويه فنظر إلى تصنيفه فإذا هو هباء فغشي عليه أسفا فطلقها. [3]

ويرى الباحث أن هذه القصة لا تصحّ ؛ لأنّ زواج سيبويه واحتراق كتبه بسبب هذه الجارية المشغولة بحبه هو حدث كبير في حياة سيبويه، فلو كان

([1]) هو عبد السلام محمد هارون ولد ١٩٠٩م نشأ في بيت كريم من بيوت العلم ،و قضى ثلاثا وستين سنة في تحقيق التراث العربي، توفي ١٩٨٨م ، com.www.Islamhouse انظر هذه المؤامرة السياسية من تقديم كتاب سيبويه له .

([2]) راجع تفاصيل هذه المناظرة إلى (معجم الأدباء لياقوت الحموي(١٦ / ١١٩)

([3]) هذا الخبر جاء في (كتاب سيبويه وشروحه) للدكتورة خديجة الحديثي ص ٢١ مطابع دار التضامن ببغداد نقلا عن طبقات النحويين لابن قاضي شهبة .

صحيحا لتناقلته الأخبار وروته كتب التاريخ ، وقديما قالوا: أحداث العالم يضـــرب بها الطبل، فقد ترجم لسيبويه أكثر من مائة كاتب فلم يذكر هذه القصة واحد مـــنهم .

صفاته وثنـــاء العلماء عليه:

كان سيبويه شابا نظيفا جميلا ، وكان في لسانه حُبْسة[١] ، وقلمه أبلغ مـــن لسانه[٢] ، أما أقوال العلماء وثناؤهم على الإمام سيبويه فجاء من ذلك شيء كثيـــر، ولو ذهب الباحث يذكر كل ما وقف عليه في هذا الشأن لطال الكلام .

فمن أقـــوال العلماء:

سيبويه إمام النحو، حجة العرب، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثـــم أقبـــل على العربية، فبرع وساد أهل العصر وألف فيها كتابه الذي لا يدرك شـــأنه[٣] .. ولما مات سيبويه قيل ليونس إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة من علم الخليل، فقال يونس : ومتى سمع سيبويه من الخليل كل هذا ؟! جيئوني بكتابه ، فلما نظـــر في كتابه ورأى ما حكى عنه ، قال: يجب أن يكون هذا الرجل قـــد صـــدق عـــن الخليل فيما حكاه عنه كما صدق فيما حكى عني. [٤]

وهذه الشهادة من يونس بن حبيب دليل قاطع على ما أجمع عليه العلماء من أن سيبويه ثقة حافظ صدوق في كل ما يروي ؛ ولهذا نزل كتابه منزلـــة ومكانـــة عظيمة عند العلماء .

رحلاته العلمية:

المتأمّل لكتب التراجم التي تتحدّث عن حياة سيبويه يراها أنها لم تذكر من رحلات سيبويه شيئا حتى إنها لم تذكر رحلاته نحو البادية للسماع عن العـــرب ، فيتخيل أن ظل باقيا بالبصرة دون انتقال إلى مكان آخر سوى حديثهم عن رحلـــة قدومه إلى البصرة أو رحلته إلى بغداد حيث كان يناظر الكسائي .

---

(١) الحبسة: وزان الغرفة ، وهي ثقل في اللسان يمنع من الإبانة ، أو تعذر الكلام عند إرادته ، لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري(٦ /٤٤) : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ، بدون تاريخ

(٢) بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).

(٣) قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء للذهبي(٨ / ٣٥١)

(٤) بغية الوعاة للسيوطي(٢/ ٢٢٩)

ومن هنا يرى الباحث أن الإمام سيبويه لم تكن له رحلات سوى مـــا ذكـــر والشائع في حياة سيبويه ملازمته لأستاذه الخليل بن أحمد، فعلمه غالبا كـــان علـــم درس وليس علم رحلة نحو البوادي والقبائل العربية .

مفارقتـــه بغداد ووفاته:

ذكر العلماء أنّ سيبويه غضب غضباً شديداً من المؤامرة التي حيكت له مع الكِسائي، فتأثر بذلك نفسيّاً، وعلم أنّ الدنيا أظلمت في عينيه وأنّ العدل قد رفع من الدنيا حتى في المناظرات العلمية، فترك البصرة وبغداد؛ ليعيش بعيدا عن حطـــام الدنيا والعلماء الذين لم يشمّ منهم رائحة الإنصاف، وذكروا أنه لما اعتـــلّ وضـــع رأسه في حجر أخيه فبكى أخوه فخطرت منه دمعة على وجـــه ســـيبويه، فرفـــع رأسه، فوجد في عينه البكاء ، فتمثّل بقول الشاعر: [1]

يؤمـــل دنيـــا لتبـــقى له *** فوافـــى المنيـــة دون الأجـــل

وتوفي بشيراز سنة ١٨٨ هـ على أرجح الروايات، وأمر أن يكتب علـــى قبره هذه الأبيات. [2]

ذهب الأحبـــة بعـــد طـــول تـــزاور*** ونـــأى المـــزار فأسلموك وأقشـــعوا

تركـــوك أوحـــش ما تكـــون بقفـــرة *** لـــم يؤنســـوك وكربـــة لم يرفعـــوا

وقضى القضاء وصرت صاحب حفرة*** عنـــك الأحبـــة أعرضوا وتصدّعوا

فرحمك الله أبا بشر، رحمة واسعة وجعل الجنة مثواك .

([1]) لم أقف على قائل هذا الشعر، وقد تعبت في بحثه في أكثر من ١٥٧ كتابا من دواوين الشعر والتاريخ !!

([2]) من قول علي بن سليمان العدوي كما في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي(١٢ / ١٩٢) ومعجم الأدباء لياقوت الحموي (١٦ /١٧).

فإن نحن أثنيــنا عليــك بصالح *** فأنت كما نثنــي وفوق الذي نثني

وإن جرت الألفــاظ منا بمدحة *** لغيرك (نحويا) فأنت الذي نعني [1]

قال الزمخشري يرثي الإمام سيبويه:

ألا صلى الإله صــلاة صــدق *** على عمر بن عثمــان بن قنبــر

فإن كتــابه لم يغــن عنــه *** بنــو قلــم ولا أبنــاء منبــر[2]

([1]) انظر: فهارس كتاب سيبويه ودراسة له ، لمحمد عبد الخالق عضيمة ص ٢٦ ط / ١ مطبعة السعادة بمصر – القاهرة – سنة ١٣٩٥ هـ – ١٩٩٥ م

والبيتان لأبي نواس في مدح الأمين ، انظر: ديوانه ص ٤١٥ بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان.

([2]) بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ٢٣٠).

المبحث الرابع
كتاب سيبويه وثناء العلماء عليه

وقد عرف كتاب سيبويه من قديم الزمان إلى يومنا هذا باسم كتاب سيبويه أو الكتاب، ولم يسمّه سيبويه باسم خاصّ به. وانفرد الحافظ السيوطي من بين سائر المؤرخين بأنه ذكر أن سيبويه سمّى كتابه بـ (قرآن النحو).[١]

فقال: وهو أعلمُ الناس بالنحو بعد الخليل وألّف كتابه الذي سماه قران النحو وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل:

ويرى الباحث أنّ هذه التسمية لم تثبت عن سيبويه ؛ لأنها لا توجد في نسخة من نسخ الكتاب ولم يذكرها واحد من الشراح والصواب أنّ الذي سماه بذلك هو أبو الطيب اللغوي[٢]

وقد بلغ الكتاب من علو المكانة عند العلماء أن جعلوه مرجعا لا يستغني عنه المفسر والمحدّث والفقيه، وهذا مما جعل القرطبي يروي لنا هذه القصة – قال أبو جعفر الطبري سمعت الجرمي يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه قال محمد بن يزيد وذلك أن أبا عمر الجرمي[٣] كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يتعلم

---

(١) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ،(٣٤٧/٢) الناشر دار الكتب العلمية – بيروت ط / الأولى ١٩٩٨ تحقيق فؤاد علي منصور

(٢)عبد الواحد بن علي أبو الطيب اللغوي الحلبي الإمام الأوحد ؛ له التصانيف الجليلة، منها مراتب النحويين، الإتباع ، الإبدال ، شجر الدر ؛ وقد ضاع أكثر مؤلفاته .وكان بينه وبين ابن خالويه منافسة . مات بعد الخمسين وثلاثمائة .وهو أحد العلماء المبرزين المتفننين بعلمي اللغة والعربية ، انظر نص كلام أبي الطيب من كتابه – مراتب اللغويين ص ٦٥

(٣) هو صالح بن إسحاق أبو عمر الجرمي البصري مولى جرم بن زبان ؛ من قبائل اليمن ؛ وكان يلقب بالكلب، وبالنباح لصياحه حال مناظرة أبي زيد . قال الخطيب : كان فقيها عالما بالنحو واللغة ، ديّنا ورعا حسن المذهب ، صحيح الاعتقاد. قدم بغداد ، وأخذ [النحو] عن الأخفش ويونس، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وحدث عنه المبرد . وكان جليلا في الحديث والأخبار، وناظر الفرّاء . وانتهى إليه علم النحو في زمانه توفي سنة ٢٢٥.هـ ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي (٢ /٨).

منه النظر والتفسير ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [1]

وقال أبو حيان الأندلسي[2] منوّها لشان كتاب سيبويه: فجدير لمن تاقت نفسه إلى علم التفسير، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب (سيبويه) فهو في هذا الفن المعول عليه ، والمستند في حل المشكلات إليه. [3]

ويرى الزمخشري أن من لم يعتكف على كتاب سيبويه يخشى عليه الإلحاد في كتاب الله ، قال رحمه الله : وهده الكلمة(مهما)من الكلمات التي حرفها من لا يد له في علم العربية، فيضعها غير موضعها ، ويحسب مهما بمعنى متى ما، ويقول مهما جئتني أعطيتك، وهذا من وضعه، وليس من كلام واضع العربية في شيء ، ثم يذهب فيفسر) قوله تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٢ (بمعنى الوقت، فليحد[4] في آيات الله وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه. [5]

وقد كان بعض العلماء يحفظ كتاب سيبويه كما يحفظ أحدنا السورة من القرآن، يروي السيوطي في ترجمة عبد الله بن محمد بن عيسى الأندلسي نقلا عن الصفدي أن عبد الله هذا كان يختم كتاب سيبويه في كل خمسة عشر يوما.[6]

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١ / ٨: لأبي عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)المحقق : هشام سمير البخاري الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

([2]) هو أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي المتوفى بمصر سنة ٧٤٧ هـ وهو إمام كبير في النحو والتفسير وغيرهما ، وتفسيره (البحر المحيط) قمة كتب التفسير التي عنيت بالجانب اللغوي له ترجمة في الطبقات الشافعية الكبرى (٩ /٢٧٦)

([3]) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ١ /١٠١ دار النشر دار الكتب العلمية – لبنان بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م

([4]) هكذا في النسخة المطبوعة ، والصواب : (فَيُلحد) ١٤٢٣ هـ ٢٠٠١ م

([5]) الكشاف عن حقائق التاويل / لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ٢ / ١٣٨ دار النشر دار إحياء التراث العربي تحقيق عبد الرزاق المهدي ، بدون تاريخ.

([6]) انظر بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغات تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٥٩/٢) تحقيق محمد أبي الفضل ، الناشر المكتبة العصرية مكان النشر لبنان ، بدون تاريخ.

وقال أيضا في ترجمة عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن يزيد السعدي اليحصبي أبو محمد يعرف بابن الأديب: كان أستاذاً نحوياً، من أهل المعرفة التامة بالعربية والأدب، فذّ الناس في ذلك في وقته ؛ يحفظ كتاب سيبويه كحفظه للقرآن، عارفا مع ذلك بالقراءات والفقه ،مات سنة سبع وخمسين وخمسمائة. [1]

وفي ترجمة محمد بن حجاج بن إبراهيم الحضرمي أبو عبد الله المعروف بابن مطرف الإشبيلي نزيل مكة النحوي الولي العارف بالله تعالى ، ذو الكرامات الشهيرة . كان قرأ النحو على الشلوبين[2] ، وكان يحفظ كتاب سيبويه، وكان من الصالحين الأولياء العالمين الزهاد ، وله كرامات ، وكان يطوف في اليوم والليلة ستين أسبوعاً [3] ، لقد تبوّأ كتاب سيبويه منزلة سامية بحيث كان يهدى إليه الملوك، وهذا ما يؤكده قول الجاحظ[4] : أرد ت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ، ففكرت في شيء أهديه إليه فلم أجد أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له :أردت أن اهدي إليك شيئا ففكرت فإذا كل شيء عندك ، فلم أر أشرف من هذا الكتاب ، وهذا كتاب سيبويه اشتريته من ميراث الفراء ، فقال : والله ما أهديت إلي شيئا أحب إلي منه. [5] ولكثرة ما في كتاب سيبويه من العلوم يطلق عليه كبار العلماء (البحر) يقول السيوطي:

---

(1) بغية الوعاة للسيوطي(٢ / ٣٨)

(2) الشلوبين : بفتح السين واللام وسكون الواو وكسر الباء وسكون الياء ،هو أبوعبد الله عمر بن محمد بن عمر الأندلسي ، إليه انتهت معرفة العربية في زمانه ،درّسها نحوا من ستين عاما ولد ٥٦٢هـ ولم أقف على تاريخ وفاته ،شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي ، طبع سنة ١٤٦هـ دار بن كثير– دمشق.

(3) المرجع نفسه(١/ ٧٤) .

(4) الجاحظ : هوعمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ من أهل البصرة ، أحد شيوخ المعتزلة . صاحب التصانيف الكثيرة ، له كتاب البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان ، وكتاب العرجان والقرصان والقرعان . توفي في المحرم سنة ٢٥٥هـ وقد جاوز التسعين،المرجع نفسه(٢/٢٢٨).

(5) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان لليافعي ١/ ٢٠٣. مصدر الكتاب : موقع الوراق http://www.alwarraq.com

" كان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه : هــل ركبــت البحــر! تعظيما واستصعابا لما فيه ". [1] ..

وقال أيضاً: كان المازني يقول : من أراد أن يصنف كتابا كبيرا في النحــو بعد كتاب سيبويه فليستح [2] حتى إن الكسائي الذي كان يناظر سيبويه في حياتــه احتاج إلى كتاب سيبويه بعد موته[3] عن الأخفش قال :جاءنا الكسائي إلى البصرة، فسألني أن أقرأ عليه كتاب سيبويه ففعلت، فوجه إلي خمسين ديناراً. قــال ســلمة: وكان الأخفش يعلم ولد الكسائي.

وقد بحث سيبويه في كتابه أكثر من علم من علوم العربية كالنحو والصرف والأصوات اللغوية والقراءات ونحوها من العلوم التي يكمل بعضها بعضا .

وقد اعتمد على هذه الموضوعات على آراء شيوخه ومعاصريه وما رووه عن القبائل العربية المختلفة التي اعترفوا بفصاحتها، وشهدوا بصفاء لغتها وعلــى ما رواه واستنتجه من الآراء من خلال مناقشته لشيوخه ومعاصريه ، مستندا فــي ذلك كله إلى القرآن الكريم في الأغلب الأعم ، وإلــى كــلام العــرب منظومــة ومنثورة.[4]

ومن تقدير وتبجيل الكتاب ما روي عن المازني[5] أن يهودياً بذل له مائــة دينار ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك فقيل له: لم امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟

([1]) بغية الوعاة للسيوطي(٢ / ٢٢٩) .

([2]) المرجع نفسه ١ / ٤٦٦

([3]) تاريخ الإسلام لشمس الدين الذهبي ١٥ / ١٧٣دار النشر: دار الكتاب العربي. مكان النشر: لبنان / بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

([4]) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه ، للدكتورة / خديجة عبد الرزاق ص ١٨ ط / ١ من مطبوعات جامعة كويت سنة ١٣٩٤ هـ- ١٩٧٤ م

([5])المازني : بكر بن محمد بن بقية بن حبيب الإمام أبو عثمان المازني . نزل في بني مازن فنسب إليهم ، وهو بصري روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد ، وعنه المبرد والفضل بن محمد اليزيدي وجماعة . وكان إماما في العربية متسعا في الرواية ، يقول بالإرجاء ، توفي ٢٤٩هـ ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٤٦٣)

فقال: إن كتاب سيبويه كذا وكذا آية من كتاب الله فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمي. [1]

وقد كان بعض العلماء لا يقرئ الكتاب إلا بثمن، يقول السيوطي في ترجمة محمد بن علي بن إسماعيل أبو بكر العسكري المعروف بمبرمان: كان لا يقرئ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار. [2]

(وما زال كتاب سيبويه على كثرة ما ألّف بعده عظيم القدر، فلم تتغير بهجته، ولم تخلق جدته، فهو كالدوحة الباسقة ، وغيره أغصان لها وفروع ، وكالنهر المتدفق يغذي فروعه وجداوله). [3]

تاريخ تأليف الكتاب:

صنف سيبويه كتابه بصورته التي بين أيدينا بعد وفاة الخليل سنة ١٦٠ على القول المشهور، لأدلة كثيرة تدل على ذلك منها كثرة التعقيب على قول الخليل بعبارة – رحمه الله – وسمع عن سيبويه أيضا وهو يقول لزميل له في الدراسة : تعال حتى نتعاون على إحياء علم الخليل. [4]

ويرى الباحث أن تأليف الكتاب مرّ بمراحل ثلاثة، الأول: دور المتن الذي أخذ سيبويه غالبه عن شيخه الخليل، وكان يسجّل في ذاكرته ما سمعه من شيخه من موادّ اللغة والنحو، حتى إذا عاد إلى بيته يكتب هذا المتن مع شواهده وأمثلته . الثاني: دور المعارضة والتوثيق فقد كان سيبويه يوازن بين أقوال الخليل وشيوخه الآخرين. الثالث: دور التحرير والتأليف في الصورة النهائية ، والظاهر أنّ سيبويه أنجز الدور الثالث بسرعة أعجبت أهل عصره، فقد مرّ بنا أن يونس بن حبيب لما قيل له إن سيبويه صنّف ألف ورقة من علم الخليل قال: ومتى سمع سيبويه من الخليل هذا كله ؟.

([1]) انظر: بغية الوعاة ١ / ٤٦٤.

([2]) المرجع نفسه ١ / ١٧٥.

([3]) انظر النحو وكتب التفسير للدكتور عبد الله إبراهيم رفيدة ، ٢ /١٠٧٢ الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان " ط / الأولى ١٩٨٢

([4]) راجع مقدمة كتاب سيبويه التي كتبها الأستاذ عبد السلام محمد هارون، مطبعة دار الجيل – بيروت، ط / الأولى بدون تاريخ ١ / ٢٥

المبحث الخامس

منهج سيبويه في تفسير القرآن والاستشهاد به

المعاجم العربية أجمعت على أن المعنى الأظهر للمنهج هو الطريق القويم الواضح وإن كان لها معان أخرى، يقال : نهِج الطريق بكسر العين نهجا ونهوجا، وضح واستبان ، ومن ذلك نهج أمره.

ونهج الدابة، بفتح العين، سار عليها أو عمل عليها حتى أعيت، ونهج العملُ ونحوه فلانا: أتعبه، وانتهج الطريق: استبانه وسلكه ، واستنهج سبيل فلان : سلك مسلكه.

والمنهاج: الطريق الواضح ، ومنه قوله تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ ٤٨ المائدة] أي شريعة وطريقا واضحا ، ومن الاستعمال المحدث: المنهاج بمعنى الخطة المرسومة ، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما، والجمع مناهج، والنصوص في هذا المعنى أكثر من أن أحصيها ، وهذه خلاصة ما جاء في مختار الصحاح[١] والمصباح[٢] والمحكم ون المحيط[٣] وغيرها من المعاجم .

ثمّ من الواضح أن الباحث يريد بالمنهج هنا الطريق الذي اتبعه سيبويه في الاستشهاد بالقرآن وتفسيره .

والاستشهاد: من الشهادة ، وهي الخبر القاطع، واستشهده : سأله أن يشهد له ، والشواهد النحوية نصوص قاطعة موثوقة، يسوقها النحاة للاحتجاج بها في إثبات معنى .

---

[١] مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدا لقادر الرازي(٦٨٨/١): مكتبة لبنان ناشرون – بيروت– الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥

[٢] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (٦٢٧/٢): المكتبة العلمية – بيروت/ بدون تاريخ

[٣] المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي(١٧١/٤)، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠/ بيروت.

ثمّ إنّ كتاب سيبويه يتناول النصّ القرآني باعتباره الدليل الأول من أدلة النحو لكنّا نجد فيه تحليلا كثيرا لمعاني بعض الآيات القرآنية ، ويحمل آراء كثير من شيوخه وغيرهم من العلماء حول توجيه كثير من الآيات القرآنية

وقد استشهد سيبويه بشواهد غزيرة من آيات القرآن الكريم، وسعى في بناء ضوابط اللغة مستنداً إليها، وعلَّل أساليبها في الحركات الإعرابية والتقديم والتأخير، والحذف والزيادة. وقد استقى سيبويه كثيراً من أصوله في علوم العربية من القراءات المتعددة للقرآن الكريم.

وعلى الرغم من أن لسيبويه جهوداً واضحة في تفسير القرآن الكريم، استفاد منها المفسِّرون من بعده، وأخذوا من تحليلاته وأقواله القَدْر الكثير، فإننا لا نستطيع أن نضعَ كتابه ضمن مصنفات التفسير اللغوي المباشر؛ وذلك لأنه لم يُؤَلِّفْه لهذا القصد، وإنما ألَّفه لبناء قواعد اللغة، وكانت مسائل التفسير تَرِدُ في ثنايا مباحثه النحوية والصرفية،

١. ويتسم الكتاب بإيجاز العبارة وغموضها بحيث يحتاج القارئ في أحيان كثيرة إلى أن يقف على العبارة طويلا ليعرف المعنى الذي يريده سيبويه .

يذكر سيبويه مصطلح «المفسرين» ذِكْراً صريحاً في بعض الأحيان ممَّا يشير إلى قُرْبه منهم، وحوارِه معهم في مسائل التفسير،ويعترض عليهم ، ويفسّر الآيات بما يراه أنه هو الصواب ،وربما وافقهم إن رأى أن الصواب حالفهم وإليك بعض النماذج :

١. ذكر سيبويه مذهب الخليل في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [٨٢ القصص] إذ يرى أن ﴿ وَيْ ﴾ مفصولةٌ عن ﴿ كأنَّ ﴾ والمعنى: «على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قَدْر علمهم»، ثم قال : «وأمَّا المفسِّرون فقالوا: ألم تَرَ أن الله».[1]

٢- بَيَّن سيبويه معنى قوله تعالى:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النحل:٦٢

---

[1] كتاب سيبويه (١ / ١٢٢)

قال: حقّ لهم النار... وقولُ المفسرين معناها: حقاً أنَّ لهم النار، يَدُلُّك على أنها بمنزلة هذا الفعل إذا مُثِّلَتْ». [1]

٣. ذكر أنَّ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ معناه : ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً. وأمَّا المفسِّرون فقالوا: على «أُوحي». [2]

٤. قال سيبويه: « وبلَغَنا عن بعض المفسرين أن قوله عزَّ وجل : ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا ﴾(البقرة: ٦١)، ما أراد مِصْرَ بعينها». [3]

٢- والإمام سيبويه يحمل تفسير الآيات على أشرف المعاني وأصحّها ، وغالب تحليلاته تدور حول التفسير اللغوي من حيث النحو والإعراب ،

وهذه بعض الأمثلة من كتابه تشهد لما نقول ، ففي حديث سيبويه عن الحذف عند العرب ذكر بعض النماذج من كلام العرب فيها حذف شيء للعلم به.

ثمّ قال : ومثله في الاتساع قوله عزّ وجلّ ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١، فلم يشبهوا بما ينعق، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز؛ لعلم المخاطب بالمعنى، ومثل ذلك من كلامهم: بنو فلان يطؤهم الطريق، وإنما يطؤهم أهل الطريق .

([1]) كتاب سيبويه ، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

([2]) المرجع نفسه (١ / ٢٠٣)

([3]) المرجع السابق(١ / ٢٢٨)

وهذا نموذج واضح من تحليله الدقيق للآيات الذي يعتمد فيه بأساليب العرب في كلامها .قال : وأما قوله سبحانه : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المرسلات ١٥] وقوله تعالى :﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين :١] .

فإنه لا ينبغي أن نقول : إنه دعاء ههنا ؛ لأن الكلام بذلك واللفظ به قبيح ، ولكن العباد كلّموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم ، فكأنه ــ والله أعلم قيل لهم : هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم ؛ لأن هذا الكلام إنما لصاحب الشر والهلكة ، فقيل هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة ، ووجب لهم هذا ثم قال ، رحمه الله ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه : ٤٤).

فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم ، فإنما أجري هذا على كلام العباد وبه نزل القرآن[١]

٣. في بعض الأحيان يستدل سيبويه في تفسير الآيات بنوع من علوم القرآن ، وهو ما يعرف بالمكي والمدني .

ومن أمثلة ذلك ما نقله عن أبي الخطاب أن قولك للرجل «سلاماً» تريد تَسَلُّماً منك كما قلت: براءةً منك تريد لا ألتبس بشيء من أمرك، وأن أبا ربيعة كان يقول: «إذا لقيت فلاناً فقل له سلاماً، فسأله، ففسَّره له بمعنى: براءةً منك، وأن هذه الآية : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾الفرقان بمنزلة ذلك؛ لأن الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يُسَلِّموا على المشركين، ولكنه على قولك براءةً منكم وتَسَلُّماً، لا خير بيننا وبينكم ولا شر»[٢].

---

[١] كتاب سيبويه (١ / ٦٦)

[٢] المرجع نفسه (١ /٦٥)

فهذه النماذج تعدّ تفسيراً لغوياً وضع بها سيبويه منهجا لوجوه حمل كلام الله تعالى على مقتضى لغة العرب؛ لأن القرآن يخاطب الناس بأساليب العرب .

ويمكن أن يقال: إن سيبويه مهّد الطريق للتفسير اللغوي والتفسير بالرأي المحمود.

منهجه في الاستشهاد بالقــرآن الكريم:

في الكتاب عدد كبير من الشواهد القرآنية فيكون سيبويه من أكثــر النحــاة استشهادا بالقرآن الكريم وأعظمهم إجلالا له ، فيعــدّ القــرآن الــدليل الأول فــي الاستشهاد .

والغالب في منهجه أنه يضع عنوان الباب الذي يتحدّث عنه ، ويذكر بعــده الآيات الواردة في الموضوع ، مثال ذلك من الكتاب (هذا باب مــا لا يكــون إلا معنى ولكن). افتتحه بقوله :

ومن ذلك قوله عــز وجــل: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود ٤٣] أي ولكن من رحم ، وقولــه عز وجــل: فلــولا ﴿ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس٩٨] أي ولكن قوم يونس [١].

ومن منهجه إذا كثرت الشواهد من القرآن الكريم أن يستشهد ببعضها ثــم يعقب على ذلك بنحو قوله :(وهذا النحو كثير في القرآن) أو هذا الضــرب فــي القرآن كثير.[٢]

وان احتملت الآية أوجها من الإعراب بعضها غير مرضي جاء بها لينفــي عنها هذه الأوجه ، ويردّ على من حمل الآية على وجه غير صحيح .

مثال ذلك قوله: واعلم أنّ ماكان فصلا لا يغير ما بعده عن حاله التي كان عليهــا قبل أن يذكر، وذلك قولك : حسبت زيدا هو خيرا منــك ، وكــان عبــد الله هــو الظريفَ ،قال الله عز وجل : ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ ﴾ [سبأ :٦]

---

[١] كتاب سيبويه (١/١٥٧)

[٢] المرجع نفسه(١ / ٣٦٦)

وقد زعم ناس أن " هو" هنا صفة ، فكيف يكون صفة ، وليس في الدنيا عربي يجعلها صفة للمظهر ، ولو كان ذلك كذلك لجاز مررت بعبد الله هو نفسه فـ " هو" هنا مستكرهة لا يتكلم به العرب ؛ لأنه ليس من مواضعها عندهم. [1]

وتحدَّث سيبويه عن قواعد ما اصْطُلِح عليه في النحو بالاشتغال، وذكر جواز الرفع والنصب في الاسم المتقدم في نحو «زيداً ضربته»، ثم قال: «وقد قرأ بعضهم: «وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ» (فصلت:١٧)، إلا أنَّ القراءةَ لا تُخالَفُ؛ لأن القراءةَ السُّنة». [2]

وهو بهذه القاعدة الكلية يضع منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية، فيحترمها لأنها «السُّنة»، ولا يُقِرُّ مخالفتها، وكتابه مليء بتوجيه كثير من هذه القراءات. أمّا ما عدَّه أحد الباحثين موقفاً من سيبويه تجاه بعض القراءات المتواترة، فَهِمَ منه رَدَّها، فذلك يحتاج إلى مقام ثان لاستعراض نصوصه، وبيان الرأي الصحيح منها.

وإذا وردت في الآية الواحدة قراءتان أوأكثر فمنهج سيبويه أن يستشهد بهما جميعا من غير ترجيح لإحدى القراءتين على الأخرى .

كقوله : قد قرئ هذا الحرف على وجهين، قال بعضهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾ (طه: ١١٩) وقال بعضهم (إنك). [3]

لقد كانت القراءات في زمان سيبويه لم تتمايز تمايزا كاملا من حيث القراء والتصنيف تواترا وشذوذا ولذلك لا يسمي القراء بأسمائهم كثيرا ، وقد يسمي قارئا اعتبر بعده من قراء الشواذ ، وقد يسند القراءة إلى أهل المدينة أو إلى الكوفيين مثلا ، وقد يكون تعبيره عاما مثل : قرأ الناس هذه الآية على وجهين، مثلا يقول في باب(ما ينصب بالتعظيم والمدح): وسمعنا بعض العرب يقول: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (الفاتحة: ٢).

---

(1) كتاب سيبويه (١/١٧٠).

(2) المرجع نفسه (١/٣١).

(3) المرجع نفسه (١/١٢٣).

بفتح الباء – فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية . مع أن قراءة النصب قراءة شاذة. [1]

وقد يرجّح بين القراءتين ويصف إحداها بأنها أجود وأحسن وإن كانت الأخرى صحيحة في العربية أيضا،كما في قوله : قرأ بعضهم ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ فصلت: ١٧ والنصب عربي كثير، والرفع أجود. [2]

ولعلّ هذه النماذج التي عرضناها كافية في الدلالة على منهج سيبويه في تفسير الآيات والاستشهاد بها .

([1]) كتاب سيبويه (١/١٠٤).

([2]) المرجع نفسه(١/ ٢٨).

الفصـــل الثـــاني

مفـردات من القـرآن الكـريم وتـفسيـرها عند سيبـويه

الفصــل الثانــي

مفـردات من القرآن الكريم وتفسيرها عند سـيبويه

يتناول الباحث في هذا الفصل تفسير سيبويه بعضَ مفرداتِ القرآن، وحينما يشرح سيبويه بعض كلمات القرآن لا يشرحها شرحا طويلا مفصّلا، بل يقتصر على معنى الكلمة، وهذا دأب الرعيل الأوّل من سلف هذه الأمّة، فكانوا يتكلمون بكلمات جزلة قليلة الألفاظ كثيرة المعاني، والمفردات القرآنيّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

الأوّل: الأسماء:

وفي كتاب سيبويه تفسيرٌ لأسماءٍ قرآنية، تفسيراً لغوياً يبين معناها بلفظ يُرادِفها، أو يشرح دلالتها ضمن سياقها، وقد نجد في الروايات المأثورة ما يؤيِّد تفسيره .

الثاني : الأفعال:

وللأفعال من مفردات ألفاظ القرآن نصيب واسع، وقد تحدَّث سيبويه في كتابه عن طائفة من الأفعال التي وردت في القرآن الكريم، وصاغ قواعد في ذلك، كما أشار إلى تصريفها، وعُني بتقديرها إن حُذِفَتْ من السياق وذلك على المذهب الذي اختاره،بَيْدَ أن الذي يَعْنينا في هذا الفصل أن نرصد حديث سيبويه عن بعض الأفعال القرآنية التي خصَّها بشيء من التفسير من خلال دلالتها في الآية.

الثالث : الحروف:

حرص سيبويه أن يكشف عن معنى الحروف القرآنيّة في سياق الآية. وهذا المعنى للحرف الواحد قد يختلف من آية إلى أخرى، فيتتبَّعه سيبويه ليكشفَ عنه، وليس بمستغرَب أن نجد سبب الاختلاف عند بعض المفسرين في تفسير آية بعينها، إنما هو اختلافُهم في معنى الأداة الواردة في هذه الآية.

وقد توافَرَتْ للنحاة مادة غزيرة في هذا العلم من خلال ازدهار مباحث التفسير. وكتاب سيبويه غنيٌّ بمباحث الحروف من خلال أبواب مستقلة لها، بالإضافة إلى ما كان ينثره من هذه المسائل في ثنايا الأبواب النحوية.

صبغــة الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٨].

نصّ تفسير سيبويه لهذه الآية من الكتاب(باب ما يكون المصدر فيه توكيدا لنفسه) قال ــ رحمه الله ــ : وقال قوم: (صبغة الله) منصوبة على الأمر. وقال بعضهم: لا بل توكيدا. و(الصبغة:) الدين[١].

نجد في الروايات المأثورة ما يؤيِّد ما اختاره سيبويه . من تفسير «الصِّبغة» في قوله تعالى:﴿ **صِبۡغَةَ ٱللَّهِ** ﴾ بأنه الدين. ومن ذلك ما أورده أبو جعفر الطبري[٢]، عن ابن عباس وأبي العالية ومجاهد وقتادة والسُدِي روايات مأثورة تُفَسِّر الاسم بالدين[٣]، وممن ذهب إلى مثل هذا التفسير البغوي، وأجاب عن سؤال لعله يدور في خاطر القارئ، فقال: قوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ} قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن: دين الله، وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب، وقيل لأن المتدين يلزمه ولا يفارقه، كالصبغ يلزم الثوب، قال ابن عباس: إن النصارى إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام غمسوه في ماء لهم أصفر يقال له المعمودي وصبغوه به ليطهروه بذلك الماء مكان الختان، فإذا فعلوا به ذلك قالوا:

---

[١] كتاب سيبويه (١ / ٤٥٠).

[٢] الطبري: هو أبو جعفر بن جرير بن يزيد الطبري ، ولد سنة ٢٢٤ هــ رحل لطلب العلم وهو ابن اثنتي عشر سنة ، وطاف في الأقاليم ، فسمع بمصر والشام والعراق ، ثم استقر ببغداد إلى أن توفي سنة ٣١٠هــ وهو الإمام الجليل المجتهد ، صاحب التصانيف المشهورة التي شرّقت وغرّبت وسارت بها الركبان ، يعتبر تفسيره من أقوم التفاسير وأشهرها ، فهو المرجع الأول عند المفسرين، طبقات المفسرين: للحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ،(١/ ١٠٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن عماد الحنبلي(٢٩/١).

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن(٣ /١١٧) : أبو جعفر الطبري: مؤسسة الرسالة الطبعة :الأولى، ١٤٢٠ هــ - ٢٠٠٠ م.

الآن صار نصرانياً حقاً فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى[١] ، وإلى مثل هذا جنح القرطبي فقال: قوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ} قال الأخفش وغيره: دين الله[٢]، أما فخر الدين[٣] فنقل أربعة أقوال في تفسير هذه الكلمة [صِبْغَةَ اللَّهِ}

الأول: دين الله، والثاني: الفطرة، والثالث: الختان، والرابع: حجة الله، ثم قال: والقول الجيد هو الأول[٤]، وقد فَسَّره الراغب[٥] بأنه ما أوجده الله تعالى في الناس من العقل المتميِّز به عن البهائم كالفطرة[٦].

أما الزمخشري فذهب إلى أن معنى الكلمة (صبغة الله) تطهير الله، فقال: هي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى: تطهير الله لأن الإيمان يُطهّر النفوس.

---

[١] معالم التنزيل محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (١ / ١٥٧). دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

[٢] الجامع لأحكام القرآن / شمس الدين القرطبي. (٢ / ١٤٤)

[٣] فخر الدين :هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن ابن علىّ، التميمى، البكرى، الطبرستانى، الرازى، الملقَّب بفخر الدين، والمعروف بابن الخطيب الشافعى، المولود سنة ٥٤٤ هـ. كان رحمه الله فريد عصره، ومتكلم زمانه، جمع كثيراً من العلوم ونبغ فيها، فكان إماماً فى التفسير والكلام، والعلوم العقلية، وعلوم اللغة، ولقد أكسبه نبوغه العلمي شهرة عظيمة، فكان العلماء يقصدونه من البلاد، ويشدون إليه الرحال من مختلف الأقطار، وقد أخذا لعلم عن والده ضياء الدين المعروف بخطيب الرى، وعن الكمال السمعانى، والمجد الجيلى، وكثير من العلماء الذين عاصرهم ولقيهم، وله فوق شهرته العلمية شهرة كبيرة فى الوعظ، حتى قيل إنه كان يعظ باللسان العربي واللسان العجمي، وكان يلحقه الوجد فى حال الوعظ ويكثر البكاء، توفي سنة ٦٠٦ هـ الكامل في التاريخ:(١٢/ ١٢٠) ومرآة الزمان:(٨ / ٥٤٢).

[٤] مفاتيح الغيب ــ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(٤/ ٧٨).

دار النشر: دار الكتب العلمية - الطبعة : الأولى بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

[٥] الراغب: هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني. ولد سنة ٥٠٢ هـ أديب لغوي، حكيم، مفسر من أهل "أصفهان" سكن بغداد، وأشتهر، حتى كان يقرن بالأمام الغزالي.

من تصانيفه: (الذريعة إلى مكارم الشريعة لا)، و(حل متشبهات القرآن) وجامع التفاسير والمفردات في غريب القرآن) .لم يقف الباحث على تاريخ وفاته.

[الأعلام ٢٧٩/٢ ، ومعجم المؤلفين ٥٩/٤ ،].

[٦] المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهاني(١ / ٥٦٧).

والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وإذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فأمر المسلمون بان يقولوا لهم(قولوا آمنا بالله) وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا [١].

ويرى الباحث: من خلال استعراضه لآراء المفسرين أن هذه الأقوال كلها متقاربة في المعنى وإن كانت مختلفة في اللفظ ، ولكن المعنى الأظهر الأرجح هو ماذهب إليه سيبويه ومن وافقه من الطبري والبغوي والقرطبي والرازي؛ لأنه أصحّ سندا من غيره لرواية البخاري لهذا التفسير في صحيحه[٢] ولأنه أشمل هذه المعاني، فالفطرة والسنة والختان كلها داخلة تحت عموم الدين، هذا من ناحية التفسير، أما من ناحية الإعراب فاختار سيبويه أن (صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ) مصدر مؤكد منصوب بقوله تعالى ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

أي منصوب بهذا الفعل الماضي، وذكر أنّ قوما ذهبوا إلى أنه منصوب بأمر محذوف، أي ألزموا (صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ) أما القرطبي فنقل عن الأخفش أنه بدل من (ملة) وعن الكسائي أنه منصوب بفعل محذوف، ولم يتعرض لما ذهب إليه سيبويه بنفي ولا إثبات [٣]. وأما الرازي فنقل مذهب سيبويه بدون ترجيح ولا تضعيف[٤]. وأما الزمخشري فنقل قول سيبويه مستحسنا ومنوّها ومرجحا له ومفنّدا لما ذهب إليه غيره، فقال: وقوله تعالى:(ونحن له عابدون (عطف على) آمنا بالله) وهذا العطف يرد قول من زعم أن(صبغة الله) بدل من(ملة إبراهيم) أو نصب على الإغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم وإخراج الكلام عن التئامه

---

[١] الكشاف عن حقائق التأويل/ الزمخشري(١/ ٢٢).

[٢] انظر : صحيح البخاري(١٣٦/٨) رقم الحديث ٤٤٧٦ دار الكتب العلمية ــ بيروت لبنان ــ الطبعة الثالثة سنة ١٤٢٦ هـــ٢٠٠٥ م.

[٣] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي(٢ / ١٤٤).

[٤] مفاتيح الغيب/ الرازي (٤ / ٧٩).

واتساقه وانتصابها على أنها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام [1].

ويرى الباحث: أن ما ذهب إليه سيبويه والزمخشري هو الراجح؛ لأن البدل يقتضي الفصل بينه وبين المبدل منه بجمل كثيرة، ولا يخفى ما في ذلك من التشتيت والتفريق بينهما وذلك لا يجوز، وأما النصب على الإغراء، فينافره قول الله تعالى في آخر الآية : (وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾)

لأن التقدير يكون حينئذ – ألزموا دين الله ونحن له عابدون ــ وفي ذلك إجحاف للمعنى واختلال انتظام الكلام، والله تعالى أعلم.

---

[1] الكشاف عن حقائق التأويل/ الزمخشري(١ / ٢٢٢).

لا جــرم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (النحل: ٦٢).

نصّ تفسير سيبويه لهذه الآية من الكتاب (باب من أبواب (أنّ) تكون (أنّ) فيه مبنية على ما قبلها) قال ــ رحمه الله ــ:

وأمّا قوله عزّ وجل:"[لَاجَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ]" فأنَّ جرم عملت فيها لأنَّها فعل، ومعناها: لقد حقَّ أنّ لهم النار. ولقد استحق أن لهم النار وقول المفسَّرين: معناها: حقّاً أنَّ لهم النار، يدلُّك أنَّها بمنزلة هذا الفعل إذا مثَّلت، فجرم بعد عملت في أنَّ عملها في قول الفزاريّ:[1]

ولقد طَعَنْتَ أبا عُيينةَ طَعْنــةً ... جَرَمَتْ فَــزَارةُ بعدها أَنْ يَغْضَبُوا

أي: أحقّت فزارة[2].

دراسة:

قد وردت هذه الكلمة (لا جرم) في القرآن الكريم في خمسة مواضع : في سورة هود: [الآية ٢٢] وفي سورة النحل الآية [٢٣] ــ [٦٢] ــ [١٠٩] وفي سورة غافر [٤٣] .

وكل من هذه الخمسة وقع بعدها (أنّ) المفتوحة، فالكلام في واحدة منها كالكلام في الباقي معنى وإعرابا ؛ ومن هنا ترى أكثر المفسرين يبسط القول في واحدة منها ويوجز القول في الباقي ثمّ يقول : وقد أشبعنا القول فيما تقدّم ونحو ذلك.

فالإمام سيبويه مشى على أنّ معنى هذه الكلمة (لا جرم) حقّ، و(أنّ) وما بعدها في تأويل مصدر فاعل واستدلّ على ذلك بقول المفسرين: (حقّا أنّ لهم النار).

---

[1] البيت لأبي أسماء بن ضريبة كما في لسان العرب (١٢ / ٩٢) (جرم) وخزانة الأدب/تقي الدين أبوبكر الأزراري(١٠ / ٢٨٣) داروكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٩٨٧م ، وأبو عيينة هذا هو حصن بن حذيفة بن بدر ، وجرمت فزارة : حقّتها للغضب ، والمعنى : يصف الشاعر مرثيّه بالشجاعة ، فيقول له : أنت من طعن أبا عيينة طعنة نجلاء جعلت قومه بني فزارة يغضبون.

[2] كتاب سيبويه(٣ / ١٥٩).

وقد سار على هذا التفسير جمهور المفسرين، ومنهم إمامهم الطبري، فقد نقل عمّن سمّاهم بعض البصريين أنهم يقولون في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة:٢]: لا يُحقنّ لكم، وفي قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾ حقّ أن لهم النار.

ثمّ ذكر عمن سمّاهم بعض الكوفيين أنّ معنى (جرم) حمل وكسب، فيقال: جرمني فلان على أني صنعت كذا وكذا، أي حملني عليه.

قال: واحتجّ جميعهم ببيت الشعر، وأورد نفس البيت الذي استدل به سيبويه، وذكر أنّ كلا من الفريقين أوّل البيت على الذي تأوله من القرآن[١]، ومنهم الإمام القرطبي فقد ذهب إلى أنّ(لا جرم) بمعنى حقّ، ولكنه عيّن وسمّى ما أبهمه الطبري فذكر أنّ الخليل وسيبويه ذهبا أنّ (لا جرم) بمعنى حق، و (أنّ) عندهما في موضع رفع، وأنّ الزجاج هو الذي ذهب إلى أنّ (لا جرم) بمعنى كسب، فيكون المعنى على مذهبه ــ كسب ذلك الفعل لهم النار ــ و(أنّ) وما بعدها في محل نصب [٢].

ومن القائلين بهذا التفسير الحافظ ابن كثير[٣] والزمخشري[٤] وغيرهم، و في هذه اللفظةِ خلافٌ بين النحويين، ويتلخصُ ذلك في خمسة أوجهٍ:

أحدها – وهو مذهبُ الخليل وسيبويه وجماهير النَّاس – أنَهُما رُكِّبتا من " لا " النَّافية و " جَرَم " وبُنيتَا على تركيبها تركيب خمسة عشر ، وصار معناهما معنى

---

[١] : جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري(٩ / ٤٨٣).

[٢] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٩ / ٢٠).

[٣] ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، ولد ٧٠١ هــ حافظ فقيه متقن ومفسر ، له تآليف ممتعة سارت بها الركبان ، منها البداية والنهاية ، يعتبر تفسيره المرجع الثاني بعد تفسير ابن جرير ، وهو من أشهر ما دوّن في التفسير المأثور توفي ٧٧٤ هــ، طبقات المفسرين للذهبي (١/ ١١٠) وشذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (١ / ٦٧).انظر: تفسير القرآن العظيم/ابن كثير(٤ /٥٧٩) : دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة : الثانية ١٤٢٠هــ – ١٩٩٩م.

[٤] انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري (٤ / ١٧٤).

فعل وهو " حقَّ " فعلى هذا يرتفعُ ما بعدهما بالفاعليَّة ، فقوله – تعالى – :(لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ الْنَّارَ) ([النحل: ٦٢] أي : حق وثبت كون النَّار لهم ، أو استقرارها لهم.

الوجه الثاني: أنَّ " لا جَرَمَ " بمنزلة " لا رجُل " في كون " لا " نافية للجنس ، و" جَرَمَ " اسمها مبنيٌّ معها على الفتح، وهي واسمها في محلِّ رفعٍ بالابتداء ، وما بعدها خبر " لا " النافية ، وصار معناها : لا محالة ولا بُدَّ ، قاله الفرَّاءُ[١] .

الثالث: – كالذي قبله – إلاَّ أنَّ " أنَّ " وما بعدها في محلِّ نصبٍ ، أو جرٍّ بعد حذف الجار ، إذ التقدير : لا محالةَ أنَّ لهم النار.

الرابع: أنَّ " لا " نافيةٌ لكلام متقدم تكلَّم به الكفرةُ ، فردَّ الله ذلك عليهم بقوله : " لا " كما تُرَدُّ " لا " هذه قبل القسم في قوله – عزَّ وجلَّ –) (لاَ أُقْسِمُ بهذا البلد) [البلد: ١] وقوله تعالى: (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ) [**النساء : ٦٥**] ، ثم أتى بعدها بجملة فعلية ، وهي " جرم أنَّ لهُم كَذَا " ، و " جرم " فعل ماضٍ معناه " كسب " ، وفاعله مستتر يعودُ على فعلهم المدلول عليه بسياق الكلام ، و " أنَّ " وما في حيِّزها في موضع المفعول به ، لأنَّ " جَرَمَ " يتعدَّى إذْ هو بمعنى " كَسَبَ " .

الوجه الخامس: أن معناها لا صدَّ ولا منع ، وتكون " جَرَمَ " بمعنى " القطع " تقول : جرمتُ أي : قطعت ، فيكون " جَرَمَ " اسمَ " لا " مبنياً معها على الفتح ؛ كما تقدَّم ، وخبرها " أنَّ وما في حيِّزها ، أو على حذف حرف الجر[٢].

وقد وافق سيبويه في تفسير هذه الآية غير واحد من المفسرين ، ولو ذهب الباحث ينقل جميع ما وقف عليه ممن ذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه من المفسرين لطال الكلام وخرج إلى الملل والسآمة.

---

[١] الفراء : هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء ، كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ، أخذ عنه وعليه اعتمد ، وأخذ عن يونس ؛ وكان يحب الكلام ويميل إلى الاعتزال ، وكان متديّنا متورّعا ، على تيه وعُجْب وتعظّم ، وكان زائد العصبية على سيبويه ، وكتابه تحت رأسه،مات ٢٠٧هـــ بغية الوعاة (٣٣٣/٢).

[٢] اللباب في علوم الكتاب : أبو حفص عمر بن علي الحنبلي(١٠ / ٤٥٦) / دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ، ط / الأولى ، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.

لعــل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه: ٤٤).

نصّ تفسير الإمام سيبويه لهذه الآية من الكتاب (باب من النكرة يجري ما فيه الألف واللام) قال ــ رحمه الله ــ: قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾، فالعلم قد أتى من وراء ما يكون، ولكن اذهبا أنتما في رجائكما وطمعكما ومبلغكما من العلم، وليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما[١].

يفيد تفسير سيبويه هنا أنّ (لعل) في هذه الآية الكريمة باقية على معناها من الترجي، وأجاب عن سؤال ربما يطرحه القارئ هنا، وهو كيف ينسب الترجي إلى الله تعالى ؛ لان الترجي لا يكون إلا ممن يجهل عواقب الأمور، والله تعالى عالم الغيب والشهادة؟ فأجاب بأنّ هذا الترجي راجع إلى جهة البشر ، وهو هنا موسى وهارون عليهما السلام، ويوضّح هذا الكلام ويؤيده ما قاله الشيخ قبل هذه الآية بأسطر (العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون).

وبهذا التفسير قاله أكثر المفسرين، منهم الإمام القرطبي، فقد اعتمد على هذا التفسير وعزاه إلى سيبويه وإلى من سمّاهم رؤساء اللسان فقال: "لعل" على بابها من الترجي والتوقع، والترجي والتوقع إنما هو في حيز البشر، فكأنه قيل لهم: افعلوا ذلك على الرجاء منكم والطمع . هذا قول سيبويه ورؤساء اللسان قال سيبويه في قوله عز وجل: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه:٤٣ – ٤٤] قال معناه: اذهبا على طمعكما ورجائكما أن يتذكر أو يخشى[٢].

ومنهم فخر الدين الرازي، فقد أورد أوجها كثيرة في تفسير هذه الآية، ولكنه اختار ما ذهب إليه سيبويه بإيراده أولا، وإليك عبارته قال: والترجي والإشفاق لا يحصلان إلا عند الجهل بالعاقبة وذلك على الله تعالى محال، فلا بدّ فيه من التأويل وهو من وجوه : أحدها : أن معنى "لعل" راجع إلى العباد لا إلى

---

[١] كتاب سيبويه (١/ ٣٩٦).

[٢] الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي (١ /٢٢٧).

الله تعالى فقوله: {لَّعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} أي اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما في إيمانه، ثم الله تعالى عالم بما يؤول إليه أمره. وثانيها: أن من عادة الملوك والعظماء أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا لعل وعسى ونحوهما من الكلمات، أو للظفر منهم بالرمزة، أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك لم يبق للطالب شك في الفوز بالمطلوب فعلى هذا لطريق ورد لفظ لعل في كلام الله تعالى. وثالثها: ما قيل أن لعل بمعنى كي[١]: ومنهم ابن عجيبة[٢]، وهو ممن تناول تفسير سيبويه في هذه الآية واستحسنه فهاك كلامه ،فقد قال في تفسير هذه الآية كلاما جميلا أحببت أن أنقله برمته، وهذه عبارته: (فقولا له قولاً لينًا)، رَاجِيَيْنِ تذكرته، أي: باشرا وعظه مباشرةَ من يرجو ويطمع أن يُثمر علمُه ولا يخيب سعيُه. وفائدة هذا الإبهام: الحَثُّ على المبالغة في وعظه. هذا جواب سيبويه عن الإشكال، وهو أنه تعالى عَلِمَ أنه لا يؤمن، وقال: {لعله يتذكّر}، فصرف الرجاء إلى موسى وهارون، أي: اذهبا على رجائكما. وقال الوراق: قد تذكر حين ألجمه الغرق. وقال الزجاج: خاطبهم بما يعقلون. قلت: كونه تعالى علم أنه لا يؤمن هو من أسرار القدر الذي لا يكشف في هذه الدار، وهو من أسرار الحقيقة، وإنما بُعثت الرسل بإظهار الشرائع، فخاطبهم الحق تعالى بما يناسب التبليغ في عالم الحكمة، والله تعالى أعلم. وجدوى إرسالهما إليه، مع العلم بإحالته، إلزام الحجة وقطع المعذرة.[٣] ومنهم الشوكاني[٤].

---

[١] مفاتيح الغيب/ للفخر الرازي (١ /٢٥٦).

[٢] ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الشاذلي الفاسي ، مفسر صوفي ، من أهل مغرب ، له مؤلفات كثيرة ، منها شرح القصيدة المنفرجة ، وطبقات الأعيان المالكية ،ولد ١١٦٠ هـ وتوفي ١٢٢٤ هـ (الأعلام للزركلي ١ / ٢٤٥).

[٣] : البحر المديد ـ لا بن عجيبة الحسني الإدريسي (٤ / ٤٠٢) / دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

[٤] الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه محدث، من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء ، وولي قضاءها حتى توفي، له تآليف شهيرة، ـ منها نيل الأوطار،والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع وغير ذلك ، ولد ١١٧٣ هـ وتوفي ١٢٥٠ هـ (الأعلام للزركلي٦/٢٩٨).

فقد أيّد هذا التفسير واعتمده[١] أما الإمام الطبري فلم يذكر هذا التوجيه لمعنى «لعلَّ»، ويبدو أنه لم يعتمده، وإنما استحسن وصحَّح المعنيين الآخرين في تفسير (لعل).

الأول: أنَّ معناها ها هنا الاستفهام، قال: «كأنهم وَجَّهوا معنى الكلام إلى: ﴿ **فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا** ﴾ فانظرا: هل يتذكر فيُراجِعَ، أو يَخْشى اللهَ فيرتدعَ عن طغيانه ؟ ثم أوردَ روايةً مأثورة عن ابن عباس رضي الله عنه تؤيد ذلك، ولم يَرْتَضِ ابن عادل الحنبلي [٢] هذا القول حيث قال: وهذا قول ساقط، وذلك أنه يستحيل الاستفهام في حق الله تعالى كما يستحيل الترجي ، فإذا كان لا بد من التأويل فجَعْلُ اللفظ على مدلوله باقياً أولى من إخراجه عنه [٣]

الثاني: أن معنى «لعلَّ» هنا «كي». قال الطبري: «ووجَّهوا معنى الكلام إلى: اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فادْعُواه وعِظاه ليتذكر أو يخشى،كما يقول القائل: «اعمَلْ عَمَلَك لعلك تأخذ أجرك» بمعنى لتأخذَ أجرك».

والزمخشري عارض هذا المعنى الثاني الذي صحّحه الطبري، وذكر أن "لعل" لا تجيء في العربية بمعنى "كي"[٤]، ولكن الباحث لا يوافق الزمخشري على هذا الإنكار، فقد أثبت هذا المعنى لــ «لعلَّ» ابنُ السراج[٥] في (الأصول)[٦].

---

[١] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية : للشوكاني (٤ /٣٦٦) دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

[٢]وقد تعبت في البحث عن ترجمته فلم أجد له ترجمة ، وقال الزركلي في الأعلام : لم أجد له ترجمة .

[٣] اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي:(١٣/ ٦٥٣) دار الكتب العلمية – بيروت/ لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م.

[٤] الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(١ / ١٢٣).

[٥] ابن السراج: أبوبكر محمد بن السري بن السراج، النحوي اللغوي، أخذ عن المبرد والزجاج، وكان يرجح مسائل الأخفش والكوفيين، يقال: ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج بأصوله، لم تطل مدته ، مات شابا سنة ٣١٦ هـ (بغية الوعاة للسيوطي(١/ ١٠٩).

[٦] انظر: الأصول في النحو لا بن السراج النحوي البغدادي، (١/ ٢٥٩) مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

وابن الفارس[١] في (المقاييس)،[٢] واستدلا على ذلك بأدلة وفيرة ألزمتني أن أقتنع بها، وبعد أن عرض الطبري لمعنيَيْ الاستفهام والتعليل قال: «ولكلا هذين القولين وجه حسن ومذهب صحيح»[٣].

ومن خلال هذه النقول تبين أنّ الجمهور على هذا التفسير الذي اعتمده سيبويه ، والله أعلم .

---

[١] ابن الفارس: أحمد بن الفارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني، كان نحويا على طريقة الكوفيين... وكان شافعيا، فتحول مالكيا، وقال: أخذتني الحمية لهذا الإمام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه.. وكان كريما جوادا، ربما سئل فيهب ثيابه وفرش بيته. صنف: المجمل في اللغة، فقه اللغة، مقدمة في النحو، وذم الخطأ في الشعر، ومسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء. مات سنة٣٩٠هـ بالري، وهو أصح ما قيل في وفاته، بغية الوعاة للسيوطي (١ / ٢٥٢).

[٢] انظر : معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(٤ / ١٠) دار الفكر ط/: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن ، للطبري(١٨ / ٣١٣)

علمتم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (البقرة: ٦٥).

نصّ تفسير سيبويه لهذه الآية من الكتاب (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين) قال – رحمه الله تعالى– : وقد يكون علمت بمنزلة عرفت لا تريد إلا علم الأول. فمن ذلك قوله تعالى:"ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت"، وقال سبحانه: " وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " فهي هنا بمنزلة عرفت[1].

قرّر سيبويه أن الفعل «علم» في الآيتين تَضَمَّنَ معنى عَرَف، ثم وضع ضابطاً مفيداً في ذلك، فقال : «وقد يكون «علمتُ» بمنــزلة عَرَفْتُ، لا تريد إلا عِلْم الأول، فمن ذلك...» يعني ــ إذا أرَدْت به معرفة ذات الاسم، ولم تكن عارفاً به من قبل، كقولك: «علمتُ زيداً أي: عَرَفْتُه الآن ولم أكن أعرفُه من قبلُ، وليس بمنــزلة قولك: «علمتُ زيداً قائماً» إذا أَخْبَرْتَ عن معرفتِك بقيامه، وكنتَ عارفاً من قبل».

ولمَّا فسَّر الطبري آية البقرة المتقدمة فَسَّرها كتفسير سيبويه، ثم استشهد عليها بآية الأنفال، صنيعَ سيبويه، إذ قال : «يعني بقولــه ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ ﴾ ولقد عرفتم، كقولك: قد علمتُ أخاك ولم أكن أعلمه، يعني عرفتُه، ولم أكن أعرفه، كما قال: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ (الأنفال:٦٠) يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم» ثمّ عزا الطبري هذا التفسير إلى ابن عباس[2].

وكذلك القرطبي استحسن تفسير سيبويه في هذه الآية فحذا حذوه فقال: قوله تعالى : {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ} "علمتم" معناه عرفتم أعيانهم. وقيل: علمتم أحكامهم. والفرق بينهما أن المعرفة متوجهة إلى ذات المسمى. والعلم متوجه إلى أحوال المسمى. فإذا قلت: عرفت زيدا، فالمراد شخصه وإذا قلت:

---

[1] كتاب سيبويه/(١ / ٧٦).

[2] جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري(٢ / ١٦٦).

علمت زيدا، فالمراد به العلم بأحواله من فضل ونقص. فعلى الأول يتعدى الفعل إلى مفعول واحد، وهو قول سيبويه: "علمتم" بمعنى عرفتم. وعلى الثاني إلى مفعولين وحكى الأخفش ولقد علمت زيدا ولم أكن أعلمه. وفي التنزيل: "لا تعلمونهم الله يعلمهم} [الأنفال: ٦٠] كل هذا بمعنى المعرفة[١]) ومن القائلين بهذا التفسير أبو حيان[٢] والشوكاني[٣] وعمر بن عادل الحنبلي[٤] وغيرهم من أئمة المفسرين بل لم يخالفه واحد منهم على حسب علمي، والله أعلم.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(١ / ٤٣٩).

[٢] انظر : البحر المحيط / لأبي حيان الأندلسي(١ / ٤٠٨).

[٣] انظر : فتح القدير / للشوكاني(١ / ١٥١).

[٤] اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل(٢ / ١٤٥).

إلاّ بمعنى لكن :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ (يونس: ٩٨).

نصّ تفسير سيبويه لهذه الآية من الكتاب (باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن).

(فمن ذلك قوله تعالى:" فلولا كانت قرية آمنتْ فنفعها إيمانُها إلا قومَ يونسَ لمّا آمنوا " أي ولكن قوم يونس لما آمنوا)[1]. قرّر الشيخ في هذا الباب ضابطا مفيدا ، وهو أنّ(إلاّ) قد تأتي في القرآن الكريم بمعنى(لكن) ثمّ استشهد على ذلك بهذه الآية الكريمة، وفسّر قوله تعالى (إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟) بقوله: "أي ولكن قوم يونس لما آمنوا". ويفيد تفسير الشيخ هنا أنّ الاستثناء في هذه الآية الكريمة منقطع؛ وذلك أنّ ما بعد (إلاّ) لا يندرج تحت لفظ (قرية).

وعلى هذا التفسير مشى إمام المفسرين الطبري، وأعلّ نصب قوله تعالى:(إِلَّا قَوْمَ) بكون الاستثناء منقطعا حيث خالف المستثنى المستثنى منه في الجنس، إذ لو كانا متفقين في الجنس لوجب رفع المستثنى ، وهذه عبارته في تفسير هذه الآية (فاستثنى الله قوم يونس من أهل القرى الذين لم ينفعهم إيمانهم بعد نزول العذاب بساحتهم، وأخرجهم منهم، وأخبر خلقه أنه نفعهم أيمانهم خاصة من بين سائر الأمم غيرهم.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن قوله:(فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها)، بمعنى: فما كانت قرية آمنَت ، بمعنى الجحود، فكيف نصب "قوم" وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحدًا كان ما بعده مرفوعًا، وأن الصحيح من كلام العرب: "ما قام أحدٌ إلا أخوك"، و"ما خرج أحدٌ إلا أبوك"؟ **قيل:** إن ذلك فيما يكون كذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله، وذلك أن "الأخ " من جنس "أحد"، وكذلك "الأب"، ولكن لو اختلف الجنسان حتى يكون ما بعد الاستثناء

---

[1] كتاب سيبويه (٣٣٩/٢).

من غير جنس ما قبله، كان الفصيح من كلامهم النصبُ، وذلك لو قلت:"ما بقي في الدار أحدٌ إلا الوتدَ"، و"ما عندنا أحدٌ إلا كلبًا أو حمارًا"، لأن "الكلب"، و"الوتد"، و"الحمار"، من غير جنس "أحد" وهذا الاستثناء الذي يسميه بعض أهل العربية الاستثناء المنقطع)[١].

وكذلك القرطبي اعتمد على هذا التفسير، ولكنه زاد على أنّ هذا الاستثناء وإن كان منقطعا في اللفظ فهو متصل في المعنى، فقال: (ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى ثم استثنى قوم يونس؛ فهو بحسب اللفظ استثناء منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأن تقديره ما آمن أهل قرية إلا قوم يونس. والنصب في {قوم} هو الوجه، وكذلك أدخله سيبويه في (باب مالا يكون إلا منصوبا). قال النحاس: {إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ} نصب لأنه استثناء ليس من الأول، أي لكن قوم يونس)[٢]. ومن الذين قدّموا هذا التفسير إيرادا الزمخشري حيث قال: (إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ) استثناء من القرى؛ لأنّ المراد أهاليها ، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا . ويجوز أن يكون متصلاً والجملة في معنى النفي، كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلاّ قوم يونس)[٣]. والمفهوم من قول الزمخشري أنَّ المصحِّحَ لكونه متصلاً كونُ الكلام في معنى النفي، وليس كذلك بل المسوِّغ كونُ القرى يراد بها أهاليها من بابِ إطلاق المحلِّ على الحالِّ، فلو قدّر لفظ "أهل" كما قدّره القرطبي لكان صوابا، ولذلك قال ابن عادل الحنبلي:(وتقدير هذا المضاف هو الذي صحَّح كونه استثناء مُتَّصلاً)[٤]، ومن الذين اختاروا هذا التفسير الشوكاني[٥] ...

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن/ ابن جرير الطبري(١٥/٢٠٥).

[٢] الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي(٨/ ٣٨٣).

[٣] الكشاف عن حقائق التنزيل/ للزمخشري(٢/ ٣٥٣).

[٤] اللباب في علوم الكتاب/ لابن عادل الحنبلي(١٠ / ٤١٤).

[٥] انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية / للشوكاني (٢/ ٦٨٦).

وابن عطية[1]،[2]. وغيرهم من المفسّرين، والباحث لم يعثر على ما يلقى له بال يخالف ما ذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية ، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (هود: ٤٣).

نصّ تفسير سيبويه لهذه الآية من الكتاب في الباب السابق ، قال ــ رحمه الله ــ فمن ذلك قوله تعالى: " لا عاصمَ اليومَ من أمر الله إلا مَن رحم " أي ولكن من رحم). [3]

يفيد تفسير سيبويه في هذه الآية الكريمة أنّ هذا الاستثناء استثناءٌ منقطع، وأنّ (إلا) بمعنى (لكن) وذلك أن تجعل "عَاصماً" على حقيقته، و"مَنْ رَحِمَ" هو المعصوم، وفي "رَحِمَ" ضميرٌ مرفوعٌ يعودُ على الله تعالى، ومفعولهُ ضميرُ الموصولِ وهو " مَنْ " حُذِف لاستكمالِ الشروطِ ، والتقديرُ: لا عاصم اليوم ألبتة من أمر الله ، لكن من رحمه الله فهو معصوم، فخالف المستثنى المستثنى منه، فالمستثنى منه عاصم ، والمستثنى منه معصوم.

وهذا التفسير اختاره كثير من المفسّرين ،منهم أبو حيان، فقد اعتمد عليه بتقديمه على غيره، فقال: (والظاهر إبقاء عاصم على حقيقته وأنه نفي كل عاصم من أمر الله في ذلك الوقت، وأنّ من رحم يقع فيه من على المعصوم. والضمير

([1]) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (١٦١/٢) دار الكتب العلمية – لبنان الطبعة الأولى– ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.

([2])ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من أهل غرناطة، يكنى أبا محمد، أحد القضاة بالبلاد الأندلسية، وصدور رجالها. وبيته بيت علم، وفضل، وكرم، ونبل. وكان هذا القاضي رحمه الله فقيهاً، نبيهاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير، أديباً بارعاً، شاعراً، لغوياً ضابطاً، ولي القضاء بمدينة المرية. وألف كتابه المسمى ب المحرر الوجيز في التفسير؛ فجاء من أحسن تأليف وأبدع تصنيف: مولده سنة ٤٨١. وتوفي سنة ٥٤١: تاريخ قضاة الأندلس/ أبو الحسن بن عبد الله المالقي الأندلسي(١٠٩/١): دار الآفاق الجديدة – بيروت/ لبنان – الطبعة الخامسة ــ١٤٠٣ هـ.

([3]) كتاب سيبويه(٣٣٩/٢).

الفاعل يعود على الله تعالى، وضمير الموصول محذوف، ويكون الاستثناء منقطعاً أي : لكنْ من رحمه الله معصوم). [1]

ومنهم الشوكاني قال: قوله تعالى:{لا عاصم اليوم من أمر الله} أي لا مانع فإنه يوم قد حق فيه العذاب وجف القلم بما هو كائن فيه نفي جنس العاصم فيندرج تحته العاصم من الغرق في ذلك اليوم اندراجا أوليا وعبر عن الماء أو عن الغرق بأمر الله سبحانه تفخيما لشأنه وتهويلا لأمره والاستثناء قال الزجاج: هو منقطع: أي لكن من رحمه الله فهو يعصمه فيكون {من رحم} في موضع نصب. [2]

ومنهم القرطبي فقد قدّم هذا التفسير على غيره فقال: قوله تعالى: {قَالَ سَآوِي} أي ارجع وانضم. {إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي} أي يمنعني {مِنَ الْمَاءِ} فلا أغرق. {قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} أي لا مانع ؛ فإنه يوم حق فيه العذاب على الكفار. وانتصب {عَاصِمَ} على التبرئة. ويجوز {لا عَاصِمَ الْيَوْمَ} تكون لا بمعني ليس. {إِلاَّ مَنْ رَحِمَ} في موضع نصب استثناء ليس من الأول؛ أي لكن من رحمه الله فهو يعصمه). [3]

وأما ابن جرير الطبري فلم يعجبه ماذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية من جعل(إلا ّ) بمعنى (لكن) والاستثناء منقطعا، بل أنكره وجعله مما لا وجه له بعد عزوه إلى من سمّاهم نحويّي البصرة، فقال: وقال بعض نحويّي البصرة:(لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم)، على: "لكن من رحم"، ويجوز أن يكون على: لا ذا عصمة: أي : معصوم، ويكون(إلا من رحم)، رفعًا بدلا من "العاصم". قال أبو جعفر: ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء، لأن كلام الله تعالى إنما يُوَجَّه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه، ما وُجِد إلى ذلك سبيل،ولم يضطرَّنا شيء إلى أن نجعل "عاصمًا" في معنى معصوم"، ولا أن نجعل "إلا" بمعنى "لكن"، إذ كنا نجد لذلك في معناها الذي هو معناه في المشهور من

([1]) البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي(٢٢٤/٥).

([2]) فتح القدير / الشوكاني(٢٢/٢).

([3])الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٣٩/٩)

كلام العرب مخرجًا صحيحًا، وهو ما قلنا من أنَّ معنى ذلك:لا عاصم اليوم من أمر الله ، إلا من رحمَنا فأنجانا من عذابه. [١]

ويرى الباحث: أنّ ما ذهب إليه الطبري من نقده لكلام سيبويه في هذه الآية هو الصواب؛ وذلك أنّه إذا أمكن حمل كلام الله تعالى على وجه لا يُحوج إلى التأويل ولا إلى إخراج الكلمة عن معناها الأصلي فهو أولى من غيره، وقد أورد ابن عطية تفسير سيبويه في هذه الآية على صيغة التمريض مما يوحي إلى أنّه لم يرتضه. [٢]

وكذلك صنعه الزمخشري[٣] ويرى الباحث أنّ الطبري لا يعني بقوله (نحويّي البصرة) إلا الإمام سيبويه، ولكنه اعتاد الطبري أن لا يصرّح باسم سيبويه في المسائل التي يعزوها إليه !!

والحاصل أنّه يجوز في هذه الآية أربعة أوجه:

الأول: أنَّهُ استثناءٌ منقطع، وذلك أن تجعل "عَاصماً" على حقيقته، و" مَنْ رَحِمَ " هو المعصوم، وفي "رَحِمَ" ضميرٌ مرفوعٌ يعودُ على الله تعالى، ومفعولهُ ضميرُ الموصولِ وهو " مَنْ " حذف لاستكمالِ الشروطِ، والتقديرُ: لا عاصم اليوم ألبتة من أمر الله ، لكن من رحمه الله فهو معصوم.

الثاني: أن يكون المراد ب " مَنْ رَحِمَ " هو الباري تعالى كأنه قيل: لا عاصم اليومَ إلاَّ الرَّاحمَ.

الثالث: أنَّ عاصماً بمعنى معصُوم، وفاعل قد يجيءُ بمعنى مفعول نحو قوله تعالى: ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ (الطارق: ٦) أي: مَدْقُوق؛ و"مَنْ " مرادٌ بها المعصومُ، والتقدير: لا معصوم اليوم من أمْرِ الله إلاَّ من رحمه الله فإنَّه يُعْصَمُ.

الرابع: أن يكون "عاصم" هنا بمعنى النَّسب، أي: ذا عِصْمَة نحو: لابن وتامر، وذو العصمة ينطلق على العاصم وعلى المعصوم، والمراد به هنا المعصوم. [٤]

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري(١٥/ ٣٣١).

(٢) انظر : المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية(٣/١٩٠).

(٣) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٢/٣٧٥)..

(٤) اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(١٠/ ٤٩٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ هود: [١١٦].

فسّر سيبويه هذه الآية الكريمة في الباب السابق، فقال – رحمه الله–: (وقوله عز وجل: " فلولا كانَ من القرون من قبلِكم أولوا بقيةٍ ينهونَ عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم"، أي ولكن قليلاً مما أنجينا منهم)[1].

يفيد تفسر سيبويه هنا أنّ (إلا) في هذه الآية الكريمة بمعنى (لكن) والاستثناء منقطع ، وهذا التفسير عليه أكثر المفسّرين، منهم إمامهم أبو جعفر الطبري؛ فإنّه لم يذكر في تفسير هذه الآية إلا الوجه الذي اختاره سيبويه، وأفاد أنّ هذه الآية نظير الآية المتقدّمة في سورة يونس فقال: القول في تأويل قوله تعالى:﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِى الأَرْضِ إِلا قَلِيلا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ .هود :١٦.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: فهلا كان من القرون الذين قصصت عليك نبأهم في هذه السورة، الذين أهلكتهم بمعصيتهم إياي، وكفرهم برسلي من قبلكم.(أولو بقية)، يقول: ذو بقية من الفهم والعقل، يعتبرون مواعظَ الله ويتدبرون حججه، فيعرفون ما لهم في الإيمان بالله ، وعليهم في الكفر به (ينهون عن الفساد في الأرض)، يقول: ينهون أهل المعاصي عن معاصيهم، وأهل الكفر بالله عن كفرهم به، في أرضه (إلا قليلا ممن أنجينا منهم)، يقول: لم يكن من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، إلا يسيرًا، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد في الأرض، فنجاهم الله من عذابه، حين أخذ من كان مقيمًا على الكفر بالله عذابُه وهم أتباع الأنبياء والرسل، ونصب "قليلا" لأن قوله:(إلا قليلا) استثناء منقطع مما قبله، كما قال:(إِلا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا).

---

[1] كتب سيبويه(٣٣٩/٢)

فالطبري وإن لم يصرّح بكون (إلا) في هذه الآية بمعنى (لكن) لكنّ قوله: "استثناء منقطع" لا يصدق إلا على معنى (لكن)

وقد صرّح القرطبي بما أبهمه الطبري فقال: قوله تعالى: {فَلَوْلا كَانَ} أي فهلا كان. {مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ} أي من الأمم التي قبلكم. {أُولُو بَقِيَّةٍ} أي أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر. {يَنْهَوْنَ} قومهم. {عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ} لما أعطاهم الله تعالى من العقول وأراهم من الآيات؛ وهذا توبيخ للكفار. وقيل: ولولا ههنا للنفي ؛ أي ما كان من قبلكم ؛ كقوله : { فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ} أي ما كانت. {إِلاَّ قَلِيلاً}استثناء منقطع؛ أي لكن قليلا. {مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} نهوا عن الفساد في الأرض[1].

وكذلك الشوكاني مشى على ما ذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية[2]، وقد بالغ فخر الدين الرازي حيث ذكر أنّه لا يجوز في هذه الآية إلا كون الاستثناء منقطعا وكون (إلا) بمعنى (لكن) فقال: (والمعنى فلولا كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى ثم قال(إِلاَّ قَلِيلاً) ولا يمكن جعله استثناء متصلاً لأنه على هذا التقدير يكون ذلك ترغيباً لأولي البقية في النهي عن الفساد إلا القليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المرغبين في قراءة القرآن وإذا ثبت هذا قلنا إنه استثناء منقطع والتقدير لكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهو اعن الفساد وسائر تاركون للنهي)[3].

لكنّ الباحث يرى أنّه يجوز في هذا الاستثناء أن يكون متصلا، وذلك بأن يؤوّل التحضيض بمعنى النَّفي، فيصحَّ ذلك؛ إلاَّ أنَّهُ يُؤدِّي إلى نصب غير الموجب، وإن كان غير النصب أولى فيكون التقدير ماكان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، وقد نبه على هذا الوجه ولا حظ فيه الزمخشري فقال: فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه؟ قلت: إن جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام ، كان

---

[1] الجامع لأحكام القرآن / للقرطبي(١١٣/٩)

[2] انظر : فتح القدير / الشوكاني(٧٧٠/٢)

[3] مفاتيح الغيب / فخر الدين(٦٠/١٨)

المعنى فاسداً ؛ لأنه يكون تخصيصاً لأولى البقية على النهي عن الفساد ، إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم ، تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت: في تحضيضهم على النهي على الفساد معنى نفيه عنهم ، فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً، كان استثناء متصلا ومعنى صحيحاً[1].

وخلاصة القول أنّ هذا التفسير الذي اختاره سيبويه عليه جمهور المفسرين ولكنّ الذي يؤخذ على سيبويه ومن تبعه في ذلك أنّه يرى أنّه لا يجوز في هذا الاستثناء إلا كونه منقطعاً ولا في (إلا) إلا كونها بمعنى (لكن) بدليل أنه ذكر في هذه الآية في باب(ما لا يكون إلا بمعنى "لكن").

---

[1] الكشاف عن حقائق التنزيل /الزمخشري(٢/٤٠٢).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحج: ٤٠).

فسر الإمام سيبويه هذه الآية في الباب السابق فقال: (وقوله عز وجلّ: "أُخرِجوا من ديارهم بغير حقّ إلا أن يقولوا ربُّنا الله "، أي ولكنهم يقولون: ربُنا الله)[١].

سلك سيبويه في تفسير هذه الآية مسلك الآيات المتقدّمة، واعتمد على أنّ (إلا) في الآية بمعنى (لكن) وأنّ إلا استثناء منقطع، فيكون قوله تعالى: (إِلَّآ أَن يَقُولُواْ) في محل نصب. وهذا التفسير اختاره الإمام القرطبي بإيراده أولا وعزاه إلي سيبويه، حيث قال: (قوله تعالى: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ} هذا أحد ما ظلموا به؛ وإنما أخرجوا لقولهم: ربنا الله وحده. فقوله: ﴿ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾ (الحج:٤٠) استثناء منقطع؛ أي لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه)[٢].

وممن قدّم هذا التفسير على غيره وعزاه إلى سيبويه الشوكاني[٣] أما ابن عطية فقد أورد في هذه الآية وجهين ثمّ صرّح أنّ تفسير سيبويه أصوب وأرجح من غيره فقال: وقوله تعالى: "إلا أن يقولوا ربنا الله " استثناء منقطع ليس من الأول هذا قول سيبويه ولا يجوز عنده فيه البدل وجوزه أبو إسحاق والأول أصوب[٤]. وكذلك السمعاني[٥] اعتمد على هذا التفسير وعزاه إلي سيبويه فقال: إلا أن يقولوا ربنا الله قال سيبويه: هذا استثناء منقطع.

---

[١] كتاب سيبويه(٣٣٩/٢)

[٢] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي(٦٩/١٢).

[٣] انظر : فتح القدير / الشوكاني(٣/ ٦٥٣).

[٤] المحرر الوجيز / ابن عطية (٤/ ١٥٣)

[٥] السمعاني: هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، الحافظ المفسر، وحيد عصره في وقته فضلاً، وطريقة، وزهداً، وورعاً، من بيت العلم والزّهد. تفقّه بأبيه، وصار من فحول أهل النّظر، وأخذ يطالع كتب الحديث، وحجّ، فلمّا رجع إلى وطنه، ترك طريقته التي ناظر عليها أكثر من ثلاثين سنة، وتحوّل شافعيّاً. وكانت له يد طولى في فنون كثيرة، وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث، والبرهان والقواطع في أصول الفقه، توفي ٤٨٩هـ تاريخ الإسلام/ الذهبي(٣٣/ ٣٢١).

ومعناه: لكن أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا الله[1].

وأما الطبري فقد اختار أنّ قوله تعالى: {إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ} في محل جر بدل من قوله تعالى:{ بِغَيْرِ حَقٍّ }وأورد تفسير سيبويه على صيغة يشمّ منها رائحة التمريض والتضعيف، حيث قال: وقوله:(إِلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) يقول تعالى ذكره: لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم: ربنا الله وحده لا شريك له! فأن في موضع خفض ردّا على الباء في قوله:(بِغَيْرِ حَقٍّ) ، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء.)[2].

ومن الذين اعتمدوا على البدلية الزمخشري بل لم يذكر في هذه الآية غيرها حيث يقول: أَن يَقُولُواْ (في محل الجرّ على الإبدال من) حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ (أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير)[3].

ويرى الباحث: أنّ الراجح هو ماذهب إليه سيبويه ومن وافقه من أنّ قوله تعالى:{ أَن يَقُولُواْ } منصوب على الاستثناء المنقطع ،وأنّ (إلا) بمعنى لكن وهذا مما أجمعت العرب على نصبه، لأنه منقطع لا يمكن توجه العامل إليه ، وما كان كذا أجمعوا على نصبه نحو: ما زاد إلا ما نقص، وما نفع إلا ما ضر. فلو توجه العامل جاز فيه لغتان: النصب وهو لغة الحجاز، وأن يكون كالمتصل في النصب والبدل نحو ما فيها أحد إلا حمار. وإنما كانت الآية الكريمة من الذي لا يتوجه عليه العامل ، لأنك لو قلت: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله لم يصح.

وقد ذكر أبو حيان كلاما جميلا في الردّ على من أجاز البدلية في هذه الآية، وقد استحسن الباحث نقل عبارته برمّــتها،قال ــ رحمه الله تعالى ــ قوله تعالى: (إِلا أَن يَقُولُواْ) (في موضع نصب لأنه منقطع لا يمكن توجه العامل عليه، فهو مقدر

---

[1] تفسير السمعاني/ أبو المظفر السمعاني(٣/ ٤٤٢) الناشر دار الوطن – الرياض.
سنة النشر ١٤١٨هـــ- ١٩٩٧مكان النشر السعودية.

[2] جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري(٦٤٦/١٨).

[3] الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري(٣/ ١٦١).

بلكن من حيث المعنى لأنك لو قلت) (الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم) (إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ) (لم يصح بخلاف ما في الدار أحد إلاّ حمار ، فإن الاستثناء منقطع ويمكن أن يتوجه عليه العامل فتقول : ما في الدار إلاّ حمار فهذا يجوز فيه النصب والرفع النصب للحجاز والرفع لتميم بخلاف مثل هذا فالعرب مجمعون على نصبه وأجاز أبو إسحاق فيه الجر على البدل واتّبعه الزمخشري فقال) أَن يَقُولُواْ (في محل الجر على الإبدال من) حَقّ (أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتبشير، ومثله) (هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ ءامَنَّا) انتهى.

وما أجازاه من البدل لا يجوز لأن البدل لا يكون إلاّ إذا سبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي، نحو: ما قام أحد إلاّ زيد، ولا يضرب أحد إلاّ زيد، وهل يضرب أحد إلاّ زيد ، وأما إذا كان الكلام موجباً أو أمراً فلا يجوز البدل: لا يقال قام القوم إلاّ زيد على البدل ، ولا يضرب القوم إلاّ زيد على البدل ، لأن البدل لا يكون إلاّ حيث يكون العامل يتسلط عليه ، ولو قلت قام إلاّ زيد، وليضرب إلاّ عمر ولم يجز . ولو قلت في غير القرآن أخرج الناس من ديارهم إلاّ بأن يقولوا لا إله إلاّ الله لم يكن كلاماً هذا إذا تخيل أن يكون) (إِلاَّ أَن يَقُولُواْ) (في موضع جر بدلاً من غير المضاف إلى) "حَقّ" (وإما أن يكون بدلاً من حق كما نص عليه الزمخشري فهو في غاية الفساد لأنه يلزم منه أن يكون البدل يلي غيراً فيصير التركيب بغير) (إِلاَّ أَن يَقُولُواْ) (وهذا لا يصح، ولو قدرت) إلا (بغير كما يقدر في النفي في ما مررت بأحد إلاّ زيد فتجعله بدلاً لم يصح، لأنه يصير التركيب بغير غير قولهم) "رَبُّنَا اللَّهُ" (فتكون قد أضفت غيراً إلى غير وهي هي فصار بغير غير)[1]

والحاصل أنّ تفسير سيبويه هو أرجح التفاسير في هذه الآية الكريمة، والله أعلم .

---

[1] البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي (٦/ ٣٤٦).

نفســـا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤ ﴾ (النساء: ٤).

تناول سيبويه هذه الآية الكريمة في باب (الصفة المشبهة بالفاعل) وذكر أن لفظ الواحد قد يأتي بمعنى الجمع واستشهد على ذلك بقول الشاعر[١].

لا تُنْكِـــروا القتلَ وقد سُبِينا ... في حَلْقكـــم عَظْمٌ وقد شَجِيْنـــا

ثمّ قال :

ومثل ذلك "في الكلام " قوله تبارك وتعالى: "فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً "[٢].

يفيد تفسير سيبويه هنا أنّ (نفسا) في هذه الآية الكريمة بمعنى الجمع ، فيكون معنى الآية فإن طالت نفوسهن بإعطاء المهر لكم لا لحياء عرض لهن منكم أو من غيركم ، ولا لاضطرارهن إلى الذل فكلوه هنيئا مريئا .

ولمَّا فسَّر الطبري هذه الآية فَسَّرها كتفسير سيبويه، ثم استشهد عليها بما استشهد به سيبويه من قول الشاعر، صنيعَ سيبويه، إذ قال:وإن قال قائل: فكيف قيل:"فإن طبن لكم عن شيء منه نفسًا"، وقد علمت أنّ معنى الكلام: فإن طابت لكم أنفسهن بشيء؟ وكيف وُحِّدت"النفس"، والمعنى للجميع؟ وذلك أنه تعالى ذكره قال:"وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة": قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أن"النفس" وقع موقع الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد، مؤدِّيةً معناه إذا ذكر بلفظ الواحد، وأنه بمعنى الجمع كما قال: (فِي حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا)[٣].

---

[١] الرجز لطفيل/ لسان العرب (٤٢٣/١٤) (شجا) اللغة، شجي بالعظم: إذا اعترض في حلقه وأغصّه، والمعنى : يذكر قومًا سبوا من قومه ، فجاء قومه فقتلوا منهم، فقال لهم: لا تنكروا قتلنا لكم، وقد وقع علينا السباء؛ فإن نكن قتلنا منكم حتى صار القتل في حلوقكم كالعظم اعترض في مجراها، ففي حلوقنا نحن أيضًا شجا قد اعترض، هو سباؤكم من سبيتم منا. يقول: هذه بهذه. والشاهد قوله: "في حلقكم"، وقد أراد"حلوقكم".

[٢] كتاب سيبويه(٢٧١/١).

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن/ القرطبي(٥٥٧/٤).

ومشى الرازي على مثل هذا الأسلوب في تفسير هذه الآية حيث قال: (نفسا نصب على التمييز والمعنى طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق بنقل الفعل من الأنفس إليهن فخرجت النفس مفسرة كما قالوا أنت حسن وجها والفعل في الأصل للوجه فلما حول إلى صاحب الوجه خرج الوجه مفسراً لموقع الفعل ومثله قررت به عيناً وضقت به ذرعا) [١].

وهذا أيضا اختيار ابن عادل الحنبلي[٢] وغيره من المفسرين، ولعلّ هذه النقول كافية للحكم بأنّ تفسير سيبويه لهذه الآية عليه الجمهور.

وتوضيحا للسبب الذي حمل المفسرين على هذا التأويل لاَ بُدَّ مِنَ التعرُّض لقاعدةٍ يَحسن إيرادها في هذا المجال، وهي أنَّه إذا وقع تمييز بعد جمع منصوب فلا يخلو: إمَّا أن يكون موافقاً لما قبله نحو: كَرُمَ الزيدون رجالاً، كما يطابقهُ خبراً وصفةً وحالاً .وإن كان الثاني: فإمَّا أن يكونَ مفرد المدلول أو مختلفة ، فإن كان مفردَ المدلول وَجَبَ إفرادُ التمييز كقولك في أبناء رجل واحد: كَرُمَ بنو زيدٍ أباً أو أصلاً، أي: إنَّ لهم جميعهم أباً واحداً متصفاً بالكرمِ، ومثله "كَرم الأتقياء سَعْياً"، إذا لم تَقصدْ بالمصدر اختلافَ الأنواع لاختلاف محالَّه، وإنْ كَانَ مختلفَ المدلول: فإما أن يُلبِسَ إفرادُ التمييز لو أُفرد أولاً، فإن أَلْبَسَ وَجَبَت المطابقُ نحو: كَرُمَ الزيدون آباء، أي: أن لكل واحد أباً غير أب الآخر يتصفُ بالكرمِ، ولو أفردت هنا لَتُوُهِّم أنهم كلَّهم بنو أبٍ واحد، والغرضُ خلافه، وإنْ لم يُلبس جاز الأمران المطابقة والإفراد، وهو الأوْلى، ولذلك جاءت عليه هذه الآية[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي(١٤٧/٩).

[٢] انظر : اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي (١٧٣/٦).

[٣] البحر المحيط / أبوحيان الأندلسي(١٧٥/٣).

حجرا محجوراً :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٢).

تناول الإمام سيبويه هذه الآية الكريمة بالتفسير في (باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل) فقال: (ومثل هذا قوله جل ثناؤه: "ويقولون حجراً محجوراً، أي حراماً محرماً، يريد به البراءة من الأمر ويبعد عن نفسه أمراً، فكأنه قال: أحرم ذلك حراماً محرماً.ومثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حجراً، أي ستراً وبراءة من هذا. فهذا ينتصب على إضمار الفعل، ولم يرد أن يجعله مبتدأ خبره بعده)[١].

فسّر سيبويه هذه الآية تفسيراً تحليلياً وإجمالياً، ولنا وقفة على كلا التفسيرين، فالتحليلي: هو تفسيره كلمة "حجرا" بـــ"حراما"وهذا ما ذكره أئمّة اللغة في معنى هذه الكلمة، و هاك ما قالوه:(حَجَرَ القاضي عليه منعه من التصرف في ماله وبابه نصر وحَجْر الإنسان بكسر الحاء وفتحها واحد الحُجُورُ و الحُجْرُ بكسر الحاء وضمها وفتحها الحرام والكسر أفصح وقرئ بهن قوله تعالى {وحرث حجر} ويقول المشركون يوم القيامة إذا رأوا ملائكة العذاب {حجرا محجورا} أي حراما محرما يظنون أن ذلك ينفعهم ما كانوا يقولونه في الدار الدنيا لمن يخافونه في الشهر الحرام و الحُجْرةُ حظيرة الإبل ومنه حجرة الدار تقول احْتَجَرَ حُجْرةً أي اتخذها والجمع حُجَرٌ كغرفة وغرف و حُجُراتٌ بضم الجيم و الحِجْرُ العقل قال الله تعالى { هل في ذلك قسم لذي حجر } و الحِجْرُ أيضا حجر الكعبة وهو ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال والحجر أيضا منازل ثمود ناحية الشام عند وادي القرى ومنه قوله تعالى {كذب أصحاب الحجر المرسلين} والحجر أيضا الأنثى من الخيل)[٢].

---

[١] كتاب سيبويه(١/٣٩٠)

[٢] مختار الصحاح / محمد بن أبي بكر الرازي(١/١٦٧) (حجر)

وكلمتا "حجرا محجورا" كانت العرب يستعملونهما فيما قبل الإسلام لمعنيين، وفي ذلك يقول السيوطي: ومما كانت العرب تستعمله ثم تُرك قولهم: حجْراً مَحْجُوراً وكان هذا عندهم لمعنيين:

أحدهما: عند الحرْمان إذا سئل الإنسانُ قال: حجْراً مَحْجوراً ،فيعلمُ السامعُ أنه يريد أن يحرمه والوجه الآخر: الاستعاذة كان الإنسانُ إذا سافر فرأى من يخافُه قال: حجْراً محجوراً أي حرام عليك التعرّض لي وعلى هذا فسرّ قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (الفرقان: ٢٢) يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا[١].

أما تفسير سيبويه الإجمالي فقد اعتمد على أنّ قائلي هذه الجملة "حجرا محجورا" هم المجرمون بمعنى أنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه في الدنيا ، ثم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون، فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة.

وهذا التفسير أصله عند مجاهد وابن جريج ،واستظهره أبو حيان ورجّحه على غيره وعزاه إلى مجاهد وابن جريج ، وذكر وجها ثانيا للآية وهو أنّ القائلين هم الملائكة، ولكنه أورد هذا الوجه على صيغة التمريض، وفي ذلك يقول: (والظاهر أن الضمير في) "وَيَقُولُونَ" (عائد على القائلين لأن المحدث عنهم كانوا يطلبون نزول الملائكة، ثم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلاّ بما يكرهون فقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو ونزول الشدة وقال معناه مجاهد قال) "حِجْراً" (عواذاً يستعيذون من الملائكة . وقال مجاهد وابن جريج : كانت العرب إذا كرهت شيئاً قالوا حجراً، وقيل: الضمير في) وَيَقُولُونَ (عائد على الملائكة أي تقول الملائكة للمجرمين) "حِجْراً مَّحْجُوراً"[٢].

---

[١] المزهر/ جلال الدين السيوطي(٢٣٧/١) ذكره في النوع العشرين في الألفاظ الإسلامية.

[٢] البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي(٤٥٢/٦)

واعتمد أبو السعود[١] أيضا ما اعتمد عليه سيبويه من أنّ الضمير في" ويقولون" عائد على المجرمين ، وذكر أنّ عود الضمير إلى الملائكة ليس بواضح فقال : والمعنى أنهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه وهم إذا رأوهم كرهوا لقاءهم أشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولونه عند نزول خطب شنيع وحلول بأس شديد فظيع ومحجورا صفة لحجرا وإرادة للتأكيد كما قالوا ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة إقناطا للكفرة بمعنى حراما محركا عليكم الغفران أو الجنة أو البشرى أي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح)[٢].

والزمخشري أيضا مشى على هذا المنوال، وضعّف قول من قال: إنّ الضمير يرجع إلى الملائكة[٣].

أما الطبري فقد اختار أنّ الضمير يرجع إلى الملائكة ؛لأنّه بعد ذكره الخلاف الوارد في ذلك أردف قائلا: قوله تعالى:(وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا) يعني أن الملائكة يقولون للمجرمين حجرا محجورا، حراما محرّما عليكم اليوم البشرى أن تكون لكم من الله قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك ــ أي أنّ الضمير يرجع إلى الملائكة ــ من أجل أن الحِجْر هو الحرام، فمعلوم أن الملائكة هي التي تخبر أهل الكفر أن البُشرى عليهم حرام. وأما الاستعاذة فإنها

---

[١] أبو السعود: هو محمد بن محمد بن مصطفى، العمادى، الحنفى ولد سنة٨٩٨، بقرية قريبة من القسطنطينية، وهو من بيت عُرف أهله بالعلم والفضل حتى قال بعضهم فيه: تَربَّى فى حجر العلم حتى رَبَى، وارتضع ثدي الفضل إلى أن ترعرع وحَبَا،.قرأ كثيراً من كتب العلم على والده، وتتلمذ لكثير من جلَّة العلماء، فاستفاد منهم علما جمّاً، وتولى التدريس في كثير من المدارس التركية، ثم قُلِّد قضاء بروسة ثم نُقل إلى قضاء القسطنطينية، ثم نُقل إلى قضاء ولاية العسكر، ودام على قضائها مدة ثمان سنين، ثم تولى أمر الفتوى بعد ذلك، فقام بها خير قيام بعد أن اضطرب أمرها بانتقالها من يد إلى يد، ومكث في منصب الإفتاء نحواً من ثلاثين سنة أظهر فيها الدقة العلمية التامة، توفي ٩٨٢هـ شذرات الذهب/ ابن عماد الحنبلي (٣٦١/٨).

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم /محمد بن محمد العمادي أبو السعود (٢١٢/٦): دار إحياء التراث العربي – **بيروت**/ بدون تاريخ.

[٣] انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري (٢٧٨/٣).

الاستجارة، وليست بتحريم، ومعلوم أن الكفار لا يقولون للملائكة حرام عليكم، فيوجه الكلام إلى أن ذلك خبر عن قيل المجرمين للملائكة)[1].

ويرى الباحث أنّ ما اختاره سيبويه ومن تبعه في أنّ الضمير راجع إلى المجرمين هو أظهر القولين وإيضاحه: أن الكفار الذين اقترحوا إنزال الملائكة إذا رأوا الملائكة توقعوا العذاب من قبلهم، فيقولون حينئذٍ للملائكة: {حِجْراً مَحْجُوراً} أي: حراماً محرماً عليكم أن تسمونا بسوء أي لأننا لم نركتب ذنباً نستوجب به العذاب، ويؤيّده سياق الآية، ومن المقرّر عند الجميع أنّ الضمير يعود إلى أقرب المذكور، والله أعلم

[1] جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (٢٥٤/١٩)

كـــان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

تناول سيبويه هذه الآية بالتفسير في (باب ما يضمر فيه الفعل) فقال مستشهدا لذلك بهذا البيت:

قد قيـــل ذلك إن حقاً وإن كذبـــاً ... فما اعتـــذارك من شيءٍ إذا قيـــلا

والرفع يجوز على قوله إن كان فيه حق وإن كان فيه باطل، كما جاز ذلك في: إن كان في أعمالهم خير. ويجوز أيضاً على قوله: إن وقع حق وإن وقع كذب. ومن ذلك قوله عز وجل: "وإن كان ذو عسرةٍ فنظرةٌ إلى ميسرةٍ "[١].

يفيد كلام سيبويه في هذا الباب أنّه يجوز حذف كان مع اسمها بعد (إن) الشرطية، فاستشهد لذلك بهذا البيت ، ثمّ ذكر أنّه يجوز الرفع في قول الشاعر" إن حقاً وإن كذباً" على جعل كان المحذوفة تامّة بمعنى وقع، فيكون التقدير قد قيل ذلك إن وقع حق وإن وقع كذب، ثمّ نظّر ذلك بقوله تعالى: (وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ) ومقصود سيبويه أنّ (كان) في هذه الآية تامّة بمعنى وقع، فيكون معنى الآية على ما ذهب إليه سيبويه وإن وقع ذو عسرة من المدين فعليكم أن تنتظروه حتى ييسّر الله ويفتح عليه.

وهذا اختيار جمهور المفسرين منهم القرطبي ،فقد اعتمد على هذا التفسير وعزاه إلى سيبويه فقال: العسرة ضيق الحال من جهة عدم المال ، ومنه جيش العسرة. والنظرة التأخير. والميسرة مصدر بمعنى اليسر. وارتفع "ذو" بكان التامة التي بمعنى وجد وحدث، هذا قول سيبويه)[٢].

ومنهم الرازي فإنـــــّه أيّد هذا التفسير بتقديمه على غيره فقال: في {كَانَ} في هذه الآية وجهان الأول: أنها بمعنى وقع وحدث، والمعنى: وإن وجد ذو عسرة، ومقصود الآية إنما يصح على هذا اللفظ وذلك لأنه لو قيل: وإن كان ذا

---

[١] كتاب سيبويه(٣١٨/١).

[٢] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي(٣٧٣/٣).

عسرة لكان المعنى: وإن كان المشتري ذا عسرة فنظرة، فتكون النظرة مقصورة عليه، وليس الأمر كذلك، لأن المشتري وغيره إذا كان ذا عسرة فله النظرة إلى الميسرة الثاني: أنها ناقصة على حذف الخبر، تقديره وإن كان ذو عسرة غريماً لكم)[١] ومن الذين أيّدوا هذا التفسير وقدّموه على غيره ابن عطية[٢] والزمخشري[٣] والشوكاني[٤] وعزاه إلى سيبويه وغيرهم من كبار المفسرين.

أما الطبري فقد أجاز وجهين في (كان) في هذه الآية لكنّه اختار كونها ناقصة على أصل وضعها بإيراده أوّلا ، وذكر أنّ الوجه الذي ذكره سيبويه صحيح أيضا في العربيّة ، فقال :قال أبو جعفر: يعني جل ثناؤه بذلك:"وإن كان" ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤوسَ أموالكم ="ذو عُسْرَة" يعني: معسرًا برؤوس أموالكم التي كانت لكم عليهم قبلَ الإرباء، فأنظروهم إلى ميسرتهم وقوله:"ذو عسرة"، مرفوع ب"كان"، فالخبر متروك، وهو ما ذكرنا. وإنما صلح ترك خبرها، من أجل أنّ النكرات تضمِرُ لها العربُ أخبارَها، ولو وُجِّهت"كان" في هذا الموضع، إلى أنها بمعنى الفعل المكتفِي بنفسه التام، لكان وجهًا صحيحًا، ولم يكن بها حاجة حينئذ إلى خبر. فيكون تأويلُ الكلام عند ذلك: وإن وُجد ذُو عسرة من غرمائكم برؤوس أموالكم، فنَظِرة إلى ميسرة)[٥] لكنّ أبا حيان رفض جواز (كان) في هذه الآية ناقصة، معلّلا ذلك بأنّه ينشأ من ذلك حذف خبر كان ، وهذا مما لا يجوّزه جمهور النحاة، وهذه نصّ عبارته، (وقرأ الجمهور: ذو عسرة، على أن: كان، تامة، وهو قول سيبوية، وأبي علي، وإن ورقع غريم من غرمائكم ذو عسرة، وأجاز بعض الكوفيين أن تكون: كان، ناقصة هنا. وقدّر الخبر: وإن كان

---

[١] مفاتيح الغيب/ الرازي(٧٩/٧)

[٢]انظر : المحرّر الوجيز/ابن عطية(٣٧٤/١)

[٣] انظر :الكشاف/ الزمخشري(٣٥٠/١)

[٤] فتح القدير/ الشوكاني(٤٥٠/١)

[٥] انظر :جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٢٨/٦)

من غرمائكم ذو عسرة فحذف المجرور الذي هو الخبر، وقدر أيضاً: وإن ذو عسرة لكم عليه حق، وحذف خبر كان لا يجوز عند أصحابنا، لا اقتصاراً ولا اختصاراً[١] لعلة ذكروها في النحو)[٢].

والراجح في تفسير هذه الآية ما اختاره سيبويه ومن وافقه من أنّ (كان) في هذه الآية تامّة بمعنى وقع أو حدث أو وجد؛ لأنّ تجويز كونها ناقصة تأباه القواعد اللغويّة ؛فإنّه يؤدّي إلى حذف خبرها وهذا لا يجوز كما صرّح به ابن هشام[٣] وغيره[٤].

---

[١] الاقتصار : هو ما حذف بلا دليل يدل عليه ، والاختصار: ما حذف مع دليل يدلّ عليه .

[٢] البحر المحيط / أبو حيان (٢٨/٦).

[٣] ابن هشام: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري الشيخ جمال الدين الحنبلي النحوي الفاضل، العلامة المشهور، ولد ٧٠٨هـ وتوفي ٧٦١هـ بغية الوعاة/ السيوطي(٦٩/٢).

[٤] انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ ابن هشام الأنصاري(٤١٩/١) دار الفكر ــ بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨٥م.

أم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ۝٣﴾ (السجدة: ١ – ٣).

تناول سيبويه هذه الآية الثالثة بالتحليل والتفسير، في (باب أم المنقطعة) وذكر أن(أم) فيها منقطعة بمعنى بل، وليست للاستفهام واستشهد على ذلك بكلام بعض العرب فقال : وذلك قولك: أعمروٌ عندك أم عندك زيدٌ، فهذا ليس بمنزلة: أيهَّما عندك. ألا ترى أنك لو قلت: أيّهما عندك عندك، لم يستقم إلاَّ على التكرير والتوكيد. ويدلّك على أن هذا الآخر منقطعٌ من الأوّل قول الرجل: إنِّها لإبلٌ ثم يقول: أم شاءٌ يا قوم. فكما جاءت أم ههنا بعد الخبر منقطعةً، كذلك تجيء بعد الاستفهام، وذلك أنه حين قال: أعمروٌ عندك فقد ظنَّ أنَّه عنده، ثم أدركه مثل ذلك الظنّ في زيد بعد أن استغنى كلامه، وكذلك: إنها لإبلٌ أم شاءٌ، إنّما أدركه الشكّ حيث مضى كلامه على اليقين،وبمنزلة أم ههنا قوله عزّ وجلَّ:(الٓمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ). أم يقولون افتراه "، فجاء هذا الكلام على كلام العرب قد علم تبارك وتعالى وذلك من قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليعرَّفوا ضلالتهم)[1].

فيكون المعنى على ما ذهب إليه سيبويه ــ بل يقولون افتراه محمد واختلقه وأتى به من تلقاء نفسه لا إنه لم يفتره.

وهذا الذي اختاره سيبويه اعتمد عليه أكثر المفسرين منهم القرطبي، فقد حذا حذو سيبويه في كون (أم) منقطعة بمعنى بل، ولم يذكر للآية سوى هذا المعنى وهذا عبارته حيث قال: قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} هذه {أَمْ} المنقطعة التي تقّدر ببل وألف الاستفهام ؛ أي بل أيقولون. وهي تدل على خروج من حديث إلى حديث؛ فإنه عز وجل أثبت أنه تنزيل من رب العالمين، وأن ذلك مما لا ريب

---

[1] كتاب سيبويه(١٩٥/٣)

فيه، ثم أضرب عن ذلك إلى قوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ} أي افتعله واختلقه. {بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ} كذبهم في دعوى الافتراء)[1]

أما ابن عادل الحنبلي فقد أجاز في الآية ثلاثة أوجه، الأول: ما ذ هب إليه سيبويه، الثاني: جعل الميم زائدة، فيكون المعنى أيقولون افتراه محمد من عند نفسه، الثالث: تقدير استفهام وفعل محذوف، ويكون التقدير فهل يؤمنون أم يقولون افتراه، لكنّه أورد الأخيرين على صيغة التمريض مما يدلّك على تقوية ما ذهب إليه سيبويه[2].

وأما الشوكاني فلم يتردّد في اختياره ما ذهب إليه سيبويه، بل إنّه لم يذكر للآية وجها آخر فقال:- {أم يقولون افتراه} هي المنقطعة التي بمعنى بل: أي بل أيقولون هو مفترى فأضرب عن الكلام الأول إلى ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريع والتوبيخ ومعنى افتراه افتعله واختلقه ثم أضرب عن معتقدهم إلى بيان ما هو الحق في شأن الكتاب فقال: {بل هو الحق من ربك} فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء)[3]. ولو ذهبنا نعدّ المفسّرين الذين اعتمدا على تفسير سيبويه في هذه الآية لخرجنا عن حدّ الاعتدال ،أما إمام المفسّرين فقد خالف سيبويه والجمهور في تفسير هذه الآية، فرجّح أنّ (أم) في هذه الآية باقية على استفهامها وأنّ استفهاما تقريريّ، وأورد القول الذي اعتمده سيبويه والجمهور على أضعف صيغ التمريض فقال: وقوله:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قبل نفسه، وتكذّبه، و(أم) هذه تقرير، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا)[4] هذا كلام الطبري، وقد تعبت في العثور على من أيّد اختيار الطبري في هذه الآية فلم أجد لأحد من المفسّرين تأييدا لما ذهب إليه الطبري، وهذا يُلزمني إطلاق الشذوذ فيما اختاره الطبري في تفسير هذه الآية، والله أعلم .

---

[1] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي(٨٣/١٤).

[2] اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(٤٧٠/١٥).

[3] فتح القدير/ الشوكاني(٣٥٢/٤).

[4] جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(١٦٤/٢٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ (الزخرف: ٥١ – ٥٢).

فسّر سيبويه الآيتين في الباب السابق، ونظّرهما بالآية السابقة في أنّ (أم) منقطعة، فقال :ومثل ذلك: أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين، كأنَّ فرعون قال: أفلا تبصرون أم أنتم بصراء. فقوله: أم أنا خيرٌ من هذا، بمنزلة: أم أنتم بصراء؛ لأنّهم لو قالوا: أنت خيرٌ منه كان بمنزلة قولهم: نحن بصراء عنده وكذلك: أم أنا خيرٌ بمنزلته لو قال: أم أنتم بصراء[1].

يُعَدُّ هذا النص المطوّل لسيبويه من باب التفسير التحليلي الذي صدر عن عَلَم من أعلام القرن الثاني، وفيه يستشهد بورود «أم» المنقطعة في القرآن الكريم. وتنظير سيبويه هذه الآية بالآية السابقة يدلّ على أنّه يرى أنّ (أم) في هذه الآية منقطعة بمعنى (بل) فيكون معنى الآية على ما يراه ونادى فرعون في قومه: أي نادى فيهم افتخاراً وتبجحا بما عنده.وهذه الأنهار تجري من تحتي : أي من النيل تجري من تحت قصوري.أفلا تبصرن : أي عظمتي وما أنا عليه من الجلال والكمال.بل أنا خير من موسى الذي هو مهين ولا يكاد يبين أي يفصح لِلثقل الذي في لسانه .

وهذا الذي اختاره سيبويه عليه جمهور المفسّرين، وفي ذلك يقول ابن عاشور[2].

في تفسير قوله تعالى﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد:٢٤).

والمعنى: بل على قلوبهم أقفال وهذا الذي سلكه جمهور المفسرين وهو الجاري على كلام سيبويه في قوله تعالى: (أفلا تبصرون أمْ أنا خير من هذا الذي هو

---

[1] كتاب سيبويه(٣/١٩٥)

[2] ابن عاشور: هو محمد الطاهر بن عاشور، وهو من كبار علماء العصر، كان قاضي قضاة تونس، ووزير العدل فيها، ولد سنة ١٢٩٦هـ بتونس، وتفسيره حافل قيّم واسع، يأخذ في بيان إعجاز القرآن الكريم فيأتي بأعجب العجاب ،توفي ١٣٩٣هـ، انظر: مقدّمة تفسيره.

مهين) في سورة الزخرف (٥١، ٥٢)، خلافاً لما يوهمه أو توهمه ابن هشام في مغني اللبيب)[١].

والطبري أورد عن السُديّ[٢] رواية تساند ما ذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية، ثمّ أكّد ذلك بأنّ هذا قول من سمّاهم بأهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة[٣]، ولا أرى أنّ الطبري عنى بقوله هذا إلا سيبويه[٤].

وممن وافق سيبويه على هذا التفسير القرطبي، بل عزاه إلى أكثر المفسّرين حيث يقول: {أَمْ أَنَا خَيْرٌ} {أم} بمعنى "بل" وليست بحرف عطف؛ على قول أكثر المفسرين. والمعنى : قال فرعون لقومه بل أنا خير {مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ} أي لا عزله فهو يمتهن نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه {وَلا يَكَادُ يُبِينُ} يعني ما كان في لسانه من العقدة)[٥] والخازن[٦] لما فسّر هذه الآية ذكر أيضا أنّ (أم) هذه منقطعة[٧].

---

[١] التحرير والتنوير / الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١١٣/٢٦) دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

[٢] السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُديّ ، تابعي حجازي الأصل سكن الكوفة، عالم بالتفسير والسير والمغازي، روى عن أنس وغيره ،توفي ١٢٧هـ تهذيب الكمال/ يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي / مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

[٣] انظر : جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري (٩٥/١٥).

[٤] ولقد عجبتُ من إمام المفسّرين الطبري ! لأنه لم يذكر اسم سيبويه ولو مرة واحدة في تفسيره ، مع أنّه ينقل آراءه في التفسير ويرجّحها على غيرها ، فإذا أراد أن ينقل رأيا اشتهر به سيبويه يعبر عنه بقوله :(بعض أهل البصرة) ولا أدري ما الذي حمل الطبري على ذلك ؟!!

[٥] الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٩٩/١٩).

[٦] الخازن: هو علاء الدين، أبو الحسن، عليّ بن محمد ابن إبراهيم بن عمر بن خليل، البغدادى، الشافعى، الصوفى، المعروف بالخازن. اشتهر بذلك لأنه كان خازن كتب خانقاه بدمشق. ولُد ببغداد سنة ٦٧٨ هـ، وقدم دمشق، واشتغل بالعلم كثيراً. قال ابن قاضى شهبة: "كان من أهل العلم، جمع وألَّف، وحدَّث ببعض مصنفاته". وقد خلَّف رحمه الله كتباً جمَّة فى فنون مختلفة، طبقات المفسّرين / أحمد بن محمد الأدنروي(٢٦٧/١)

[٧] (أم) المنقطعة : هي التي لم تسبق باستفهام ولا بالتسوية أي لفظ سواء، والمتصلة: هي التي سبقت باستفهام أو لفظ التسوية، وفي ذلك يقول ابن مالك في الألفية ص٩٣ : وأم بها اعطف إثر همز التسوية أو همزة عن لفظ أيّ مُغنية وبانقطاع وبمعنى بل وَفَتْ إن تك مما قُيّدتْ به خلت.

تأييدا لما ذهب إليه سيبويه[1].

أما الزمخشري فقرر أولاً اتصالها، وقال: والمعنى: أفلا تبصرون أم تبصرون؟ إلا أنه وضع قوله ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ موضع ﴿ تُبْصِرُونَ ﴾؛ لأنهم إذا قالوا له: أنت خير، فهم عنده بصراء. ثم أجاز انقطاعها، والمعنى: بل أأنا خير، والهمزة للتقرير، وذلك أنه قدَّم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم: من مُلك مصر، وجَرْي الأنهار تحته، ونادى بذلك، ومَلأَ به مسامعهم، ثم قال: أنا خير، كأنه يقول: أَثَبَتَ عندكم واستقر أني أنا خير، وهذه حالي[2] وأما ابن عطيّة فقد عزا إلى سيبويه غير ما نقلناه عنه حيث ذكر أنّ سيبويه يرى أنّ (أم) في هذه الآية متصلة[3] والحقُّ الذي أراه أنَّ سيبويه يذهب إلي أنّها منقطعة بدليل أنّه ساق الآية تحت باب «أم» المنقطعة، وهذا هو ظاهر بناءِ الآية ونَظْمها، ولذا حكم عليها غيره من المفسّرين بالانقطاع كما مرّ بنا آنفا.

---

[1] لباب التأويل في معاني التنزيل/ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن(١٣٧/٦). دار النشر: دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩هـ ١٩٧٩م.

[2] انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٢٦٠/٤).

[3] انظر : المحرّر الوجيز/ ابن عطية(٥٣/٥).

أو :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٤).

وقف سيبويه على «أو» من هذه الآية الكريمة فذكر انّها ليست للتخيير؛ لأنّه تقدّم عليها نهي، وإذا تقدّ عليها النهي فإنّها تفيد النّهي عن الجميع.فسيبويه أصّل هذه القاعدة وطبّقها على هذه الآية.

فقال في(باب أو في غير الاستفهام): تقول: جالس عمراً أو خالدا أو بشراً، كأنَّك: قلت: جالس أحد هؤلاء ولم ترد إنساناً بعينه، ففي هذا دليلٌ أنّ كلهم أهلٌ أن يجالس، كأنّك قلت: جالس هذا الضرب من الناس.وتقول: كل لحماً أو خبزا أو تمراً، كأنك: قلت: كل أحد هذه الأشياء. فهذا بمنزلة الذي قبله.وإن نفيت هذا قلت: لا تأكل خبزا أو لحما أو تمرا. كأنك قلت: لا تأكل شيئاً من هذه الأشياء، ونظير ذلك قوله عزَّ وجلَّ: "ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً" أي: لا تطع أحداً من هؤلاء)[1].

وهذه القاعدة مشى عليها المفسّرون والنحويّون على حدّ سواء في هذه الآية وفي ذلك يقول أبو السعود: إذا قيل جالس العلماء أو الزهاد ثم أدخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو:(ولا تطع منهم آثما أ كفورا) إذ المعنى لا تفعل أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما)[2].

ويقول ابن هشام: وإذا دخلت لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) إذا المعنى لا تطع أحدهما فأيهما فعله فهو أحدهما[3].

وقال ابن عاشور: فإذا دخل النفي استلزم نفي الأمرين جميعاً، ولهذا كان المراد في قوله تعالى: (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) (الإنسان:٢٤) النهي عن طاعة كليهما، لا عن طاعة أحدهما دون الآخر، وعلى هذا انبنت المسألة الأصولية وهي: هل وقع في اللغة ما يدل على تحريم واحد لا بعينه ، بناء على أن ذلك لا

---

[1] كتاب سيبويه(٢٠٨/٣).

[2] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ أبو السعود(٣٠/٣).

[3] مغني اللبيب / ابن هشام(٨٨/١).

يكون إلا بحرف أو، وأن أو إذا وقعت في سياق النهي كانت كالتي تقع في سياق النفي)[١].

وهذا الذي سلكه سيبويه في تفسير هذه الآية هو مسلك أكثر المفسّرين، وقد لاحظ الزمخشري بعد تأييده لما ذهب إليه سيبويه في حكمة التعبير بكلمة (أو) فقال في ذلك كلاما جميلا أحببت أن أنقله برمّته ، وهذه نصّ عبارته:

فإن قلت: معنى أو: ولا تطع أحدهما، فهلا جيء بالواو ليكون نهياً عن طاعتهما جميعاً؟ قلت: لو قيل: ولا تطعهما، جاز أن يطيع أحدهما؛ وإذا قيل: لا تطع أحدهما، علم أنَّ الناهي عن طاعة أحدهما: عن طاعتهما جميعاً أنهى. كما إذا نهى أن يقولا لأبويه: أف، علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الأولى)[٢] ومن الذين اختاروا هذا التفسير الشوكاني[٣].

هذا ومن المفسّرين من خالف اختيار سيبويه في تفسير هذه الآية منهم الطبري فقد مشى على أنّ (أو) في هذه الآية بمعنى (الواو) لما استشهد بهذه الآية في سورة البقرة[٤] وتبعه على ذلك القرطبي في أثناء تفسير سورة البقرة[٥].

ولكنّ الباحث يرى أنّ الصواب قد حالف سيبويه ومن وافقه في تفسير هذه الآية انطلاقا من القاعدة التي قد اتّفق عليها جمهور المفسّرين والنحويّين التي مرت بنا آنفا؛ ولأنّ التأويل يُصار إليه عند الضرورة، ولا ضرورة هنا تُحوجنا إلى التأويل، والله أعلم.

---

[١] التحرير والتنوير/ ابن عاشور(٤٥٨/٢).

[٢] الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري(٦٧٤/٤).

[٣] انظر : فتح القدير/ الشوكاني(٤٩٦/٥).

[٤] انظر :جامع البيان في تأويل القرآن/ القرطبي(٢٣٦/٢).

[٥] انظر :الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٢٠٠/٣).

الفصـــــل الثـــالث

تفسـير سـيبويه لما أشـكـل حكمـه وإعرابـه من القــرآن الكريــم

الفصـــل الثـــالث
تفسير سيبويه لما أشكل حكمه وإعرابه من القرآن الكريم

.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١

فسّر سيبويه هذه الآية في(باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار) فقال: ومثله في الاتساع " قوله عز وجل ": " ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً " ، وإنما شبهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع. ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى.)[١]

اختار سيبويه في تفسير هذه الآية أن يكون التقدير والمعنى: " مَثَلُكَ يَا مُحَمَّدُ، ومَثَلُ الذين كَفَرُوا، كَمَثَل النَّاعق والمنْعُوق به "، فيكون في الكلام حذفان: حذف من الأوَّل، وهو حذف " دَاعِيهم "، وقد أثبت نظيره في الثاني، وحذفٌ من الثَّاني، وهو حذف المنعوق، وقد أثبت نظيره في الأول؛ فشبَّه داعِيَ الكُفَّار براعي الغنم في مخاطبته من لا يفهم عنه، وشبَّه الكفَّار بالغنم في كونهم لا يسمعون مما دعوا إليه، إلاَّ أصواتاً لا يعرفون ما وراءها، وفي هذا حذف كثير؛ إذ فيه حذف معطوفين ؛ إذ التقدير: " وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ودَاعِيهِمْ كمثل الذي يَنْعِقُ بالمَنْعُوق به" وقد ذهب إلى مثل هذا التقدير جماعةٌ ، منهم ابن خروفٍ [٢]، والشَّلوبين ؛ قالا :

---

[١] كتاب سيبويه(٢٧٣/١)

[٢] ابن خروف: هو علي بن محمد بن علي بن محمد نظام الدين أبو الحسن ابن خروف الأندلسي النحوي ،كان إماما في العربية ، محققا مدققا ، ماهرا مشاركا في الأصول ؛ وكان في خُلقه زعارة ؛ ولم يتزوج قط ، وكان يسكن الخانات . أقرأ النحو بعدة بلاد ، وأقام بحلب مدة ، واختل في آخر عمره حتى مشى في الأسواق عريان ، بادي العورة ، وله مناظرات مع السهيلي . صنّف : شرح سيبويه ، شرح الجمل ، كتابا في الفرائض . ووقع في جب ليلا ، فمات سنة ٦٠٩هـ بغية الوعاة/ السيوطي(٢٠٣/٢)

العرب تستحسن هذا، وهو من بديع كلامها؛ ومثله قوله: ﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍۖ ﴾ (النمل : ١٢) تقديره : " وأَدْخِل يَدَكَ في جَيْبِكَ ، تدْخُلْ، وأَخْرِجْها تَخْرُجْ "؛ فحذف " تَدْخُل" ؛ لدلالة " تَخْرُج " وحَذَف " وأَخْرجْهَا " ؛ لدلالة " وأَدْخِلْ .

وقد بلغ كلام سيبويه في تفسير هذه الآية مبلغا كبيرا أكسبته قوّة ليتناقله أكثر المفسّرين في كتبهم بعد عزوهم إلى جلّة الصحابة والتابعين؛ ولذلك يقول القرطبي في تفسير هذه الآية :شبّه تعالى واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد صلى اللّه عليه وسلم بالراعي الذي ينعق بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ، ولا تفهم ما يقول، هكذا فسره ابن عباس ومجاهد وعكرمة والسدي والزجاج والفراء وسيبويه، وهذه نهاية الإيجاز. قال سيبويه: لم يشبهوا بالناعق إنما شبهوا بالمنعوق به. والمعنى: ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم، فحذف لدلالة المعنى[١].

والشوكاني صنع مثل صنيع القرطبي فاعتمد على هذا التفسير وعزاه إلى سيبويه والسلف الصالح فقال :

وقوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ... ﴿١٧١﴾ ﴾ (البقرة: ١٧١) فيه تشبيه واعظ الكافرين وداعيهم وهو محمد صلى الله عليه و سلم بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا يسمع إلا دعاء ونداء ولا يفهم ما يقول هذا فسره الزجاج والفراء وسيبويه وبه قال جماعة من السلف قال سيبويه: لم يشبهوا بالناعق إنما شبهوا بالمنعوق به والمعنى: مثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى عليه)[٢]

وممن حذا حذو سيبويه في تفسير هذه الآية وعزاه إليه ابن عطية حيث قال: وقوله تعالى: (وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ) الآية المراد تشبيه واعظ الكافرين

---

[١] الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٢/٢١٤)

[٢] فتح القدير/ الشوكاني(١/٢٤٩)

وداعيهم والكافرين الموعوظين بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ولا تفقه ما يقول هكذا فسر ابن عباس وعكرمة والسدي وسيبويه)[٣]

وفي الآية تفسير آخر غير ما اختاره سيبويه، وهو أنّ المعنى: (وَمَثَلُ الَّذين كَفَروا في دُعائهم آلِهَتَهُمْ التي لا تَفْقَهُ دُعَاءَهُم ، كَمَثَلِ النَّاعِقِ بِغَنَمِهِ ؛ لا ينتفع من نَعِيقِهِ بشَيءٍ غير أنَّه في عناءٍ)؛ وكذلك الكافرُ ليس له من دعائه آلهته إلاَّ العناء ؛ كما قال تعالى:

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر : ١٤]

ولعلّ سيبويه وقف على هذا التفسير فأعرض عنه ولم يلتفت إليه ؛لأنّه رأى أنّه ضعيف لا يتماشى مع سياق الآية، كما أنّ الطبري أورد هذا الوجه الأخير فلم يرتضه، وفي ذلك يقول الطبري: وقد تحتمل الآية وجهًا آخر غير ذلك. وهو أن يكون معناها: ومثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءَهم، كمثل الناعق بغنم لهُ من حيث لا تسمعُ صوتَه غنمُه، فلا تنتفع من نَعقِه بشيء، غير أنه في عَناء من دعاء ونداء، فكذلك الكافر في دعائه آلهته، إنما هو في عناء من دعائه إياها وندائه لها، ولا ينفعه شيء.

قال أبو جعفر: وأولى التأويل عندي بالآية، التأويل الأول الذي قاله ابن عباس ومَن وافقه عليه. وهو أن معنى الآية: ومثل وَعظ الكافر وواعظه، كمثل الناعق بغنمه ونَعيقه، فإنه يسمع نَعقه ولا يعقل كلامه، على ما قد بينا قبل. وإنما اخترنا هذا التأويل، لأن هذه الآية نزلت في اليهود، وإياهم عَنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يَعبدونها، ولا أهل أصنام يُعظمونها ويرجون نَفعها أو دَفع ضرها. ولا وجه –إذ كان ذلك كذلك– لتأويل من تأوّل ذلك أنه بمعنى:

---

[٣] المحرر الوجيز/ ابن عطية(١/٢٢٤)

مَثَل الذين كفروا في ندائهم الآلهة ودُعائهم إياها.فإن قال قائل: وما دليلك على أنّ المقصود بهذه الآية اليهود؟

قيل: دليلنا على ذلك مَا قبلها من الآيات وما بعدها، فإنهم هم المعنيون به. فكان ما بينهما بأن يكون خبرًا عنهم، أحق وأولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم، حتى تأتي الأدلة واضحةً بانصراف الخبر عنهم إلى غيرهم.)[1]

ولله درّ الزمخشري فإنّه استخدم في نقد هذا الوجه الأخير بملاحظة هامّة ، فقال لمَّا ذكر هذا القول: " إلاَّ أنَّ قوله: " إلاَّ دُعاءً وَنِدَاءً "، لا يساعد عليه ؛ لأنَّ الأصنام لا تَسْمَعُ شيئاً "[2]

وخلاصة القول أنّ هذا التفسير الذي اختاره سيبويه أرجح التفاسير الواردة في هذه الآية، والله أعلم .

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٣/٣١٣)

[2] الكشاف عن حقائق التأويل/ الزمخشري(١/٢٣٩)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)

تناول سيبويه جزء من هذه الآية بالتحليل والتفسير في (باب الجزاء) فقال: وقال عزّ وجلّ: (أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا) الأخرى فتذكر إحدهما الأخرى "، فانتصب لأنّه أمر بالإشهاد لأن تذكّر إحداهما الأخرى ومن أجل أن تذكّر.

فإن قال إنسان: كيف جاز أن تقول: أن تضلّ ولم يعدّ هذا للضلال وللالتباس؟ فإنما ذكر أن تضلّ لأنه سبب الأذكار، كما يقول الرجل: أعددته أن يميل الحائط فأدعمه، وهو لا يطلب بإعداد ذلك ميلان الحائط، ولكنّه أخبر بعلّة الدّعم وبسببه، وقرأ أهل الكوفة: " فتذكّر " رفعاً.) (١)

هذه القطعة من الآية التي فسّرها سيبويه بيان لحكمة التشريع للإشهاد واشتراط العدد في شهادة النساء أي شرع ذلك إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت إحداهما لما أن النسيان غالب على طبع النساء ،

يبرز سيبويه إشكالاً في فَهْمِ معنى الآية، وهو: كيف جُعِلَ ضَلالُ إحداهما علة لِتَطَلُّبِ الإشهاد ؟

---

(١) كتاب سيبويه(٥٩/٣)

وقد أجاب سيبويه جواباً محكماً عن هذا الالتباس فقال: «فانتصب، لأنه أَمَرَ بالإشهاد؛ لأَنْ تُذَكِّر إحداهما الأخرى، ومن أجل أن تُذكِّر».

وقال: « فإن قال إنسان: كيف جاز أن تقول: أن تضل، ولم يُعَدَّ هذا للضلال وللالتباس، فإنما ذكر (أن تضل) لأنه سبب الإذكار، وذكر سيبويه أنّ الآية نظيرُ قولِهم: " أَعْدَدْتُ الخشبةَ أَنْ يميلَ الحائِطُ فأدعمَه، وأعدْدتُ السَّلاح أن يجيء عدو فأدفعه" فليس إعدادُك الخشبة؛ لأَنء يميلَ الحائطُ، ولا إعدادُك السلاح لأن يجيء العدو وإنما للإدعام إذا مال، وللدفع إذا جاء العدو.

وقد استحسن ابن عطية تحليل سيبويه ورفعه الإشكال عن هذه الآية، فأورد هذا التحليل في تفسيره فقال : والشهادة لم تقع لأن تضل إحداهما، وإنما وقع إشهاد امرأتين لأن تذكر إحداهما إن ضلت الأخرى قال سيبويه: (وهذا كما تقول أعددت هذه الخشبة أن يميل هذا الحائط فأدعمه).

ولما كانت النفوس مستشرفة إلى معرفة أسباب الحوادث قدم في هذه العبارة ذكر سبب الأمر المقصود أن يخبر به وفي ذلك سبق النفوس إلى الإعلام بمرادها وهذا من أنواع أبرع الفصاحة إذ لو قال رجل لك أعددت هذه الخشبة أن أدعم بها الحائط لقال السامع ولم تدعم حائطا قائما فيجب ذكر السبب فيقال إذا مال)[1] ..

ومن الذين ذهبوا إلى نحو تحليل سيبويه وتفسيره في هذه الآية أبو جعفر الطبري فقال: قوله تعالى: (أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى) بفتح "الألف" من "أنْ"، ونصب"تَضلَّ"، و"تذكرَ"، بمعنى: فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان، كي تذكر إحداهما الأخرى إن ضلّت. وهو عندهم من المقدّم الذي معناه التأخير. لأن"التذكير" عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان"تضلّ)[2] .

---

(١) المحرر الوجيز/ ابن عطية(٣٨٠/١)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٦٢/٦).

وقد أعرض سيبويه عن وجه آخر في تفسير هذه الآية اختارها أحد السلف، وهو سفيان بن عيينة[1] .. قال: مَعْنَى فَتُذَكِّرَ إحداهما الأُخرى أي: فتجعلها ذكراً، أي: تُصَيِّرُ حكمها حكم الذَّكر في قبولِ الشَّهادة، وقد أورد الطبري هذا الوجه عن سفيان بن عيينة ثمّ هاجم عليه بالنقد العنيف حيث قال: عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس تأويل قوله:"فتذْكر إحداهما الأخرى" من الذِّكْر بعد النسيان، إنما هو من الذَّكَر، بمعنى: أنها إذا شهدت مع الأخرى صَارت شَهادتهما كشَهادة الذكر،..... فهذا تأويل خطأ لا معنى له، لوجوه شتى:

أحدها: أنه خلافٌ لقول جميع أهل التأويل،والثاني: أنه معلوم أن ضلال إحدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها، إنما هو ذهابُها عنها ونسيانها إياها، كضلال الرجل في دينه: إذا تحيَّر فيه فعدَل عن الحق وإذا صارت إحداهما بهذه الصفة، فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكرًا معها، مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها؟ [2] ومن الذين هاجموا هذا التفسير أبو القاسم الزمخشريُّ: حيث يقول:" ومِنْ بِدَع التَّفَاسِير: [فَتُذَكِّرَ] فتجعلَ إحداهما الأخرى ذكَراً، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلةِ الذَّكَر)[3] ..

والشوكاني انتقد على هذا التفسير أيضا فقال: وقال سفيان بن عيينة: معنى قوله: {فتذكر إحداهما الأخرى} تصيّرها ذكرا يعني أن مجموع شهادة المرأتين

---

(١) سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، ، الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي. طلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد.مات ١٩٨هـ سير أعلام النبلاء/ الذهبي(٨/٤٥٤)

(٢) جامع البيان، مرجع سابق/ الطبري(٦/٦٥).

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري (١/٣٥٣)

مثل شهادة الرجل الواحد، ولا شك أن هذا باطل لا يدل عليه شرع ولا لغة ولا عقل)[1]

ولأجل هذه الرُدود التي وُجّهت إلى هذا التفسير عدل وأعرض عنه سيبويه واعتمد على أصحّ التفاسير في هذه الآية ، فلله درّه ما أعْمَق غوصَه في معرفة كتاب الله مع كونه إمامَ النُحاة واللغويّين بأسرهم!!

(١) فتح القدير/ الشوكاني(١/٤٥٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ البقرة: ١٧٧.

فسّر سيبويه هذه الآية في(باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار) فقال: ومثله في الاتساع " قوله عز وجل ": ولكن البر من آمن بالله "، وإنما هو: ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر) [1] ..

استخدم سيبويه في تفسير هذه الآية بنوع سمّاه المفسّرون التفسير بتقدير المحذوف، ويرقى التنـــزيل الحكيم إلى أعلى درجات البلاغة، وباب الحذف باب له مكانةٌ رفيعةٌ من أبواب البلاغة القرآنية، وقد تحدث المفسرون والبلاغيون عن مواضع الحذف في أسلوب القرآن، وحرصوا على بيان ما حُذِفَ من النظم، وَفْق منطوق العربية التي نـــزل القرآن بلسانها. وقد شارك سيبويه المفسرين في هذا البيان، وله في هذا وقفات متأنية، وليس هذا بمستغرب؛ لأن هذا هو ميدان علماء العربية في هذا الضرب من التفسير.

وقد أفادت كتب التفسير من تقديراته، وكثيراً ما نَسَبَتْ إليه ما كان يقدِّره من مواضع الحذف وتأويل الكلام.

في هذهِ الآيةِ خمسةُ أوجهٍ ،من أوجه التفسير بالمحذوف أحدُها: أنَّ « البِرَّ» اسمُ فاعلٍ من بَرَّ يَبَرُّ فهو بِرٌّ، والأصلُ: بَرِرٌ بكسرِ الراءِ الأولى بزنة « فَطِن »، فلما أُريد الإدغام نُقِلَتْ كسرةُ الراءِ إلى الباءِ بعد سَلْبِها حركتَها، كأنه قيل: ولكن الشخصَ البِرِّ مَنْ آمن. الثاني: أنَّ في الكلامِ حذفَ مضافٍ من الأولِ تقديرُه: «ولكنَّ ذا البِرَّ مَنْ آمن». الثالث: أن يكونَ الحذفُ من الثاني، أي: ولكن البِرَّ بِرُّ

---

(١) كتاب سيبويه (٢٧٣/١)

مَنْ آمن، وهذا تخريجُ سيبويه واختيارُه في تفسير هذه الآية، وإنما اختارَه لأنَّ السابق إنما هو نفيُ كونِ البر هو تَوْلِيَةُ الوجهِ قِبَل المشرق والمغربِ، فالذي يُسْتَدْرك إنما هو من جنس ما يُنْفَى، الرابع: أن يُطْلَقَ المصدرُ على الشخصِ مبالغةً نحو: « رجلٌ عَدْلٌ» لخامس: أن المصدرَ وقع مَوْقِع اسمِ الفاعلِ نحو: «رجل عَدْل» أي عادل، كما قد يَقَعُ اسمُ الفاعلِ موقعه نحو: « أقائماً وقد قعد الناس » [1] ..

وإمام المفسّرين الطبري اعتمد على هذا التقدير الذي مشى عليه سيبويه، وذكر في ذلك كلاما جميلاً استحسن الباحث أن ينقله برمّته، قال: فإن قال قائل: فكيف قيل:"ولكن البر من آمن بالله"، وقد علمت أن"البر" فعل، و"مَنْ" اسم، فكيف يكون الفعل هو الإنسان؟ قيل: إن معنى ذلك غيرَ ما توهمته، وإنما معناه: ولكنّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر، فوضع "مَنْ" موضع الفعل، اكتفاءً بدلالته، ودلالة صلته التي هي له صفةٌ، مَنْ الفعل المحذوف، كما تفعله العرب، فتضع الأسماء مواضع أفعالها التي هي بها مشهورة، فتقول:"الجود حاتم، والشجاعة عنترة"، و"إنما الجود حاتم والشجاعة عنترة"، ومعناها: الجُود جود حاتم فتستغني بذكر"حاتم" إذ كان معروفًا بالجود، من إعادة ذكر"الجود" بعد الذي قد ذكرته، فتضعه موضع"جوده"، لدلالة الكلام على ما حذفته، استغناء بما ذكرته عما لم تذكره). [2] ..

وأبو حيان رجّح تقدير سيبويه، وأكّد ذلك بنقل كلام سيبويه من كتابه في (النحو) فقال: قوله تعالى: {ولكنّ البرّ من آمن بالله} أي ولكنّ البرّ برُّ من آمن، على هذا خرَّجه سيبويه، قال في كتابه: وقال جل وعز: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءامَنَ) وإنما هو: ولكن البرَّ برُّ من آمن بالله). [3]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الجنبلي(١٩٥/٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٣٣٩/٣) .

(٣) البحر المحيط / أبو حيان الأندلسي(٤/٢) .

وممن مشى على تقدير سيبويه في هذه الآية القرطبي[١]، والرازي[٢]، والبغوي[٣] ، وابن عجيبة[٤] ، وأبو السعود[٥]، وابن عاشور[٦] ، ولعلّ هذا يكفي للحكم على أنّ هذا التفسير الذي درج عليه سيبويه يترجّح على غيره ، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي(٢٣٨/١).

(٢) مفاتيح الغيب / الرازي(٣٣/٥) .

(٣) انظر: معالم التنزيل/ البغوي(١٨٦/١) .

(٤)انظر: البحر المديد/ ابن عجيبة(٢١٨/١) .

(٥)انظر: إرشاد العقل السليم / أبو السعود(١٩٣/١) .

(٦)انظر: التحرير والتنوير/ ابن عاشور(١٢٨/٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ البقرة: ١٠٢ .

تناول سيبويه جزء من هذه الآية بالتفسير في(باب الفاء) حيث يقول: وقال عزّ وجلّ: " فلا تكفر فيتعلّمون " فارتفعت لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلّمون، ليجعلا كفره سبباً لتعليم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلّمون)[1]

شيخنا سيبويه لاحظ في هذه الآية جزءاً مُهمّا، ولا نطالبه بأكثر من هذا، فالكتاب الذي درس سيبويه فيه الآية هو كتاب نحو، ولم يتصدّ سيبويه لتفسير القرآن فيه، ويرى سيبويه أنّ قوله تعالى: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا} ليس من قول الملكين، وهذا الذي رآه سيبويه هو إجماع من المفسّرين حسب علم الباحث، وهذا مفهوم قول سيبويه السابق: (لأنه لم يخبر عن الملكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلّمون).

ولكن اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾ في عطف قوله: ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾، فذهب سيبويه إلى أنه معطوف على قوله: ﴿كفروا ﴾ الذي هو في

---

[1] كتاب سيبويه (٣/ ٣٩)

موضع رفع خبراً عن ﴿ وَلَٰكِنَّ ﴾ الناسخة؛ فلذلك عُطِف عليه فعل مرفوع. قال: «فارتفعت لأنه لم يُخْبِرْ عن الملَكين أنهما قالا: لا تكفر فيتعلمون؛ ليجعلا كفره سبباً لتعليم غيره، ولكنه على كفروا فيتعلمون». والتقدير فهم يتعلمون فيكون ارتباط الآية فيما اختاره سيبويه هكذا - {ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون النّاس السحر ... فيتعلمون منهما ما يفرّقون به بين المرء وزوجه}.

قال المفسّر ابن عادل الحنبلي– «وشَرْحُ ما قاله: هو أنه يريد أنَّ ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ**﴾ ليس جواباً لقوله ﴿ **فَلَا تَكۡفُرۡ** ﴾ فينتصبَ في جواب النهي؛ لأنَّ كُفْرَ مَنْ نَهَياه أن يكفر ليس سبباً لتعلُّم من يتعلَّم».

وقد اعترض الزجاج على قول سيبويه بأنه يَلْزَمُ منه الإضمارُ قبل الذكر، وذلك أن الضمير في ﴿ مِنۡهُمَا ﴾ عائد على الملَكَين. وقد قَرَّر سيبويه أنَّ ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا** ﴾ معطوف على ﴿ كَفَرُواْ ﴾، فيكون التقدير: ولكن الشياطين كفروا فيتعلمون منهما، فيلزمُ الإضمار في ﴿ مِنۡهُمَا ﴾ قبل ذِكْرِ الملَكَيْن.

وهذا الاعتراض واهٍ؛ لأنهما متقدِّمان لفظاً، وتقديرُ تأخُّرهما لا يَضُرُّ؛ إذ المحذورُ عَوْدُ الضمير على غير مذكور في اللفظ.[1]

وقد خالف الطبريُّ ما ذهب إليه سيبويه، فقدَّر جملة ﴿ **فَيَتَعَلَّمُونَ** ﴾ مستأنفة. قال: «خبر مبتدأ عن المتعلِّمين من المَلَكَيْن ما أُنزل عليهما، وليس جواباً لقوله تعالى:{ وما يعلّمان من أحد} بل هو خبر مستأنف. فمعنى الكلام: وما يُعلِّمان من أحد حتى يقولا: إنما نحن فتنة، فيأبَوْن قَبول ذلك منهما، ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ ﴾).

ثمّ ناقش الطبري الوجه الذي اختاره سيبويه واعترض عليه، لكنّه لم يصرّح باسم سيبويه على عادته، فقال : وقد قيل: إن قوله: (فيتعلمون)، خبر عن اليهود معطوف على قوله:"ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت"،"فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء

---

[1] اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(٢/٣٤٧)

وزوجه). وجعلوا ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم، والذي قلنا أشبه بتأويل الآية. لأن إلحاق ذلك بالذي يليه من الكلام، ما كان للتأويل وجه صحيح أولى من إلحاقه بما قد حيل بينه وبينه من معترض الكلام.)[1].

وقد رجّح ابن عادل الحنبلي قولاً ثالثاً، وهو أنّ قوله تعالى:{ فيتعلمون منهما} معطوف على قوله تعالى: (وما يعلمان) والضمير في "فيتعلّمون " عائد على " أحد"، وجمع حملاً على المعنى، وأجاب عن اعتراض أنّ المعطوف عليه منفي، فيلزم أن يكون " فيتعلّمون " منفياً أيضاً لعطفه عليه، وحينئذ ينعكس المعنى. بأن قوله تعالى:(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ)، وإن كان منفياً لفظاً فهو موجب معنى؛ لأن المعنى: يعلمان الناس السحر بعد قولهما: إنما نحن فتنة[2] .

ويرى الباحث أنّ الراجح هو ما ذهب إليه الطبري في توجيه هذه الآية، أما ما مشى عليه سيبويه وابن عادل فهو تكلف مُحوج إلى تأويل، والإعراب الذي لا يفضي إلى تأويل فهو أحبّ وأصوب، والله أعلم .

---

(1) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري (٤٤٥/٢).

(٢)اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(٣٤٧/٢) .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ الفرقان: ٦٣

تناول سيبويه هذه الآية الكريمة بالشرح والتحليل والإعراب في (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره) قال – رحمه الله – زعم أبو الخطاب[١] .. أن سبحان الله كقولك: براءة الله من السوء، كأنه يقول: " أبرئ " براءة الله من السوء وزعم أبو الخطاب أن مثله قولك للرجل: سلاماً، تريد تسلماً منك، كما قلت: براءة منك، تريد: لا ألتبس بشيء من أمرك. وزعم أن أبا ربيعة كان يقول: إذا لقيت فلاناً فقل " له " سلاماً. فزعم أنه سأله ففسره له بمعنى براءة منك. وزعم أن هذه الآية: " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " بمنزلة ذلك، لأن الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين، ولكنه على قولك: " براءة منكم " وتسلما، لا خير بيننا وبينكم ولا شر)[٢] ..

والإمام سيبويه وقف على هذه الآية فلاحظ فيها ثلاث نقاط مهمّة، النقطة الأولى: إعرابها، فاختار أنّ قوله تعالى:[سَلَٰمٗا] منصوب على المصدر بفعل مقدر أي: نسلم سلاماً أو نسلم تسليماً منكم لا نجاهلكم فأقيم السلام مقام التسليم لكنّ ابن عطية لم يرتض هذا الإعراب، بل رجّح أنّ{ قالوا} هو الذي عمل في " سلاما" حيث يقول:(والذي أقول إنّ " قالوا " هو العامل في " سلاما " لأن المعنى " قالوا " هذا اللفظ) [٣] ..

ويميل الباحث إلى أنّ الراجح هو ما ذهب إليه ابن عطية لسلامته من تكلف التقدير الذي تضمّنه إعراب سيبويه.

---

(١) أبو الخطاب: عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب الأخفش الأكبر أحد الأخافشة الثلاثة المشهورين، كان إماما في العربية قديما ، لقي الأعراب وأخذ عنهم، أخذ عنه سيبويه والكسائي ويونس وأبو عبيدة ، وكان ديّنا ورعا ثقة ، لم أقف على سنة ولادته ولا وفاته ، لكنّه عاش ما بين أواخر القرن الأول وأواسط القرن الثاني ، بغية الوعاة / السيوطي(٢/٧٤)

(٢) انظر: كتاب سيبويه (١/٣٨٩) .

(٣) انظر : المحرّر الوجيز/ ابن عطية(٤/٢٦٥) .

والنقطة الثانية التي وقف عليها سيبويه: معنى قوله تعالى:" سلاما" فاعتمد على أنّ المعنى ("براءة منكم" وتسلما، لا خير بيننا وبينكم ولا شر) وإلى هذا التفسير ذهب الزمخشري[١] والألوسي[٢] في روح المعاني[٣]. والخطيب الشربيني[٤] في السراج المنير[٥] .

أما الطبري ففسّر قوله تعالى "سلاما" بالمعروف من القول والسداد من الخطاب، وأيّد ذلك بروايات أوردها عن مجاهد[٦].. ويرى الباحث أنّ هذا لا يخالف تفسير سيبويه؛ لأنّ قوله: "براءة منكم وتسلما" هو من القول بالمعروف والسداد من الخطاب .

والنقطة الثالثة التي وقف عليها سيبويه من هذه الآية اعتماده على أنّها منسوخة، وهذا هو الذي يشعره قوله: (لأن الآية فيما زعم مكية، ولم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين) وهذا أوّل وآخر مرة تكلم سيبويه في علم الناسخ والمنسوخ في كتابه ، ومفاد كلامه أنّ المسلمين كان لا يجوز عليهم أن يسلّموا على المشركين في ذاك العهد .

---

(١) انظر : الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري (٢٩٧/٣) .

(٢) الألوسي: محمود بن عبد الله الحسين الآلوسي الملقب بشهاب الدين أبو الثناء، مفسر، محدث، أديب، يعتبره البعض من المجددين، وهو من أهل بغداد تقلد الإفتاء ببغداد، فعزل فانقطع للتأليف. سافر خلال حياته للآستانه عاصمة الدولة العثمانية، وبقي هناك قرابة السنتين، وهو صاحب التفسير المشهور بـــ"روح المعاني"، وغيره من المؤلفات الجليلة. ولد سنة (١٢١٧)، وتوفي سنة (١٢٧٠)، وقبره ببغداد ، : فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات/ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(١٣٩/١) دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢.

(٣) انظر: روح المعاني/ الألوسي (٤٤/١٩) .

(٤) الشربيني: هو محمد بن احمد الشربيني، القاهري، الشافعي، المعروف بالخطيب الشربيني (شمس الدين) فقيه، مفسر، متكلم نحوي، صرفي، توفي سنة٩٧٧هـــ من تصانيفه: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير في التفسير، أربع مجلدات ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني الفاظ المنهاج للنووي، فتح الخالق المالك في حل ألفاظ كتاب ألفية ابن مالك في النحو، وشرح منهاج الدين للجرجاني في شعب الإيمان. الأعلام / الزركلي(٦/٦)

(٥) انظر: تفسير السراج المنير / الشربيني، (٢٢/٣) /دار الكتب العلمية ـــ بيروت .

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٢٩٥/١٩) .

أمّا كون الآية منسوخة فوافق القرطبيُّ سيبويه على ذلك، لكنّ القرطبي ذكر أنّ سيبويه أخطأ في أنّ المنسوخ هو حكم السلام، وفي ذلك يقول القرطبي: (هذه الآية كانت قبل آية السيف، نسخ منها ما يخص الكفرة وبقي أدبها في المسلمين إلى يوم القيامة. وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه، وما تكلم فيه على نسخ سواه؛ رجح به أن المراد السلامة لا التسليم؛ لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة. والآية مكية فنسختها آية السيف، ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية. قال سيبويه: لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله: تسلما منكم، ولا خير ولا شر بيننا وبينكم. المبرد: كان ينبغي أن يقال: لم يؤمر المسلمون يومئذ بحربهم ثم أمروا بحربهم، وأخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة. ابن العربي: لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك، بل أمروا بالصفح والهجر الجميل، وقد كان عليه الصلاة والسلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم. وقد أتفق الناس على أن السفيه من المؤمنين إذا جفاك يجوز أن تقول له سلام عليك. قلت: هذا القول أشبه بدلائل السنة. وقد بينا في سورة {مَرْيَمَ} اختلاف العلماء في جواز التسليم على الكفار، فلا حاجة إلى دعوى النسخ ؛ والله أعلم.) [1]

ولم ينفرد القرطبي بالنقد على سيبويه في هذه العبارة بل شاركه في ذلك كثير من المفسّرين، منهم الشوكاني قال:(وأقول – الشوكاني–: هكذا يكون كلام الرجل إذا تكلم في غير علمه ومشى في غير طريقته ولم يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولا نهوا عنه بل أمروا بالصفح والهجر الجميل فلا حاجة إلى دعوى النسخ)[2].

ومن الذين أنكروا النّسخ في هذه الآية الزمخشري، حيث قال:(ولا حاجة إلى ذلك –النسخ–، لأنّ الإغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة، وأسلم للعرض والورع) [3].

([1]) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي (٦٣/١٣).

(٢) فتح القدير / الشوكاني(١٢٣/٣) .

(٣) الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٢٩٦/٣) .

وقد أسند إسماعيل حقي[1]. عدم النسخ في هذه الآية إلى أكثر المفسّرين فقال: (وهذه الآية محكمة عند أكثرهم لأن الحلم عن السفيه مندوب إليه والأعضاء عن الجاهل أمر مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض وأوفق للورع) [2].

ويرى الباحث أنّ الصواب كونُ هذه الآية مُحْكمةٌ، وِفْق قولِ الجمهور وخلافاً لما ذهب إليه سيبويه والقرطبي، وأنّ سيبويه لم يحالفه الصواب في اختياره أنّ المنسوخ حكم السلام على المشركين، ولم يعثر الباحث على من وافق سيبويه في هذا من المفسّرين، ولله العزّة والكمال !!

---

(١) إسماعيل حقي: هو إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي، أبو الفداء: مفسر.تركي مستعرب ، صوفي متبتل إلى الله.ولد في آيدوس وسكن القسطنطينية، وانتقل إلى بروسة، وكان من أتباع الطريقة (الخلوتية) مات سنة ١١٢٧هـ الأعلام / الزركلي (٣١٣/١).

(٢) تفسير روح البيان/ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي ألخلوتي(١٧٥/٦)، دار النشر / دار إحياء التراث العربى ، بدون تاريخ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ القصص: ٨٢.

ذكر سيبويه هذه الآية وفسّرها في (باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده) فقال: (وسألت الخليل رحمه الله تعالى عن قوله: " ويْكأنّه لا يُفلح" وعن قوله تعالى جدّه:" ويْكأن الله " فزعم أنه "ويْ مفصولةٌ من كأن، والمعنى وقع على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم، أو نُبّهوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا. والله تعالى أعلم، وأما المفسرون فقالوا: ألم تر أن الله) (١)..

والإمام سيبويه ذكر في هذا النص أنّه سأل أستاذه عن قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ فأجابه بأنها: ﴿ وي﴾ مفصولة من ﴿ كأن﴾، والمعنى وقع على أنَّ القوم انتبهوا، فتكلَّموا على قَدْر عِلْمِهم، أو نُبِّهُوا فقيل لهم: أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا ؟» قال سيبويه: «وأَمَّا المُفسِّرون فقالوا: ألم تَرَ أنَّ الله».

وهذا النصّ يدلّنا على أنّ سيبويه حظي بطائفة من أئمة العلم في عصره، من أمثال الخليل ويونس، فحاورهم في مسائل من التفسير، ونقل عنهم آراءهم في كتابه، بل إنه على ما يبدو كان مطَّلعاً على ما يدور في حلقات التفسير في عصره، وتبين لنا من قبل أنه كان ينقل عنهم بلفظ «المفسرين»، مما يعني أنه كان متابعاً للحركة العلمية المصاحبة لتفسير القرآن الكريم.

وقد اختار سيبويه متبعاً لأستاذه أن(وي) كلمة مفصولة عن (كأن) وهي كلمة مستعملة عند التنبه للخطأ وإظهار التندم، فلما قالوا:{ يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ} (القصص: ٧٩) ثم شاهدوا الخسف تنبهوا لخطئهم فقالوا: وي ثم قالوا: كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه، ويضيق على من يشاء لا لهوان من يضيق عليه بل لحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة،

---

(١) كتاب سيبويه(١٥٦/٢) .

وقد مال القرطبي إلى هذا الذي اختاره سيبويه في تفسير هذه الآية، بل ذكر أنّ أحسن ما يقال في هذه الآية هو ما ذهب إليه سيبويه وأستاذه، فقال: (أحسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي إن القوم تنبهوا أو نبهوا؛ فقالوا: (وي)، والمتندم من العرب يقول في خلال تندمه: وي) [١]

والزمخشري أيضاً اعتمد على هذا التفسير وعزاه إلى سيبويه وأستاذه، فقال: (وي) (مفصولة عن كأن، وهي كلمة تنبُّهٍ على الخطأ وتندُّم. ومعناه: أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم: { يالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ} وتندموا ثم قالوا: كَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ أي: ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح، وهو مذهب الخليل وسيبويه) [٢]..

وكذلك الشوكاني وصف تفسير سيبويه في هذه الآية بأنّه من أحسن التفاسير[٣]

وممن قدّم تفسير سيبويه لهذه الآية على غيره الفخر الرازي[٤] وابن عجيبة[٥]

وقد نقل سيبويه عن المفسّرين أنّهم اختاروا في تفسير هذه الكلمة (ويكأنّه) أنَّها كلَّها كلمةٌ متصلةٌ بسيطةٌ، ومعناها: ألم تَرَ، وهذا ما يفيده قوله: وأما المفسرون فقالوا: ألم تر أن الله، فعلى هذا يكون المعنى- ألم تر أنّه لا يفلح الكافرون، وقد أسند الطبري هذا القول الذي نسبه سيبويه للمفسرين إلى قتادة، ثم صحّحه، وقال: وأولى الأقوال في ذلك بالصحة: (القول الذي ذكرنا عن قَتادة، من أن معناه: ألم تر، وأن "ويكأنّ" في خطّ المصحف حرف واحد)، ثمّ أشار إلى القول الذي اختاره سيبويه وضعّفه فقال: (وإن وجه إلى قول من يقول: "وي" بمعنى التنبيه، ثم استأنف الكلام بكأن، وجب أن يفصل "وي" من "كأن"، وذلك خلاف خطوط المصاحف كلها فإذا كان ذلك حرفا واحدا، فالصواب من التأويل: ما قاله قَتادة، وإذ كان ذلك هو الصواب، فتأويل الكلام: وأصبح الذين تمنوا مكان قارون

---

(١) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٣١٧/١٣) .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري(٤٣٨/٣) .

(٣) انظر: فتح القدير / الشوكاني(٢٦٧/٤) .

(٤) انظر: مفاتيح الغيب / الرازي(١٧/٢٥) .

(٥) انظر: البحر المديد/ ابن عجيبة(٤٣٩/٥) .

وموضعه من الدنيا بالأمس، يقولون لما عاينوا ما أحلّ الله به من نقمته: ألم تر أن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، لا لفضل منزلته عنده، ولا لكرامته عليه، كما كان بسط من ذلك لقارون، لا لفضله ولا لكرامته عليه(وَيَقْدِرُ) يقول: ويضيق على من يشاء من خلقه ذلك، ويقتر عليه، لا لهوانه، ولا لسخطه عمله)[1].

ويرى الباحث أنّ استدلال الطبري بخطوط المصاحف استدلال غير صحيح فكيف يَجعلُ رسمَ المصاحف دليلا على المعنى، مع أن المصاحف مختلفة في رسمها اختلافًا بينًا، وليس لاختلاف المعاني أي دخل في ذلك الرسم، وإنما وجد اختلاف المعنى إلى أسباب أخرى، فرسم المصاحف أمر وضعي اصطلاحي، والمرجع في التفسير إلى اللفظ العربي.

وأما الحافظ ابن كثير فقد اختار قولاً ثالثاً في تفسير هذه الكلمة (ويكأنّه) وهو أنّ أصل الكلمة "ويلك اعلم أن"، ولكن خُفّفت بحذف اللام فقيل: "ويك"، ودلَّ فتح "أن" على حذف "اعلم"ثمّ قال: وهذا القول ضعَّفه ابن جرير، والظاهر أنه قوي. [2]

والباحث لا يوافق ابنَ كثيرٍ في تقويته لهذا الوجه؛ لأنّ حذفَ اللام من (ويلك) لا يقاس، ولم يُعهد في العربية أيضاً حذف "اعلم" وإبقاء عمله .

وفي هذه الكلمة (ويكأنّ) وجه رابع: وهو أنّ « كأنَّ » هنا للتشبيه، إلاَّ أنه ذهب منها معناه، وصارت للخبرِ واليقين. ووجه خامس وهو: أنَّ « وَيْكَ » كلمةٌ برأسِها، والكافَ حرفُ خطابٍ، و « أنَّ » معمولُه محذوفٌ أي: اعلمُ أنه لا يُفْلِحُ الكافرون. [3]

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري (٦٣٤/١٩).

([2]) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير(٢٥٨/٦).

([3]) انظر : اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل(١٥/ ٢٩٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [يس: ٣١]

ذكر سيبويه هذه الآية الكريمة وفسّرها في (باب تكون فيه أنَّ بدلاً من شيءٍ ليس بالآخر) قال: (ومن ذلك قوله عز وجل: " ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنَّهم إليهم لا يرجعون " فالمعنى واللَّه أعلم: ألم يروا أنَّ القرون الذين أهلكناهم إليهم لا يرجعون.) [١] ..

ذهب سيبويه في تفسير هذه الآية إلى "أن" بدل من "كم"، ومعنى(كم) ها هنا خبريّة[٢]..؛ فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام: فيكون المعنى كما وضّح سيبويه ألم يروا أنَّ القرون الذين أهلكناهم إليهم لا يرجعون، وإلى هذا مال الطبري مقدّماً له على غيره ومؤيّداً له برواية أسندها إلى قتادة [٣]..

ولمّا فسّر القرطبي هذه الآية صنع فيها صنيع سيبويه معنى وإعراباً، بل عزا هذا لتفسير إليه ، فقال: قوله تعالى: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ } قال سيبويه: "أن" بدل من "كم"، ومعنى كم ها هنا الخبر؛ فلذلك جاز أن يبدل منها ما ليس باستفهام. والمعنى: ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم إليهم لا يرجعون) [٤] ..

وكذلك الشوكاني استحسن تفسير سيبويه في هذه الآية وعزاه إليه، فقال: { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ } أي ألم يعلموا كثرة من أهلكنا قبلهم من القرون التي أهلكناها من الأمم الخالية وجملة { أنهم إليهم لا يرجعون} بدل من كم أهلكنا على المعنى قال سيبويه: "أن" بدل من كم وهي الخبرية فلذلك جاء أن يبدل

---

(١) كتاب سيبويه(١٥٣/٣).

(٢) كم الخبريّةُ: هي التي تكون بمعنى "كثيرٍ" وتكونُ إخباراً عن عدَد كثير مُبهَمِ الكميّةِ، نحو "كم عالمٍ رأيتُ!"، أي رأيتُ كثيراً من العلماء ولا تقعُ إلاّ في صدر الكلامِ، ويجوز حذفُ مُميّزها، إن دلَّ عليه دليلٌ، نحو "كم عَصَيتَ أمري!"، أي "كم مَرَّةٍ عصيتَهُ ، مغني اللبيب / ابن هشام (١٨١/١)

(٣) راجع :جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٥١٢/٢٠)

(٤) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(١٥/ ٢٤).

منها ما ليس باستفهام والمعنى: ألم يروا أن القرون الذين أهلكناهم أنهم إليهم لا يرجعون) [1] ..

ولما اختار ابن عطية هذا الإعراب هاجمه أبو حيان فقال: هذا لا يصح لأنها إذا كانت خبرية كانت في موضع نصب " بأهلكنا " ولا يسوغ فيها إلا ذلك وإذا كانت كذلك امتنع أن يكون " أنهم " بدلاً منها لأن البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت " أهلكنا " على " أنهم" لم يصح ألا ترى أنك لو قلت: أهلكنا انتفى رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاماً لكنَّ ابْنَ عطية توهم أن (يَرُوْا) مفعولة " كم " فتوهم أن قوله: (أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ) بدل منه لأنه لا يسوغ أن يسلط عليه فتقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون إلى أن قال أبو حيان: وهذا وأمثاله دليل إلى ضعف ابن عطية في (عِلْم) العربية، واختار أبو حيان تقدير فعل محذوف، وهو: وقضى(أنّهم إليهم لا يرجعون)[2] .. والباحث لا يوافق أبا حيان في هذا النقد العنيف، كيف وابن عطية لم ينفرد بهذا الإعراب بل اختاره إمام العربية سيبويه وتبعه على ذلك كبار المفسّرين كالطبري والقرطبي والشوكاني، وهذا الإعراب له وجه صحيح في العربية وهو أن نقول: كم خبرية والخبرية يجوز أن تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون: " مَلَكْتُ كم عبدٍ " فلم يلزم الصدر فيجوز أن يكون بناء هذا التوجيه على هذه اللغة وجعل " كم " منصوبة " بيَرَوا " و" أنهم" بدل منها وليس هو ضعيفاً في العربية حينئذ، أما اختيار أبي حيان تقديرِ فعلٍ محذوفٍ فهو تكلفٌ بلا داعٍ إليه للاستغناء عنه بالفعل المذكور في الآية؛ لأنّ البدل على نية تكرار العامل.

([1]) فتح القدير / الشوكاني(٥٢٢/٤).

([2]) انظر: البحر المحيط / أبو حيان (٨/ ٣١٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ التوبة: ٣٠

نصّ تفسير الإمام سيبويه لهذه الآية في الكتاب (باب من النكرة يجري ما فيه الألف واللام) قال(رحمه الله):، قوله تعالى " قاتلهم الله "، إنما أجري هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن. فإنه لا ينبغي أن تقول إنه دعاء ههنا، لأن الكلام بذلك قبيح، واللفظ " به " قبيح، ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنه والله أعلم قيل لهم: هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم، لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكلة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة ووجب لهم هذا) [1] ..

يرى سيبويه في تفسير هذه الآية وأمثالها مما ورد على صيغة الدعاء على أهل الضلالة أنّه لا ينبغي أن تُفسّر بالدّعاء عليهم، وأعلّ ذلك بقوله: (لأن الكلام بذلك قبيح، واللفظ "به" قبيح، ولكن العبادَ إنما كُـلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون) ويعني سيبويه بذلك أنّ هذا الكلام مصروف للخلق والقصد إعلامهم بأنّ الظالمين أهلٌ لأن يدعى عليهم كما في الرجاء وغيره.

وقد أسند الطبري هذا التفسير إلى ابن جريج، ثمّ أردف ذلك بقوله : قالوا: ومعنى قوله:(قاتلهم الله)، كقوله:(قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ)، [سورة الذاريات: ١٠]، و(قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ)، [سورة البروج: ٤]، واحدٌ هو بمعنى التعجب ،فإن كان الذي قالوا كما قالوا، فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس، لأنّ "فاعلت" لا تكاد أن تجيء فعلا إلا من اثنين، كقولهم: "خاصمت فلاناً"، و"قاتلته"، وما أشبه ذلك. وقد زعموا أن قولهم: "عافاك الله" منه، وأن معناه: أعفاك الله، بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يُعْفيه من السوء، لكنّ الطبري نقل عن ابن عباس أنّه فسّر قوله تعالى: {قاتلهم الله} بـــ "لعنهم الله" وأنّه قال :وكل شيء في القرآن "قتل" فهو لعن).[2]

([1]) انظر: كتاب سيبويه(١/١٨١) بتصرّف يسير.

([2]) انظر : جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(١٤/٢٠٨)

ويُفهم من كلام الطبري أنّه يعتمد على تفسير ابن عباس؛ لأنّه قدّمه إيراداً والقرطبي صنع صنيع الطبري فذكر في تفسير هذه الآية تفسير ابن عباس وابن جريج ، واختار تفسير ابن عباس بإيراده أولاً فقال:

قوله تعالى: {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} أي لعنه م الله، يعني اليهود والنصارى، لأن الملعون كالمقتول. قال ابن جريج: {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} هو بمعنى التعجب. وقال ابن عباس: كل شيء في القرآن قتل فهو لعن، وحكى النقاش[1] أن أصل "قاتل الله" الدعاء، ثم كثر في استعمالهم حتى قالوه على التعجب في الخير والشر، وهم لا يريدون الدعاء) [2] ..

وللزمخشري قولان في تفسير هذه الآية فاختار في سورة التوبة تفسير سيبويه فقال: قوله تعالى: {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجباً من شناعة قولهم، كما يقال لقوم ركبوا شنعاء: قاتلهم الله ما أعجب فعلهم {أَنَّى يُؤْفَكُونَ} كيف يصرفون عن الحق ؟)[3] .. واختار في سورة (المنافقون) تفسير ابن عباس فقال: قوله تعالى:{ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ} دعاء عليهم، وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم. أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك[4] .. ومن الذين قدّموا تفسير ابن عباس في هذه الآية ابن عطية[5] ..، وأبو حيان[6] ..وابن عادل[7] .. وابن عاشور[8].. وبالجملة فالتفسير الذي اعتمد عليه سيبويه في تفسير هذه الآية مخالف لما عليه الجمهور خصوصاً تشنيعه وتقبيحه على القول بأنّ المرد من هذه الآية الدّعاء على أهل الضلالة، والله أعلم.

([1]) لم يقف الباحث على ترجمة عن (النقاش) ولا يدري من هو ؟

([2]) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(١١٩/٨).

([3])الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٢٥٢/٢)

([4]) المرجع نفسه(/٥٤٣).

([5]) انظر : المحرّر الوجيز/ ابن عطية(٢٩/٣).

([6]) انظر : البحر المحيط/ أبوحيان(٣٩/٥).

([7])انظر : اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(٧٤/١٠)

([8]) انظر : التحرير والتنوير/ابن عاشور(١٦٩/١٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾البقرة: ٦١

ذكر سيبويه هذه الآية الكريمة في (باب أسماء الأرضين) وتكلم فيه على أحكام الاسم العَلَم المؤنّث الثلاثي الساكن الوسَط ، وذكر أنّه يجوز صرفه وعدم صرفه، مثل: هند ودعْد وحمْص، واستشهد على ذلك بهذه الآية تمّ قال – رحمه الله – : (وبلغنا عن بعض المفسّرين أن قوله عزَّ وجلَّ: " اهبطوا مصر"، إنما أراد مصر بعينها) [1]

يُفهم كلامُ سيبويه هنا أنّ بعض القرّاء قرءوا هذه الكلمة (مصر) بترك التنوين[2]، وأن الله تعالى أراد بالمصر في الآية الكريمة مصر بعينها وهي "مصر" فرعون، ويكون المعنى على هذه القراءة: اتركوا المكان الذي أنتم فيه، واهبطوا مصر التي كنتم تُسامون فيها سوء العذاب فإنكم تجدون فيها ما تبغونه، لأنّ شأنكم – دائماً – أن تستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير .

وهذا التفسير الذي اعتمده سيبويه ونقله عن بعض المفسّرين هو الذي مشى عليه الطبري جريا على هذه القراءة فقال: وأما الذي لم يُنوّن"مصر" فإنه لا شك أنه عنى"مصر" التي تعرف بهذا الاسم بعينها دون سائر البلدان غيرها فأما الذين

([1]) كتاب سيبويه(٣/٢٦٦).

([2]) هذه القراءة : هي قراءة **الحسن وطلحة والأعمش وأبان بن تغلب ، انظر : البحر المحيط/ أبو حيان (١/٣٩٦)**

نونوه، فإنهم عنوا به مصرا من الأمصار، لا مصرا بعينه. فتأويله -على قراءتهم-: (اهبطوا مصرا) من الأمصار، لأنكم في البدو، والذي طلبتم لا يكون في البوادي والفيافي، وإنما يكون في القرى والأمصار، فإن لكم -إذا هبطتموه- ما سألتم من العيش [1] .

ثمّ ذكر الطبري أنّ بعض من قرأ بالتنوين أجاز أن يُراد بالكلمة "مصر"مصر بعينها، وهي مصر فرعون، فتكون الكلمة علماً على هذه البلدة، **فقال:** (وقد يجوز أن يكون بعض من قرأ ذلك بالتنوين، كان تأويل الكلام عنده: "اهبطوا مصرا" البلدة التي تعرف بهذا الاسم، وهي"مصر" التي خرجوا عنها. غير أنه أجراها ونونها إتباعا منه لخط المصحف، لأن في المصحف ألفا ثابتة في"مصر"، فيكون سبيل قراءته ذلك بالإجراء والتنوين، سبيل من قرأ: ﴿ قَوَارِيرَاْ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ ﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] منونة اتباعا منه خط المصحف[2] ..) **ثمّ** رجّح الطبري قراءة التنوين فقال: فأما القراءة فإنها بالألف والتنوين {اهبطوا مِصْراً} وهي القراءة التي لا يجوز عندي غيرُها، لاجتماع خطوط مصاحف المسلمين واتفاق قراءة القراء على ذلك) [3] .. وتبعه على ذلك ابن كثير فقال: قوله تعالى: { مِصْراً }. (هكذا هو منون مصروف مكتوب بالألف في المصاحف الأئمة العثمانية وهو قراءة الجمهور بالصرف). [4] ..

ثم ناقش الطبري حُجج الفريقين واختلافهم في المراد بهذه الكلمة"مصر" فقال: ومن حجة الذين قالوا إن الله أراد بالمصر في الآية الكريمة، مصر فرعون، قوله تعالى في سورة الشعراء { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بني إِسْرَائِيلَ } وقوله تعالى في سورة الدخان: (كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(١٣٢/٢)

([2]) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

([3]) المرجع السابق(١٣٦/٢).

([4]) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير(٢٨١/١).

قَوْماً آخَرِينَ } قالوا: فأخبر الله – تعالى– أنه قد ورثهم ذلك، وجعلها لهم، فلم يكونوا يرثونها ، ثم لا ينتفعون بها، ولا يكونون منتفعين إلا بمصر بعضهم إليها .

ومن حجة من قال إن الله – إنما عني بقوله: { اهبطوا مِصْراً } أي: مصراً من الأمصار دون مصر فرعون بعينها، أن الله – تعالى– جعل أرض الشام لبني إسرائيل مساكن بعد أن أخرجهم من مصر، وإنما ابتلاهم بالتيه. فامتناعهم عن موسى في حرب الجبابرة، إذ قال لهم: { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا على أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } إلى قوله تعالى: { فاذهب أَنتَ وَرَبُّكَ فقاتلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } فحرم الله – تعالى – على قائل ذلك – فيما ذكر لنا – دخولها حتى هلكوا في التيه وابتلاهم بالتيهان في الأرض أربعين سنة . ثم أهبط ذريتهم الشام، فأسكنهم الأرض المقدسة، وجعل هلاك الجبابرة على أيديهم مع " يوشع بن نون " بعد وفاة موسى بن عمران. فرأينا أن الله – تعالى – قد اخبر عنهم أنه كتب لهم الأرض المقدسة ، ولم يخبرنا عنهم أنه ردهم إلى مصر بعد إخراجه إياهم منها ، فيجوز لنا أن نقرأ { اهبطوا مِصْراً } ونتأوله أنه ردهم إليها . قالوا : فإن احتج محتج بقوله تعالى : { فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ . كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بني إِسْرَائِيلَ } قيل لهم : فإن الله – تعالى – إنما أورثهم ذلك فملكهم إياها . ولم يردهم إليها وجعل مساكنهم الشام

ومع أن ابن جرير – رحمه الله – قد ردّ على من قال، إن المراد بالمصر مصر فرعون: استناداً إلى قراءة غير الجمهور، إلا أنه لم يرجّح أحد الرأيين فقد قال:(والذي نقول به في ذلك، أنه لا دلالة في كتاب الله – تعالى – على الصواب من هذين التأويلين، ولا خبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقطع مجيئه العذر، وأهلا لتأويل متنازعون تأويله ، فأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال : إن موسى سأل ربه أن يعطي قومه ما سألوه من نبات الأرض على ما بينه الله – تعالى – في كتابه وهم في الأرض تائهون فاستجاب الله لموسى دعاءه وأمره أن يهبط بمن معه من قومه قراراً من الأرض التي تنبت ما سأل لهم من

ذلك، إذا صاروا إليه، وجائز أن يكون ذلك القرار مصر، وجائز أن يكون الشام"[1]

ومن هذا النص الذي نقلناه عن ابن جرير، نرى أنه لم يقطع برأي في المكان الذي أمر بنو إسرائيل بالهبوط فيه وأنه يرى أن الله – تعالى– قد استجاب لموسى– عليه السلام وقد عارض الإمام ابن كثير في تفسيره رأى ابن جرير فقال:

وهذا الذي قاله –أي ابنُ جرير– فيه نظر، والحق أن المراد مصر من الأمصار، كما روى عن ابن عباس وغيره والمعنى على ذلك، لأن موسى – عليه السلام – يقول لهم: هذا الذي سألتم ليس بأمر عزيز، بل هو كثير في أي بلد دخلتموها، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه، ولهذا قال: { أَتَسْتَبْدِلُونَ الذي هُوَ أدنى بالذي هُوَ خَيْرٌ اهبطوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ } أي ما طلبتم، ولما كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه لم يجابوا إليه والله أعلم).[2]

وبذلك يظهر لنا أن ابن كثير – رحمه الله – يرى أن المراد بالمصر مكان غير معين وأن موسى –عليه السلام– لم يسأل ربه إجابة طلبهم لأنهم كانوا متعنتين . بطرين، والله – تعالى – يكره من كان كذلك، وأن قول موسى – عليه السلام – لهم " اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم " من باب التوبيخ والتجهيل لهم، إذ ليس حينئذ بلد قريب يستطيعون الوصول إليه .

هذا، والذي يرجّحه الباحث في هذا المقام هو ما ذهب إليه الإمام ابن كثير جرياً على القراءة بالتنوين المتواترة ، وابن جرير نفسه لم يجاوز القراءة بغيرها، وهذه القراءة المتواترة، نص في أن المراد من مصر، أيّ بلد كان، لا مصر فرعون، ثم إذا كان المراد به ذلك فليس لنا أن نقول إنه يصدق على مصر فرعون، وذلك لأن الأمصار التي تنبت ما طلبوا من البقول والخضر أقرب إليهم

([1]) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، مرجع سابق، (١٣٦/٢).

([2]) المرجع نفسه (٢٨٢/١) .

من مصر، فليس من المعقول أن يُؤمروا بالذهاب إلى مصر فرعون وهي بعيدة عن مكانهم بُعداً شاسعاً ، ويتركوا الأمصار الأقرب إليهم وفيها ما يريدون .

ثانيـــاً: لم ينقل أحدٌ من المؤرخين أنهم رجعوا إلى مصر بعد خروجهم منها، بل الثابت أن بني إسرائيل خرجوا من مصر، وأمروا بعد خروجهم بدخول الأرض المقدسة لقتال الجبّارين، ولعصيانهم أمر نبيهم وماتوا جميعاً في التيه، وبقي أبناؤهم فامتثلوا أمر الله –تعالى– وهبطوا إلى الشام وقاتلوا الجبارين ودخلوا الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون، والله أعلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨ .

قوله تعالى: " والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما "، فإن هذا لم يُبْنَ على الفعل،كأنه قال: و" فيما فرض عليكم " السارق والسارقة، أو السارق والسارقة فيما فرض عليكم " . فإنما دخلت هذه الأسماء بعد قصص وأحاديث.[1]

تناول سيبويه هذه الآية الكريمة بالتفسير والإعراب في (باب الأمر والنهي) واختار أنّ السارق مبتدأ والخبر محذوف، والتقدير– فيما فُرض عليكم أو فيما يُتلى عليكم حكم السارق والسارقة ، ولا يُجوّز سيبويه أن يكون الخبر قوله تعالى{ فاقطعوا أيديهما}؛ لأن الفاء لا تدخل إلا في خبر مبتدأ موصول بظرف أو مجرور، أي جملة صالحة لأداة الشرط ، والموصول هنا أل ، وصلتها اسم فاعل أو اسم مفعول ، وما كان هكذا لا تدخل الفاء في خبره عند سيبويه ، ويكون قوله تعالى:{ فاقطعوا } بيانا لذلك الحكم المقدر . فما بعد الفاء مرتبط بما قبلها ، ولذلك أتى بها فيه لأنه هو المقصود . ولو لم يؤت بالفاء لتوهم أنه أجنبي ، والكلام على هذا جملتان .

ومال القرطبي إلي ترجيح ما ذهب إليه سيبويه بتقديمه على غيره وعبّر عن الوجه الثاني بصيغة التمريض فقال : قال سيبويه : المعنى وفيما فرض عليكم السارق والسارقة. وقيل: الرفع فيهما على الابتداء والخبر {فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا} . وليس القصدُ إلى معين إذ لو قصد معينا لوجب النصب ؛ تقول : زيدا اضربه ؛ بل هو كقولك : من سرق فاقطع يده[2]

ولم يرتض الفخر الرازي تقدير سيبويه في آية السارق، ورَدَّه بوجوه منها: أَنَّا إذا جَعَلْنا السارق مبتدأ، وخبره مضمر، وهو الذي يقدِّره: فيما يُتْلَى عليكم، بقي شيءٌ آخرُ تتعلَّق به الفاء في قوله ﴿**فَٱقْطَعُوٓاْ**﴾. فإن قال: الفاء تتعلق بالفعل الذي دل عليه قوله: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ** ﴾، يعني أنه إذا أتى بالسَّرقة فاقطعوا يدَه.

---

[1] كتاب سيبويه(١/١٩٦)

[2] الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(٥/٨٤)

فنقول: إذا احتجتَ في آخر الأمر أن تقولَ: السارق والسارقة تقديره: مَنْ سرق، فاذكر هذا أولاً حتى لا تحتاج إلى الإضْمارِ الذي ذَكرْته.

وقد هاجم أبو حيان الرازي في ردّه على سيبويه، ووصَفَه بقلة الفهم في كلام سيبويه فقال: وقد تجاسر أبو عبد الله محمد بن عمر، المدعو بالفخر الرازي على سيبويه، وقال عنه ما لم يقله، فقال: الذي ذهب إليه سيبويه ليس بشيء، قلت: هذا تقوّلٌ على سيبويه، وقلةُ فَهمٍ عنه، والمسألة ليست من باب الاشتغال المبني على جواز الابتداء فيه، وكون جملة الأمر خبره[1]

ويرى الطبري أنّ{ أل] فيهما موصولةٌ مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو { **فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** } وهذا يدلّك تقديره بقوله:

ومن سرقَ من رجل أو امرأة، فاقطعوا، أيها الناس، يَدَه[2]. وتبعه على ذلك الشربيني.

ويرى الباحث أنّ ما ذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية وإعرابها هو الراجح؛ لأنّ هذه الجملة { فاقطعوا أيديهما} جملة إنشاء وهو لا يقع خبرا إلا بتأويل أو إضمار، والله أعلم .

([1]) البحر المحيط/ أبو حيان(٣/٤٩٠) .

([2]) راجع :جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(١٠/٢٩٤)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾ النور: ٢

تناول سيبويه هذه الآية الكريمة بالتفسير في (باب الأمر والنهي). فقال: قوله تعالى: الزانية والزاني فاجلدوا كل واجد منهما مائة جلدة "، كأنه " لما قال جل ثناؤه: " سورة أنزلناها وفرضناها " قال: في الفرائض الزانية والزاني، " أو الزانية والزاني في الفرائض " ثم قال: فاجلدوا، فجاء بالفعل بعد أن مضى فيهما الرفع، كما قال: [1] وقائلةٍ خَوْلانُ، فانكح فَتاتَهم ...

فجاء بالفعل بعد أن عمل فيه المضمر)[2] اختلف المفسرون في تقدير قوله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾، فذهب سيبويه إلى أن معنى الآية: «: في الفرائض الزانية والزاني، " أو الزانية والزاني في الفرائض ...»، فقوله تعالى: ﴿ **ٱلزَّانِيَةُ** ﴾ مبتدأ، خبره متعلَّق الجار والمجرور المتقدم، أي: في الفرائض حُكمُ الزانية والزاني، ثم بيَّن ذلك بقوله: ﴿ فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ وذهب الطبري إلى أنَّ في الآية معنى الشرط، ففسَّر الآية بقوله: « مَنْ زنى من الرجال، أو زَنَتْ من النساء، وهو حرّ بكر غير محصن بزوج، فاجلدوه ضرباً مائة جلدة، فدخلت الفاء في الخبر لشِبْه المبتدأ بالشرط، وعلى هذا يرى أنّ الخبر قوله تعالى:" فاجلدوا".[3]

وهذا تفسير الزمخشري حيث قال: قوله تعالى:{ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِى} يجوز أن يكون الخبر"فَاجْلِدُواْ"، وإنما دخلت الفاء لكون الألف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط، تقديره: التي زنت، والذي زنى فاجلدوهما، كما تقول: من زني

([1]) البيت بلا نسبة في لسان العرب/ ابن منظور(٢٣٩/١٤) (خلا) ومغني اللبيب/ ابن هشام(١٦٥/١) وتمامه .... وأُكرومة الحيّين خِلْوٌ كما هيا "خولان" بفتح الخاء: اسم قبيلة، الاكرومة : بضمّ الهمزة فعل الكرم، الحيّان: حيّ أمّها وحيّ أبيها ، ومعنى البيت : رُبّ قائلة لي انكح فتاةً ذات كرَمٍ ومجدٍ من ناحية الأب ولأم .

([2]) كتاب سيبويه (١٩٦/١).

([3]) راجع : جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٩٠/١٩) .

فاجلدوه) [1] أمَّا القرطبي فقدَّر معنى الآية: الزانية والزاني مَجْلُودَان بحكم الله، أو ينبغي أن يُجْلَدا، ولكنّه اختار تقدير سيبويه بتقديمه إيراداً [2].. والداعي لسيبويه على ما ذهب إليه أن النهج المألوف في كلام العرب إذا أريد بيان عن أمر مُهمّ أن يذكر قبله ما هو عنوان وترجمة له وهذا لا يكون إلا بأن يبني على جملتين فما ذهب إليه في الآية أولى لذلك مما ذهب إليه غيره، وأيضاً هو سالم من وقوع الإنشاء خبراً والدغدغة التي فيه.

(1) الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٣/٢١١)

(٢) انظر :الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي(١٢/١٥٩).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ يس: ٣٢

ذكر سيبويه هذه الآية في(باب الحروف الخمسة التي تعمل كعمل الفعل). ثمّ شرع في أحكام (إن) وأنّه تلزم اللام في خبرها إذا كانت مخفّفة فرقا بينها وبين إن التي بمعنى ما، فقال –رحمه الله تعالى– : (واعلم أنهم يقولون: إن زيدٌ لذاهبٌ، وإنْ عمرٌو لخيرٌ منك، لما خفّفها جعلها بمنزلة لكنْ حين خفّفها، وألزمها اللام لئلا تلتبس بإن التي هي بمنزلة ما التي تنفي بها. قال تعالى: " وإنْ كلٌّ لَما جميعٌ لدينا مُحضَرون " إنما هي: لجميعٌ، و"ما" لغوٌ). [١]..

يعني أنّه لما خُفّفت (إن) في هذه الآية الكريمة لزمت اللام في خبرها وهو قوله تعالى: (لدينا) وأما اللام في قوله تعلى (لما جميع) فذكر سيبويه أنّها لغو أي زائدة، فيكون المعنى على ما ذهب إليه سيبويه أن كل النّاس محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة.

وعلى اختيار سيبويه أنّ اللام في قوله تعالى { لما جميع } زائدة مشى أبو جعفر الطبري في تحليل هذه الآية، ويطلعك على هذا تقديره بقوله (وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون) [٢]. وإلى مثل هذا مال ابن عطية حيث قال:(وقرأ جمهور الناس لما جميع بتخفيف الميم وذلك على زيادة ما للتأكيد والمعنى لجميع) [٣] ومن الذين اختاروا تفسير سيبويه في هذه الآية وقدّمه على غيره القرطبي[٤] وفخر الدين الرازي[٥] والشوكاني[٦] وابن الجوزي[٧] في تفسيره[٨] .

---

(١) كتاب سيبويه (١٤٠/٢)

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري(٥١٣/٢٠)

(٣) المحرر الوجيز / ابن عطية (٤/ ٥١٩)

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي (١٥/ ٣٤)

(٥) انظر : مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي(٥٣/٢٦)

(٦) انظر : فتح القدير / الشوكاني(٤/ ٥٢٢)

(٧) ابن الجوزي : هو ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الحنبلي، كان بحرا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيها، عليما بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء وحفظ واستحضار، وإكباب على الجمع والتصنيف، مع التصون والتجمل، ورشاقة العبارة، ولطف الشمائل، والأوصاف الحميدة، والحرمة الوافرة عند الخاص والعام، ما عرفت أحدا صنف ما صنف / سير أعلام النبلاء/ الذهبي(٢١ /٣٧٠)

(٨) انظر : زاد المسير / ابن الجوزي/ المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤(١٥/٧)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤

كشف سيبويه إشكالا غامضا في هذه الآية الكريمة، وهو أنّ الله تعالى ذكر الكوكب والشمس والقمر ومعلوم أنّها لا تعقل، فكيف عبّر الله تعالى عنها بجمع من يعقل في قوله {رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ }؟

فأجاب رحمه الله تعالى بأنّه لما وصفها الله تعالى بما هو خاصّ بالعقلاء وهو السجود أجري عليها حكمهم كأنّها تسمع وتعقل. [1]..

يعني سيبويه أنّه أجريت هذه الكواكب مُجرى العقلاء فى الضمير المختص بها ، لوصفها بوصفهم حيث إن السجود من صفات العقلاء ، والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته ،ولعل سيبويه يردّ بكلامه هذا على الفلاسفة الذين ذهبوا إلى أن الكواكب أحياء ناطقة واستدلوا بهذه الآية ونظائرها ، قالوا: والجمع بالواو والنون لا يكون إلا للعقلاء فردّ عليهم سيبويه بأنّه جُعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهوا السجود

وقد صرّح فخر الدين الرازي بما عرّضه سيبويه من الرّدّ على الفلاسفة فقال: (احتج أبو علي بن سينا[2].. على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله تعالى: {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَـــاجِدِينَ}، والجواب: إنما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السجود[3]

وعلى تحليل سيبويه اعتمده كبار المفسّرين فمنهم من عزاه إليه كالشوكاني حيث قال: (وجملة {رأيتهم لي ساجدين} مستأنفة لبيان الحالة التي رآهم عليها

([1]) انظر : كتاب سيبويه (١/١٠٠)

([2]) أبوعلي ابن سينا هو أبو علي، الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، البلخي ثم البخاري، العلامة الشهير الفيلسوف، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق. رأس الفلاسفة الإسلامية ،كان أبوه كاتبا من دُعاة الاسماعيلية ،ولد ٣٧٠ هـ وتوفي ٤٢٨هـ / سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١)

([3]) مفاتيح الغيب/ الرازي(٢٢/١٤٥)

وأجريت مُجرى العقلاء في الضمير المختص بهم لوصفها بوصف العقلاء وهو كونها ساجدة كذا قال الخليل وسيبويه والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته[١] ومنهم أبو حيان الأندلسي فقد استحسن هذا التحليل وعزاه إلى سيبويه فقال: (وقد قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى: (رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ) إنما قال: { رأيتهم لي ساجدين} لأنه إنما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل فعبّر عنها بكناية من يعقل.[٢]..

ومنهم ابن عطية فقد قال : (قال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى " رأيتهم لي ساجدين " لما وصفها بالسجود وهو من فعل من يعقل عبر عنها بكناية من يعقل.[٣]

ومنهم من تبع سيبويه على هذا التحليل وإن لم يعزُه إليه كالطبري؛ فإنّه قال: وقال" ساجدين" والكواكب والشمس والقمر إنما يخبر عنها ب"فاعلة" و"فاعلات" لا بالواو والنون، لأن الواو والنون إنما هي علامة جمع أسماء ذكور بني آدم، أو الجن، أو الملائكة. وإنما قيل ذلك كذلك، لأن"السجود" من أفعال من يُجمع أسماء ذكورهم بالياء والنون[٤] ومنهم الزمخشري فإنّه حذا حَذْو سيبويه في تفسير هذه الآية حيث قال: (فإن قلت: فلم أجريت مُجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين؟ قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود . أجرى عليها حكمهم، كأنها عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم، أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه، فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة. [٥]

---

(١) فتح القدير / الشوكاني(٣/٧).

(٢) البحر المحيط / أبوحيان(٦/ ٣٣).

(٣) المحرّر الوجيز/ ابن عطية(٣/٤٦٩).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري (١٥/٥٥٦).

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٢/٤١٨).

وبالجملة لم أَرَ واحدا من المفسّرين حسب علمي خالف سيبويه في تحليله لهذه الآية إلا ما كان من ابن عاشور حيث ذكر أنّ جمع المذكّر السالم ليس خاصّا بالعقلاء بل يجوز استعماله في غير العقلاء وإن كان قليلا[1] ولكنّ الباحث يرى أنّ ما ذهب إليه ابن عاشور مخالف ومجانب للصواب فجمع المذكر السالم مما يختصّ بالعقلاء ولا يستعمل في غيرهم إلا بالتأويل وِفْق ما عليه جمهور المفسّرين واللغويّين، والله أعلم.

(1) انظر :التحرير والتنوير/ ابن عاشور(٢٠٨/١٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ ص: ٦

تحدَّث سيبويه عن هذه الآية، فبيَّن معناها من خلال سياقها بإيجاز. وذهب إلى أنّ «أنْ» في قوله تعالى {أن امشوا} بمعنى «أي» التفسيرية[١] وأنّه ليس المراد بالمشي في هذه الآية المشي على الأقدام، بل الاستمرار على الكفر ثمّ عزا هذا التفسير إلى الخليل، فقال في (باب ما تكون فيه(أن)بمنزلة(أي).

وذلك قوله عزّ وجل: "وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا " زعم الخليل أنه بمنزلة أي، لأنّك إذا قلت: انطلق بنو فلان أن امشوا، فأنت لا تريد أن تخبر أنهم انطلقوا بالمشي، وهذا تفسير الخليل. ومثل هذا في القرآن كثير.[٢]

وعلى هذا التفسير الذي اختاره سيبويه جمهور المفسّرين منهم ابن عاشور فقد اختار ما ذهب إليه سيبويه فقال: قوله تعالى: {وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ } (أن) تفسيرية لأن الانطلاق إن كان مجازاً فهو في الشروع فقد أريد به الشروع في الكلام فكان فيه معنى القول دون حروفه فاحتاج إلى تفسيرٍ بكلام مقول، وإن كان الانطلاقُ على حقيقته فقد تضمن انطلاقهم عقب التقاول بينهم بكلامهم الباطل)[٣] ومنهم الزمخشري قال في تفسير هذه الآية: و(أن) بمعنى(أي) لأنّ المنطلقين عن مجلس التقاول لا بدّ لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم ، فكان انطلاقهم مضمناً معنى القول.[٤]

ومنهم الشوكاني قال في تفسير هذه الآية: (وانطلق الأشراف منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على آلهتكم وأن في قوله: {أن امشوا} هي المفسرة للقول المقدر أو لقوله وانطلق لأنه مضمن معنى القول.[٥]

---

[١] (أن) التفسيرية : هي التي تقدّم عليها ما هو بمعنى القول دون حروفه .

[٢] كتاب سيبويه(١/٢١٠)

[٣] التحرير والتنوير/ ابن عاشور(٢٣/٢١١)

[٤] الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري(٤/٧٥)

[٥] فتح القدير / الشوكاني (٤/٥٩٨)

ومنهم ابن عطية فإنّه أيّد ما ذهب إليه سيبويه بقوله: (وقوله تعالى " أن امشوا " " أن" مفسرة لا موضع لها في الإعراب[١]

أما الطبري فقد خالف سيبويه واختار أن تكون (أن) في موضع نصب بإسقاط حرف الجر أي بأن امشوا فهي بتقدير المصدر كأنه قال وانطلق الملأ منهم بقولهم امشوا[٢].

وأما القرطبي فله في تفسير هذه الآية رأيان، الأول: أنّها ليست تفسيريّة بل إنّها في موضع نصب بنزع الخافض ، والتقدير بأن امشوا وهو الذي قدّمه إيرادا، والثاني: أنّها تفسيريّة ، وقد عبّر عن هذا بصيغة التمريض. [٣]

([١]) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز / ابن عطية (٤/ ٥٦٣)

([٢]) انظر : جامع البيان في تأويل ا لقرآن/ الطبري (٢١/ ١٥١).

([٣]) انظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٥ / ١٥١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٢.

حاور سيبويه أستاذه الخليل في تفسير هذه الآية، وقد تَضَمَّن جواب الخليل أنّ (ما) فيها بمنزلة (أيّهم) و(يعلم) معلقة وأنّ المعنى: أن الله – تعالى– يعلم علماً تاماً أيّهم يعبده هؤلاء المشركون من دونه، سواء أكان ما يعبدونه من الجن أم من الإنس أم من الجمادات أم من غير ذلك[١]

هذا ما نقله سيبويه عن شيخه الخليل وارتضاه، وهذا الوجه وإن كان صحيحاً في الإعراب وفي المعنى لكنه لا يتعيّن بل يجوز أوجُه غير ذلك منها ما اختاره الطبري من أنّ (ما) نكرة موصوفة بما بعدها ، وهذا ما يُشعرك تقديره بقوله :(فتأويل الكلام إذا كان الأمر كما وصفنا:(إنَّ اللهَ يَعْلَمُ) أيّها القوم، حال ما تعبدون(مِن دُونِهِ مِن شَيء)، وأن ذلك لا ينفعكم ولا يضرّكم، إن أراد الله بكم سُوءا، ولا يغني عنكم شيئا، وإن مثله في قلة غنائه عنكم، مَثَلُ بيت العنكبوت في غَنائه عنها[٢]

وقد أجاد ابن عادل الحنبلي في تفسير هذه الآية حيث ذكر جميع الأوجُه الجائزة فيها فقال في تفسيرها : قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ من دونه من شيء}: " ما " يجوز أن تكون موصولة منصوبة ب " يَعْلَمُ " أي يعلم الذين يدعونهم ويعلم أحوالهم ، و " من شيء " مصدر، وأن تكون استفهامية، وحينئذ يجوز فيها وجهان أن تكون هي وما عملت فيها معترضاً بين قوله: " يَعْلَمُ " وبين قوله: (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) كأنه قيل: أَيُّ شيءٍ تدعون من دون الله .

والثاني: أن تكون متعلقة " لِيَعْلَمَ " فتكون في موضع نصب بها ، وأن تكون نافية و " مِنْ " في " مِنْ شَيْءٍ " مزبدة في المفعول به كأنه قيل : ما تدعون من دون الله ما يستحق أن يطلق عليه شيء[٣]

---

[١] انظر : كتاب سيبويه (٢٠٨/١)

[٢] جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري(٣٩/٢٠)

[٣] اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي(٣٥٧/١٥)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٤.

يقف سيبويه عند الواو من قوله تعالى:{ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ}. يقول سيبويه: " فإنّما وجّهوه على أنّه يغشى طائفةٌ منكم وطائفةٌ في هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً، ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء"[1]. لم يوضّح سيبويه معنى الحالية للواو، فجاء تمثيله قلقاً يحتمل غير وجه، فقوله: " وطائفة في هذه الحال " تجعل دلالة الحالية محتملة، وقوله: " كأنه قال إذ طائفةٌ في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً " يدل في ظاهره على أنها بمعنى " إذ " الظرفيّة الزّمانيّة، وقوله: " ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنّما هي واو الابتداء "، يجعلها تحتمل الاستئناف، لتكون في بداية جملة، لذلك اختلف النحاة في الدلالة الاصطلاحية التي يبتغيها سيبويه لهذه الواو، ومن ثَّم تعددت الأوجه في تحليلها، . ولا يخفى أثر كلام سيبويه في هذه الأوجه، فإنّه يحتملها جمعياً. ويعقب ابن هشام بأن المراد من كلام سيبويه هو أنها واو الحال، وأن تقديرها بـــ "إذ" لا يقصد به أنها بمعناها، فالحرف لا يرادف الاسم، وإنما يراد بهذا التقدير أنها وما بعدها قيد للفعل السابق، كما أنّ " إذ " كذلك،[2] وقد وافق القرطبي سيبويه في تفسير هذه الآية وإعرابها وعزاه إليه فقال: قوله تعالى: {يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ}. وهذا الواو عند سيبويه

---

[1] كتاب سيبويه (١٩/١)

[2] انظر : مغني اللبيب / ابن هشام (١/ ٤٧١)

بمعنى "إذ" وهي التي يسمّيها النّحويون واو الحال[١] وكذلك ابن عطية اعتمد على تفسير سيبويه وعزاه إليه فقال: والواو في قوله تعالى " وطائفة قد أهمّتهم " هي واوا لحال كما تقول جئت وزيد قائم قاله سيبويه وغيره[٢] وإلى مثل هذا مال ابن عادل الحنبلي[٣] وبالجملة فالجمهور على تفسير سيبويه لهذه الآية الكريمة، والله أعلم.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٥ / ٢٦٧).

(٢) المحرر الوجيز/ ابن عطية (١ /٥٥٨) .

(٣) اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٦٠٩/٥) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ الزمر: ١٧.

وقف سيبويه عند لفظ (الطاغوت) من هذه الآية الكريمة، فاختار أنّه مفرد مؤنّث يقع على الجماعة كما يقع على المفرد واستدلّ على كونه مؤنّثاً برجوع الضمير إليه مؤنّثاً من قوله تعالى: { أَن يَعْبُدُوهَا }.[١]

وقد أسهب القرطبي في اختلاف المفسرين في هذا اللفظ من حيث إفراده وجمعه ومعناه، فنقل عن الأخفش أنّه جمع ويُفهم من كلام القرطبي أنّه يؤيّد هذا القول؛ لأنّه قدّمه إيراداً، وذكر عن سيبويه أنّه اختار أنّه مفرد، ويرى الباحث أنّ الراجح هو ما اعتمد عليه سيبويه من أنّه مفرد.

ومما يدلّ على أنَّه مفرد وليس بجمع قوله تعالى: (أولياؤهم الطَّاغُوتُ)، فأفرد في موضع الجمع، كما يقال هم رضاً، وهم عدل، ولكنّ الباحث لا يوافق سيبويه على القول بأنّه مؤنّث بل الباحث يعتمد على أنّه يذكر ويؤنث لقوله تعالى: " والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها " وقوله تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أمروا أن يكفروا به " يقول الفخر الرازي: الطاغوت مصدر كالرغبوت والرهبوت والملكوت، فكما أن هذه الأسماء آحاد كذلك هذا الاسم مفرد وليس بجمع، ومما يدل على أنه مصدر مفرد قوله {أولياؤهم الطّاغُوتُ} فأفرد في موضع الجمع ، كما يقال: هم رضاهم عدل، قالوا: وهذا اللفظ يقع على الواحد وعلى الجمع، أما في الواحد فكما في قوله تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ } (النساء : ٦٠) وأما في الجمع فكما في قوله تعالى: {وَالّذِينَ كَفَرُوا أولياؤهم الطّاغُوتُ} (البقرة : ٢٥٧) وقالوا: الأصل فيه التذكير.[٢]

وإنّ سيبويه لم يتعرّض لمعنى هذا اللفظ، لكن الرازي فصّل ذلك تفصيلا شافياً فقال: ذكر المفسرون فيه خمسة أقوال الأول: قال عمر ومجاهد وقتادة هو

---

[١] انظر : كتاب سيبويه (١/ ٢٢٨)

[٢] مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي (١٤/٧)

الشيطان، الثاني: قال سعيد بن جبير: الكاهن، الثالث: قال أبو العالية: هو الساحر، الرابع: قال بعضهم الأصنام، الخامس: أنه مردة الجن والإنس وكل ما يطغى، والتحقيق أنه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الأشياء جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان كما في قوله: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ}.[1]

وقال القرطبي: قال مجاهد: هو الشيطان. وقال الضحاك: هو الأوثان. وقيل: إنه الكاهن. وقيل إنه اسم أعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت. وقيل: إنه اسم عربي مشتق من الطغيان، والطاغوت مؤنثة من طغى يطغى. – وحكى الطبري يطغو – إذا جاوز الحد بزيادة عليه. ووزنه فعلوت،[2] فكلمة « طاغوت» مبالغة، وقد تكون هذه المبالغة متعددة الألوان، فمرة يكون الطاغي شيطانا، ومرة يكون الطاغي كاهناً، ومرة يكون ساحراً أو دجالاً، ومرة يكون حاكماً. والله أعلم .

---

[1] مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، مرجع سابق (١٤/٧).

[2] انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٢٤٣/١٥)

قال تعالى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ محمد: ٢١

تناول سيبويه هذه الآية بالشرح والإعراب ، فأجاز فيها وجهين، الأول: أن يكون المبتدأ محذوفاً، والتقدير "أمري طاعة " والثاني : أن يكون الخبر محذوفاً، والتقدير " طاعة وقول معروف أمثل وعلى الثاني اعتمد سيبويه في باب الحروف الخمسة، فعلى هذا يكون معنى الآية لو أطاعوا الله وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن).[١]

نجد في الروايات المأثورة عن التابعين ما يؤيّد ما اختاره سيبويه في تقدير هذه الآية، فقد ذكر ابن عطية أنّ هذا التقدير قدّره مجاهد والخليل وسيبويه في تفسير هذه الآية.[٢]

وممن أيّد هذا التقدير وعزاه إلى سيبويه القرطبي[٣] وأبو حيان الأندلسي[٤] والشوكاني[٥] والفخر الرازي قال في تفسير هذه الآية: كلام مستأنف محذوف الخبر تقديره خير لهم أي أحسن وأمثل، لا يقال طاعة نكرة لا تصلح للابتداء، لأنا نقول هي موصوفة يدل عليه قوله {وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} فإنه موصوف فكأنه تعالى قال: {طَاعَةٌ} مخلصة {وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ} خير، وقيل معناه قالوا {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ } أي قولهم أمرنا {طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ }[٦] وإلى هذا مال إسماعيل حقي في تفسير هذه الآية.[٧] وبالجملة فالذي ذهب إليه سيبويه في تفسير هذه الآية عليه جمهور المفسرين.

---

[١] انظر : كتاب سيبويه (٣٠/١)

[٢] انظر : المحرر الوجيز/ ابن عطية (١٠٤/٥)

[٣] انظر : الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي (٤٤/١٦)

[٤] انظر : البحر المحيط / أبوحيان الأندلسي(٨١/٨)

[٥] انظر : فتح القدير/ الشوكاني (٥٤/٥)

[٦] مفاتيح الغيب / الفخر الرازي (٥٥/٢٨)

[٧] روح البيان / إسماعيل حقي الحنفي (٤٠٦/٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ النساء: ١٥٩

تناول سيبويه هذه الآية بالإعراب، وجعلها من شواهد ما يحذف فيه المستثنى استخفافاً، وذكر أنّه سمع بعض العرب الموثوقين يقولون: ما منهم واحد مات حتى رأيته في حال كذا وكذا، ويقصدون بذلك " ما منهم واحد مات " ثمّ نظّر هذا الكلام بهذه الآية الكريمة ، واختار أنّ.

" إنْ " هنا نافيةٌ بمعنى " مَا "، و " مِنْ أهْلِ " أنه صفة لمبتدأ محذوف، والخبرُ الجملةُ القسمية المحذوفة وجوابها ، والتقدير: وما أحدٌ من أهل الكتاب إلاَّ واللَّهِ ليُؤمِنَنَّ به ، فهو كقوله: (وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ) [الصافات : ١٦٤] ، أي: ما أحدٌ مِنَّا، وكقوله: (وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) [مريم : ٧١] أي : مَا أحَدٌ مِنْكُمْ إلاَّ وَارِدُها. [١]

وفي الآية وجه ثان وعليه اعتمد الزمخشري، وهو أنّ جملة " لَيُؤْمِنَنَّ به " جملةٌ قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف ، تقديره: وَإنْ مِنْ أهْلِ الكِتاب أحَدٌ إلاَّ ليُؤمِنَنَّ بِهِ، والمعنى: " وما من اليهود أحَدٌ إلاَّ ليُؤمنَنَّ "، قال أبو حيان: " وهو غلطٌ فاحشٌ؛ إذ زعم أنّ ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف إلى آخره، وصفة أحد المحذوف إنما هو الجار والمجرور وهو من أهل الكتاب، والتقدير كما ذكرناه: وإن أحد من أهل الكتاب. وأما قوله : (ليؤمنن به)، فليست صفة لموصوف، ولا هي جملة قسمية كما زعم، إنما هي جملة جواب القسم، والقسم محذوف، والقسم وجوابه في موضع رفع خبر المبتدأ الذي هو أحد المحذوف، إذ لا ينتظم من أحد . والمجرور إسناد لأنه لا يفيد، وإنما ينتظم الإسناد بالجملة القسمية وجوابها، فذلك هو محط الفائدة [٢] وقوّى القرطبي تقدير سيبويه وإعرابه لهذه الآية، وقبَّح الكوفيّين الذين خالفوا سيبويه في تقدير هذه الآية فقال:

---

[١] انظر :كتاب سيبويه (١/١٦٠)

[٢] انظر : البحر المحيط / أبو حيان (٣/ ٤٠٧)

(وتقدير الآية عند سيبويه: وإن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به. وتقدير الكوفيين: وإن من أهل الكتاب إلا من ليؤمنن به، وفيه قبح، لأن فيه حذف الموصول، والصلة بعض الموصول فكأنه حذف بعض الاسم[1] . والحاصل أنّ في الآية تقديرات ثلاثة أرجحها تقدير سيبويه وعليه أكثر المفسّرين، والله أعلم .

([1]) انظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٦/ ١١).

الفصـــل الرابـــع
القـــراءات وتوجيهها عنـد سيبويـه

وفيه مباحث أربعة :

المبحث الأوّل: تعريـــف القـــراءات

المبحث الثاني: نشـــأة علـم القـراءات

المبحث الثالث: الأحـــــرف الســـبعة

المبحث الرابع : النصوص التي وجّهها سيبويه

الفصـــل الرابـــع

القـــراءات وتوجيهها عنـد سيبويـه

قد يقول قائل: لماذا اخترت هذا الفصل الذي له علاقة بعلم القراءات ؟

الجواب: هو أنّ للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية: لها تعلق بعلم التفسير من جهات كثيرة، والباحث يتكلم في هذا القسم الذي له تعلق بعلم التفسير، وهذا التقسيم هو الذي جرى عليه ابن عاشور في تفسيره فقال: (أرى أن للقراءات حالتين: إحداهما لا تعلق لها بالتفسير بحال، والثانية لها تعلق به من جهات متفاوتة).

أما الحالة الأولى: فهي اختلاف القراء في وجوه النطق بالحروف والحركات كمقادير المد والإمالات والتخفيف والتسهيل والتحقيق والجهر والهمس والغنة.

وأما الحالة الثانية: فهي اختلاف القراء في حروف الكلمات مثل {مالك يوم الدين} و{ملك يوم الدين} و{ننشرها} و{ننشزها} {وظنوا أنهم قد كذبوا} بتشديد الذال أو {قد كذبوا} بتخفيفه، وكذلك اختلاف الحركات الذي يختلف معه معنى الفعل كقوله {ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون} قرأ نافع [1] بضم الصاد وقرأ حمزة[2] بكسر الصاد، فالأولى بمعنى يصدون غيرهم عن الإيمان، والثانية بمعنى صدودهم في أنفسهم وكلا المعنيين حاصل منهم، وهي من هذه الجهة لها مزيد تعلق بالتفسير لأن ثبوت أحد اللفظين في قراءة قد يبين المراد من نظيره في القراءة الأخرى، أو يثير معنى غيره، ولأن اختلاف القراءات في ألفاظ القرآن يكثر المعاني في الآية الواحدة نحو {حتى يطهرن} بفتح الطاء المشددة والهاء المشددة، وبسكون الطاء وضم الهاء مخففة ، ونحو

---

(1) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعم الليثي، أحد القراء المشهورين كان ورعاً متمسكاً بالآثار، أقرأ أكثر من سبعين سنة، توفي سنة ١٦٩هـ، انظر: غاية النهاية في طبقات القراء / ابن الجزري (٤٢٢/١).

(2) هو حمزة بن حبيب بن عمارة الكوفي، أدرك الصحابة في العصر، كان ورعاً لا يأخذ على القرآن أجرة عرض تلميذ له في يوم حار ماءً بارداً فأبى ، كان محمد بن فضيل يقول ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. المرجع نفسه (١١٥/١).

{لامستم النساء} و{لمستم النساء}، وقراءة {وجعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثا} مع قراءة {الذين هم عباد الرحمن} والظن أن الوحي نزل بالوجهين وأكثر، تكثيرا للمعاني إذا جزمنا بأن جميع الوجوه في القراءات المشهورة هي مأثورة عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من جراء ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئا عن آيتين فأكثر[1].

[1] التحرير والتنوير/ ابن عاشور(٥١/١)

المبحث الأول
تعريف القراءات

القراءات جمع قراءة وهي في اللغة: مصدر سماعي لقرأ. وفي الاصطلاح مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها. قال السيوطي عند كلامه على تقسيم الإسناد إلى عال ونازل ما نصه: ومما يشبه هذا التقسيم الذي لأهل الحديث تقسيم القراء أحوال الإسناد إلى قراءة ورواية وطريق ووجه. فالخلاف إن كان لأحد الأئمة السبعة أو العشرة أو نحوهم واتفقت عليه الروايات والطرق عنه فهو قراءة. وإن كان للراوي عنه فرواية. أو لمن بعده فنازلا فطريق. أو لا على هذه الصفة مما هو راجع إلى تخيير القارئ فيه فوجه. ا هـ.

والمقرئ: العالم بها رواها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة. والقارئ المبتدئ من شرع في الإفراد إلى أن يفرد ثلاثا من القراءات. والمنتهي من نقل من القراءات أكثرها وأشهرها أ. هـ[1].

---

[1] **انظر:** المباحث في علوم القرآن/ مناع القطان مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

المبحث الثاني

نشأة علم القراءات

إن المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة وإماما عن إمام إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإن المصاحف لم تكن ولن تكون هي العمدة في هذا الباب. إنما هي مرجع جامع للمسلمين على كتاب ربهم ولكن في حدود ما تدل عليه وتعينه دون ما لا تدل عليه ولا تعينه. وقد عرفت أن المصاحف لم تكن منقوطة ولا مشكولة وأن صورة الكلمة فيها كانت لكل ما يمكن من وجوه القراءات المختلفة وإذا لم تحتملها كتبت الكلمة بأحد الوجوه في مصحف ثم كتبت في مصحف آخر بوجه آخر وهلم جرا. فلا غرو أن كان التعويل على الرواية والتلقي هو العمدة في باب القراءة والقرآن.وقلنا: إن عثمان رضي الله عنه حين بعث المصاحف إلى الآفاق أرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب وهذه القراءة قد تخالف الذائع الشائع في القطر الآخر عن طريق المبعوث الآخر بالمصحف الآخر.

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ومنهم من أخذه عنه بحرفين ومنهم من زاد. ثم تفرقوا في البلاد وهم على هذه الحال فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابع التابعين عن التابعين وهلم جرا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها كما يأتي: هذا منشأ علم القراءات واختلافها وإن كان الاختلاف يرجع في الواقع إلى أمور يسيرة بالنسبة إلى مواضع الاتفاق الكثيرة كما هو معلوم: لكنه – على كل حال– اختلاف في حدود السبعة الأحرف التي نزل عليها القرآن كلها من عند الله لا من عند الرسول ولا أحد من القراء أو غيرهم.[1]

---

[1] مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

المبحــث الثــالث
الأحــرف الســبعة

المراد بالأحرف السبعة، اختلاف القراءات ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم بن حزام رضي الله عنهما، ففي صحيح البخاري أنّ عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ في الصلاة سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم – فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرةٍ لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره في الصلاة فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كذبت فإنّ رسول الله أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقرئنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أُنزلت)، ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كذلك أنزلت إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسّر منه)[1].

ولهذا الحديث روايات كثيرة، وفي بعض ألفاظها اختلاف، ولكن جميع الروايات اتفقت على محل الشاهد، وهو نزول القرآن على سبعة أحرف، ولا شك أنّ الحديث فيه إشكال، ولذلك اختلف العلماء في المقصود بالأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولاً[2].
قال السيوطي: اختُلِفَ في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً[3].

وكل هذه الأقوال ترجع إلى اعتبارين، الأول اعتبار الحديث منسوخاً، والآخر اعتباره مُحكماً.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه/ كتاب الخصوم – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف/ رقم الحديث (٤٧٠٦).
(2) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٤٢/١).
(3) الإتقان في علوم القرآن (١٣١/١).

فأما الذين اعتبروا الحديث منسوخا – وهو رأي جماعة فقالوا كان ذلك رخصة في صدر الإسلام، أباح الله للعرب أن يقرءوا القرآن بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، ثم نسخ ذلك بحمل الناس على لغة قريش؛ لأنها التي بها نزل القرآن.

وأما الذين اعتبروا الحديث مُحكماً فقد اختلفوا في تأويله إلى أقوال كثيرة، والناظر في تلك الأقوال يقطع بأن أكثرها متداخل، وكثيرٌ منها لا يُعلم قائله، ولا يُعلم له دليلٌ يؤيده عند النظر والتمحيص.

فذهب جماعة إلى أنّ المراد من الأحرف السبعة أغراض القرآن كالأمر والنهي والحلال والحرام والخبر والإنشاء والحقيقة والمجاز والظاهر والمؤوّل، ولا يخفى أنّ ذلك لا يتناسب سياق الحديث على اختلاف رواياته من قصد التوسعة والرخصة .

والراجح عند جمهور العلماء أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد. نحو: أَقْبِل وتعال، وهلم، وعَجِّل، وأسرع، فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد، وإليه ذهب سفيان بن عيينة[1]، وابن جرير، وخلائق، ونسبه ابن عبد البر[2] لأكثر العلماء.

ويبعد جدّا – في رأي الباحث– ما ارتآه ابن عاشور من أنّ خلاف عمر وهشام ربما يرجع إلى ترتيب آي السور، يقول ابن عاشور: وعندي أنه إن كان حديث عمر وهشام بن حكيم قد حسن إفصاح راويه عن مقصد عمر فيما حدث به بأن لا يكون مرويا بالمعنى مع إخلال بالمقصود أنه يحتمل أن يرجع إلى ترتيب آي السور بأن يكون هشام

---

(1) سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في ١٠٧ هـ.وطلب الحديث، وهو حدث، ولقي الكبار،وحمل عنهم علما جما، وأتقن، وجود وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الاسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالاجداد إهـ سير أعلام النبلاء/ الذهبي (٤٥٤/٨).

(2) ابن عبد البر: هو الامام العلامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري ، الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. وأدرك الكبار، وطال عمره، وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وجمع وصنف، ووثق وضعف، وسارت بتصانيفه الركبان، وخضع لعلمه علماء الزمان، ولد سنة ٣٦٨ هـ وتوفي ٤٦٣ إهـ سير أعلام النبلاء / الذهبي (١٥٣/١٨).

قرأ سورة الفرقان على غير الترتيب الذي قرأ به عمر فتكون تلك رخصة لهم في أن يحفظوا سور القرآن بدون تعيين ترتيب الآيات من السورة ، وقد ذكر الباقلاني[1] احتمال أن يكون ترتيب السور من اجتهاد الصحابة كما يأتي في المقدمة الثامنة . فعلى رأينا هذا تكون هذه رخصة . ثم لم يزل الناس يتوخون بقراءتهم موافقة قراءة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى كان ترتيب المصحف في زمن أبي بكر على نحو العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأجمع الصحابة في عهد أبي بكر على ذلك لعلمهم بزوال موجب الرخصة[2].

ويرى الباحث أنّ هذا الذي ذكره ابن عاشور بعيد جدّا من عدّة وجوه، فاحتمال رواية الحديث بالمعنى بعيد؛ لاتفاق جميع رواياته على نزول القرآن بسبعة أحرف، وعلى فرض روايته بالمعنى ما الذي يدلّ على أنّ الراوي أخلّ بالمقصود ثمّ هل تدلّ كلمة (الأحرف) التي وردت في الحديث على ترتيب الآيات؟ وهل في تقديم بعض الآيات على بعض تيسير؟

بل يذهب ابن عاشور إلى ما هو أبعد من ذلك، فيرى احتمال أن يكون القارئ الواحد قرأ بوجهين ليرى صحتهما في العربيّة قصداً لحفظ اللغة مع حفظ القرآن، ولذلك يجوز أن يكون كثير من اختلاف القراء في هذه الناحية اختياراً، وقد كره مالك – رحمه الله – القراءة بالإمالة مع ثبوتها من القراء فدلّت كراهته على أنه يرى أنّ القارئ بها ما قرأ إلا بمجرد الاختيار[3].

وقد انتقد القرطبي القول بأنّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة فذكر في ذلك كلاماً جميلاً استحسن الباحث أن ينقله برمّته فقال : (قال كثير من علمائنا: هذه

---

(1) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الإمام العلامة، كان ثقة ورعاً يضرب المثل بفهمه وذكائه وهو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة المتكلم على لسان أهل الحديث، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، توفي سنة ٤٠٣هـ. انظر سير أعلام النبلاء/ الذهبي (١٩٠/١٧).

(2) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٥٦/١) وما بعدها.

(3) المرجع السابق (٥٢/١).

القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالتزامه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه فقيل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وحوزه وكل واحد من هؤلاء السبعة روى عنه اختياران أو أكثر وكل صحيح وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما رووه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات فاستمر الإجماع على الصواب وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالطبري وغيره قال ابن عطية : ومضت الأعصار والأمصار على قراءات السبعة وبها يصلى لأنها ثبتت بالإجماع ،وأما شاذ القراءات فلا يصلي به لأنه لم يجمع الناس عليه أما أن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين فلا يعتقد فيه إلا أنهم رووه ،أما شاذ القراءة عن المصاحف المتواترة فليست بقرآن ولا يعمل بها على أنها منه وأحسن محاملها أن تكون بيان تأويل مذهب من نسبت إليه كقراءة ابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات فأما لو صرح الراوي بسماعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلف العلماء بذلك على قولين النفي والإثبات وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن ولم يثبت فلا يثبت والوجه الثاني : أنه وإن لم يثبت كونه قرآنا فقد ثبت كونه سنة وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الآحاد[1].

تقسيم القراءات إلى مقبولة ومردودة:

فالقراءات قسمان: مقبولة ومردودة. أما المقبولة، فهي التي تتوفر فيها الشروط الثلاثة المتفق عليها لقبولها، وهي: أن تكون القراءة متواترة، وأن توافق وجهاً من وجوه اللغة

---

(1) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٤٦/١).

العربية، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. وهذا القسم هو الذي قال فيه العلماء:

١. يجب على كل مسلم اعتقاد قرانيته.

٢. يقرأ به تعبداً في الصلوات وخارجها. وفي ذلك يقول السيوطي:(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، ولا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى إلى أحد السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا إلا إذا دخلت في ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا على من تنسب إليه فإن القراءة المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه في قراءتهم تركن النفس إلى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم)[١].

وإلى هذه الأركان الثلاثة يشير الإمام ابن الجزري[٢] في طيبة النشر بقوله:

فكــل ما وافــق وَجْــهَ نَحْوِ ... وكان للرسم احتمــالا يَحْــوي

---

[١] الإتقان في علوم القرآن / السيوطي (٢٣٠/١)

[٢] **ابن الجزري: هو**محمد بن محمد بن محمد بن على الدمشقى المقرى الشافعى المعروف بابن الجزرى ، كان أبوه تاجرا فمكث أربعين سنة لا يولد له ولد ثم حج فشرب ماء زمزم بنية أن يرزقه الله ولدا عالما فولد له صاحب الترجمة، ولد(٧٥١)هـ اشتد شغفه بالقراءات حتى جمع منها ماجمع وانتفع الناس بمؤلفاته في جميع البلاد الإسلامية، انظر: **الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية/ طاشكبري زادة/** دار الكتاب العربي سنة النشر ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. بيروت.

وصـــح إسنادًا هو القــرآنُ ... فهذه الثــلاثــةُ الأركـــــانُ
وحيثما يختلُّ ركــنٌ أثبــتِ ... شــذوذه لو أنه في السَّبْعَــةِ. [1]

وعلى هذا فإن اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة كانت القراءة شاذة ولا يجوز القراءة بها. وقد توفرت هذه الشروط في القراءات العشر للقراء العشرة. [2]

وقد عدّ الجمهور ما سوى هذه العشرة شاذا؛ لأنّه لم ينقل بتواتر.

قال ابن عاشور:(والذي قاله مالك والشافعي، أن ما دون العشر لا تجوز القراءة به ولا أخذ حكم منه لمخالفته المصحف الذي كتب فيه ما تواتر، فكان ما خالفه غير متواتر فلا يكون قرآنا، وقد تروي قراءات عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بأسانيد صحيحة في كتب الصحيح مثل صحيح البخاري ومسلم وأضرابهما إلا أنها لا يجوز لغير من سمعها من النبي (صلى الله عليه وسلم) القراءة بها لأنها غير متواترة النقل فلا يترك المتواتر للآحاد وإذا كان راويها قد بلغته قراءة أخرى متواترة تخالف ما رواه وتحقق لديه التواتر وجب عليه أن يقرأ بالمروية تواترا، وقد اصطلح المفسرون على أن يطلقوا عليها قراءة النبي (صلى الله عليه وسلم)، لأنها غير منتسبة إلى أحد من أئمة الرواية في القراءات، ويكثر ذكر هذا العنوان في تفسير محمد بن جرير الطبري وفي الكشاف وفي المحرر الوجيز. [3]

والقراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام وعند عامة الإسلام من هذه القراءات العشر هي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري[4] ...

---

(1) طيبة النشر / ابن الجزري ص(٢) دار الهدى ــ المدينة المنورة سنة هـ١٤١٤/ ١٩٩٤م

(2)العشرة : هم نافع ، وابن كثير المكي ، وأبو عمرو بن العلاء البصري ، وعبد الله بن عامر الدمشقي ،وعاصم بن أبي النجود ،وحمزة بن حبيب الكوفي ،والكسائي الكوفي ، ويعقوب بن إسحق الحضرمي ، وأبو جعفر المدني ،وخلف البزار الكوفي .

(3) التحرير والتنوير / ابن عاشور(١/ ٥٤).

(4) هو زبان بن العلاء بن عمار البصري، كان إمام البصرة وقارئها، وهو أحد القرّاء السبعة، ومن أعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والأمانة والدين ،ولد بمكة سنة ٧٠هـ وتوفي ١٥٤هـ، روى عنه الدوري والسوسي وغيرهما، إهـ معرفة القرّاء الكبار/ الذهبي(٨٣/١).

برواية الدوري[1] في السودان وقراءة نافع برواية قالون[2] في تونس ومصر وليبيا وبرواية ورش[3] في مصر وتونس والجزائر والمغرب وإفريقيا الغربية والسودان، وقراءة عاصم[4] برواية حفص[5] في العراق ومصر والشام والسودان والجزيرة العربية والهند وباكستان وتركيا وأفغانستان وآسيا عموماً وأربا وغيرها وقد طبع المصحف بجميع هذه الروايات كما سجل في الأجهزة الحديثة بها.[6]

موقـف سيبويه من القـراءات:

عني المفسرون بتوجيه القراءات، وكان لهم فيه ضربان من التصنيف، أحدهما: أن يذكر المفسر توجيه ما يذكره من القراءات، من خلال علوم التفسير التي ينثرها في الآية التي يُفسِّرُها، وجرى على ذلك معظم كتب التفسير كجامع البيان للطبري، والمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيان، وغيرها.

والضرب الثاني من التصنيف: أن تختص كتبٌ بهذا التوجيه، فتعرض القراءة المتواترة أو الشاذة، ويمضي المؤلف في بيان وجهها ومعناها، وما استندت إليه من قواعد العربية، وقد جرى على ذلك طائفة من كتب التوجيه، كالحجة للفارسي.

---

(1) هو حفص بن عمر بن عبد العزيز الدوري، إمام القراء في عصره، كان ثقة ثبت وكان أول من جمع القراءات ، توفي سنة ٢٤٦. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء/ابن الجزري (١١٢/١).

(2) قالون هو أبو موسى عيسى، لقبه به شيخه نافع وهو أول راويي نافع " وقالون بالرومية جيد " لجودة قراءته توفي سنة ٢٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي (٣٢٦/١٠).

(3) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد ، لقبه شيخه نافع بورش، ممن روى عن نافع ، قرأ عليه أربعة ختمات، توفي سنة ١٩٧هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء/ابن الجزري (٢٢٤/١).

(4) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود ، انتهت إيه رئاسة الإقراء بالكوفة ، كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخذ القراءة عن زر بن حبيش وأبي عبد الرحمن السلمي، توفي سنة ١٢٨هـ/المرجع نفسه (١٥٣/١).

(5) هو حفص بن سليمان بن المغيرة ، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم وكان ربيبه جاور بمكة فأقرأ بها قال الذهبي أما القراءة فثقة ثبت ضابط لها بخلاف حاله في الحديث. انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي. (١١١/١).

(6) التحرير والتنوير /ابن عاشور (٥٤/١).

وقد عُني سيبويه في كتابه بتوجيه كثير من القراءات المتواترة والشاذة، وبيَّن معناها وما تؤول إليه في ضوء ما اختاره لها من استدلال، واستشهد على اختياره بطائفة من الشواهد الفصيحة؛ كالقرآن والشعر وأقوال العرب، وسوف نمثِّل لاختياره بطائفة من القراءات التي عَرَضَ لها لنطَّلع على منهجه في هذا الباب.

والإمام سيبويه لم يُعب قارئاً ولم يخطئ قراءة بل كان يحترمها ويذكرها ليبيّن وجهاً من العربيّة وليقوّي ما ورد عن العرب ويحاول تخريجها على إحدى لغات العرب؛ لأنّه يرى اللغات الواردة عن العرب فصيحة صحيحة وإن قلّ من تكلم بها ما دامت اللغة لا تخالف الكثير الشائع في كلام العرب.

يقول سيبويه: إذا ما تكلم عربيّ في الإمالة في المنصوب بغير ما تكلم به عربيّ آخر فلا تظنّنّ أنّه مخطئ[1]. فهو لا يخطّئ العربيّ أيّا كان ويرى أنّ القراءة سنّة متبعة لا يجوز مخالفتها فيقول: وأما قوله عزّ وجلّ ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ (القمر:٤٩). فإنّما هو على قوله: زيدً ضربته، وهو عربيّ كثير، وقد قرأ بعضهم: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى ﴾ (فصلت:١٧). إلا أنّ القراءة لا تخالف لأنّ القراءة سنّة[2]. وقوله هذا صريح في تصوير موقف سيبويه من القراءات والاستشهاد بها وبناء القواعد عليها فهي عنده سنّة واجبة الإتباع، ولا يجوز مخالفتها، فهو يوجّه القراءات من حيث اللغة والنّحو ولا يردّها ولا يضعّفها، وإذا جاءت قراءة على غير المشهور من أوجه التعبير في كلام العرب أو على الاستعمال القليل حاول تفسيرها وتأويلها حتى يخرجها على ما هو القياس والأكثر عند العرب، وكثيراً ما يسأل أحد شيوخه فيخرّجها له تخريجاً يبعدها عن الضعف أو القلّة أو الشذوذ كما في قوله: وسألت الخليل عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾(الأنعام: ١٠٩). ما منعها أن تكون كذلك:

---

(١) كتاب سيبويه (١٢٥/٤).

(٢) المرجع نفسه (١/ ١٤٨).

ما يدريك أنّه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذلك في هذا الموضع إنّما قال:{ وَمَا يُشْعِرُكُمْ } ثمّ ابتدأ فقال:{ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}.

ولو قال:{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ ... } كان ذلك عذراً لهم وأهل المدينة يقولون (أنّها) فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب ائت السوق أنّك تشتري لنا أي لعلك فكأنّه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون[1].

وقد سَلِم سيبويه مما وقع فيه بعض المفسّرين من تلحين بعض القراءات، فهذا ابن جرير الطبري شيخ المفسّرين وإمامهم، وهو من الموصوفين بالاجتهاد في الفقه، ومكانته في التفسير والقراءات لا تخفى على أحد، ومع ذلك يعطي نفسه حريّة واسعة في نقد القراءات، وفي تفسيره نماذج كثيرة من ذلك مثل ما فعل عند ذكر قوله تعالى ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ (البقرة: ٢٨٢). بصب{ تِجَٰرَةً }وهي قراءة عاصم، حيث قال: لا أستجيز القراءة بغير الرفع بالنصب في هذه الآية، ويصفها بالشذوذ[2]. مع أنّ النصب هنا له وجه سليم؛ لأنّ الضمير المستتر في {تكون} يعود على المعاملة المفهومة من المقام وهو اسم {تكون} و{تجارة} خبره ويرى الطبري أنّ قراءة {يخدعون} في قوله تعالى:﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾(البقرة:٩). أولى بالصحة من قراءة {يخادعون} وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويعلّل ذلك بقوله: إن الله جل ثناؤه قد أخبر عنهم أنهم يُخادعون الله والمؤمنين في أول الآية، فمحال أن يَنفي عنهم ما قد أثبت أنهم قد فعلوه، لأن ذلك تضادٌّ في المعنى، وذلك غير جائزٍ من الله جلّ وعزّ[3].

ومن الواضح بطلان دعوى التضاد هنا؛ لأنّ أول الآية يخبر أنّ هؤلاء المنافقين يخادعون الله والذين آمنوا في الحياة الدنيا بحسب وهمهم الكاذب؛ لأنّهم لا يعلمون أنّ الله

---

(1) المرجع نفسه (١٢٣/٣).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن / ابن جرير الطبري (٨/٦).

(3) المرجع نفسه (٢٧٧/١).

يعلم ما يسرّون وما يعلنون، وآخر الآية يخبر عن حقيقة الأمر، فالذي أثبت في أوّل الآية هو مخادعتهم الله والمؤمنين بحسب ظنّهم الكاذب، والذي نفاه في آخر الآية هو مخادعتهم لأنفسهم في حقيقة الأمر، وقال الطبري أيضاً في قوله تعالى:﴿ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ ﴿٨٥﴾ ﴾ (البقرة:٨٥) وأولى بالصواب من ذلك من قرأ {وإن يأتوكم أسرى} بفتح الهمزة وسكون السين[١]، مع أنّ الأولى قراءة العشرة ماعدا حمزة.

وإن كان عذر القدامى من أمثال الطبري أنّ القراءات لم يميّز متواترها من شاذها فما عذر الشوكاني وأمثاله ممن جاء في العصور المتأخرة بعد تمييز القراءات بقرون طويلة؟ إنّها لجرأة عجيبة من الشوكاني لم يسبق لها نظير فيقول عند كلامه في هذه الآية الكريمة ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (الأنعام: ١٣٧).

وقرأ ابن عامر[٢] وأهل الشام بضم الزاي ورفع قتل ونصب أولاد وخفض شركائهم على أن قتل مضاف إلى شركائهم ومعموله أولادهم ففيه الفصل بين المصدر وما هو مضاف إليه بالمفعول، وقال قوم ممن انتصر لهذه القراءة: إنها إذا ثبتت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي فصيحة لا قبيحة قالوا: وقد ورد ذلك في كلام العرب وفي مصحف عثمان رضي الله عنه شركائهم بالياء.

وأقول: دعوى التواتر باطلة بإجماع القراء المعتبرين كما بينا ذلك في رسالة مستقلة فمن قرأ بما يخالف الوجه النحوي فقراءته رد عليه[٣].

---

(١) المرجع السابق / (٢/ ٣٠٨).

(٢) هو عبد الله بن عامر بن يزيد ، كان تابعياً جليلاً عالماً ثقة ، إمام أهل الشام في القراءة ولد سنة ٢١هـ. انظر: غاية النهاية في طبقات القراء/ابن الجزري (١٨٨/١).

(٣) فتح القدير / الشوكاني (١٦٥/٢ -١٦٦).

وهذا طعن لا يجوز بعد أن فرغ العلماء من بحث هذه القراءات في العصور المختلفة، وانتهى المتأخرون من النحاة والمفسّرين إلى تجويز هذا الفصل بين المضاف والمضاف إليه، وبناء على ما تقدّم يمكن للباحث أن يحكم مطمئنّاً بأنّ سيبويه كان موفّقاً غاية التوفيق في موقفه من القرآن الكريم وقراءاته المختلفة قولاً وعملاً نظرا وتطبيقاً وأنّه بذل جهداً كبيراً في خدمة الكتاب العزيز ولغته.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القراءات لم تكن قُسمت في زمانه وحُدّدت، ولم تكن هذه البحوث المطوّلة في طبقات القراء، ولم يُعرف القراء السبعة ولا العشرة في عهده، ولم يكن هذا التقسيم إلا في منتصف القرن الثالث الهجري ،فعبارات سيبويه لا تَحمل شكاً في منهجه حول القراءات على حسب عصره.

المبحث الرابع
النصوص التي وجّهها سيبويه

يدرس الباحث في هذا المبحث الآيات التي ناقش فيها سيبويه على حسب القراءات المختلفة.

قوله تعالى: {تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِى أَحْسَنَ }

هذا جزء من قوله تعالى:﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (الأنعام: ١٥٤). وقد ذكر سيبويه في الكتاب أنّ بعض الناس رفع أحسن أي جعله اسماً[1]، وبالرجوع إلى كتب القراءات وغيرها نجد أنّ الجمهور من القراء العشرة وغيرهم قد أجمعوا على قراءة" أحسن" بصيغة الفعل الماضي.

وقرأ يحيى بن يعمر[2] "أحسن" بضمّ النون[3].

وقد استشهد سيبويه بالآية على هذه القراءة الأخيرة برفع "أحسن" ناسباً إياها إلى بعض الناس، وخرّجها على حذف المبتدأ وهو ضمير عائد إلى الموصول ليقوّي بهذه القراءة قاعدةً نحويّة ذكرها، وهي أنّ "من" يصح أن تكون بمعنى الذي كما يصحّ أن تكون نكرة بمعنى شيءٍ فإذا كانت "من" بمعنى الذي احتاجت لما بعدها ليكون صلةً ، فإذا كان ما بعدها اسماً مرفوعاً فلا بدّ من تقدير صدر الصلة مبتدأ ليكون المرفوع خبراً عنه.

وهنا ساق الآية على قراءة رفع أحسن، والتقدير عنده "تماماً على الذي هو أحسن" وتوجيه سيبويه هذه القراءة على هذا الوجه وافقه عليه جمهور المفسّرين منهم الزمخشري

---

(1) كتاب سيبويه (١١٣/١).

(2) يحيى بن يعمر: هو الفقيه، العلامة، المقرئ، أبو سليمان العدواني البصري، قاضي مرو. قرأ القرآن على أبي الأسود الدؤلي. إنه كان أول من نقط المصاحف، وذلك قبل أن يوجد تشكيل الكتابة بمدة طويلة، وكان ذا لسن وفصاحة، توفي قبل ٩٠ هـ سير أعلام النبلاء/ الذهبي (٤/ ٤٤١) ويرى الباحث : أنّ هذه القراءة التي قرأها ابن يعمر شاذّة ولا يعرف لها إسناد إلي النبي صلى الله عليه وسلم.

(3) ينظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٤٢/٧) والبحر المحيط / أبو حيان (٢٥٥/٤).

حيث يقول: وقرأ يحيى بن يعمر: (على الذي أحسن)، بالرفع، أي على الذي هو أحسن، بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ:) مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً (البقرة:٢٦) بالرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه [١].

وأجاز ابن عادل الحنبلي وجهين في توجيه هذه القراءة لكنّه قوّى ما اختاره سيبويه فقال: أظهرهما: أَنَّهُ خبر مُبْتَدأ مَحْذُوف، أي: على الذي هو أَحْسَن، فحذف العَائِد، وإن لم تَطُل الصِّلَةُ، فهي شَاذَّةٌ من جِهَة ذلك، وقد تقدَّم بدلائله عِنْد قوله: (مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا) [البقرة: ٢٦]، فيمن رفع " بَعُوضَةٌ ".

الثاني: أن يكُون "الَّذِي" واقِعاً موقع الذين، وأصلُ "أحْسن": أحْسَنُوا بواو الضَّمير، حُذِفَت الواوُ اجتِزَاءً بحركة ما قبلها[٢].

ومن الذين وافقوا سيبويه في هذا التوجيه ابنُ كثير حيث يقول نقلاً عن ابن جرير عن يحيى بن يَعْمَر أنه كان يقرؤها. { تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} رفعا، بتأويل: "على الذي هو أحسن"، ثم قال: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها، وإن كان لها في العربية وجه صحيح[٣]. ومن الذين وافقوا سيبويه القرطبي[٤] وابن عطية[٥] والفخر الرازي[٦] وغيرُهم من كبار المفسرين.

---

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري (٧٧/٧).

(٢) اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٥٢١/٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (٣/ ٣٦٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن / القرطبي(٢٤٣/١).

(٥) **انظر: المحرر** الوجيز/ ابن عطية (٤٢٨/٢)

(٦) انظر: مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي (٥/١٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ (هود: ٧٨).

لا خلاف بين جمهور القرّاء من العشرة وغيرهم في رفع "أطهر" في هذه الآية خبراً للمبتدأ "هنّ" إلا ما روي من قراءة شاذة بنصب "أطهر" هي مدار الحديث، قال سيبويه في (باب لا تكون هو وأخواتها فيه فصلا ولكن يكنّ بمنزلة اسم مبتدأ): وذلك قولك: ما أظن أحداً هو خير منك، وما أجعلُ رجلاً هو أكرم منك، وما إخالُ رجلاً هو أكرمُ منك. لم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة، كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة، وكما أن "كلهم وأجمعين" لا يكرَّران على نكرة، فاستقبحوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة، فلم تصر فصلاً إلا لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة.

وأما أهل المدينة فينزلون هو ها هنا بمنزلته بين المعرفتين، ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع. فزعم يونس أن أبا عمرو، رآه لحناً، وقال: احتبى ابنُ مروان[1]. في هذِه في اللحن. يقول: لحنَ، وهو رجل من أهل المدينة، كما تقول: اشتمل بالخطأ، وذلك أنه قرأ: "هؤلاء بناتي هنّ أطهرَ لكم"، فنصب، وكان الخليل يقول: والله إنه لعظيمٌ جعلهم هو فصلاً في المعرفة [2].

ففي هذا النصّ إشارة من سيبويه إلى أنّ بعض أهل المدينة جعل "هو" ضمير فصل بين المبتدأ والخبر وأنّ أبا عمرو رأى ذلك لحناً ،وأيّد القرطبي إنكار سيبويه أن تكون "هو" ضمير فصل فقال: قرأ عيسى بن عمرو {هُنَّ أَطْهَرُ} بالنصب على الحال. و"هن" عماد. ولا يجيز الخليل وسيبويه والأخفش أن يكون "هن" ههنا عمادا ، وإنما يكون

---

(1) لم يعرفه الباحث ولم يجد له ترجمة.

(2) كتاب سيبويه (٤١٧/٢).

عمادا فيما لا يتم الكلام إلا بما بعدها ، نحو كان زيد هو أخاك ، لتدل بها على أن الأخ ليس بنعت[١]. وصنع الفخر الرازي صنيع القرطبي فأنكر القراءة بالنصب حيث يقول : وقرأ عيسى بن عمرو {هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ } بالنصب على الحال كما ذكرنا في قوله تعالى: {وَهَـاذَا بَعْلِى شَيْخًا } (هود: ٧٢) إلا أن أكثر النحويين اتفقوا على أنه خطأ قالوا لو قرىء {هَـؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ} كان هذا نظير قوله: {وَهَـذَا بَعْلِى شَيْخًا } إلا أن كلمة "هن" قد وقعت في البين وذلك يمنع من جعل أطهر حالاً.[٢]

وذكر أبو حيان هذه القراءة في تفسيره ووجّهها على ثلاثة أوجه. وهي أن تكون «هؤلاء» مبتدأ، و« بناتي هُنَّ» جملةٌ في محلِّ خبره، و«أطهر» حال، والعاملُ: إمَّا التنبيهُ وإمَّا الإشارةُ. وقيل: «هنَّ» فَصْلٌ بين الحال وصاحبها، وجُعِل من ذلك قولُهم: « أكثر أكلي التفاحةَ هي نضيجةً». ومنعه بعض النحويين، وخرَّج الآيةَ على أن «لكم» خبر «هن» فلزمه على ذلك أن تتقدَّم الحالُ على عاملها المعنوي، وخرَّجَ المَثَلَ المذكور على أن «نضيجة» منصوبة ب «كان» مضمرة، ثم ذكر أبو حيان أنّ سيبويه قال: هو أي القراءة بالنصب لحن[٣]. وتبع الزمخشري سيبويه على إنكار أن تكون "هنّ" ضمير فصل في هذه الآية، فقال: وقرأ محمد بن مروان بالنصب، وضعفه سيبويه وقال: احتبى ابن مروان في لحنه. وعن أبي عمرو بن العلاء: من قرأ) هُنَّ أَطْهَرُ (بالنصب فقد تربع في لحنه، وذلك أنّ انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل، كقوله: {هَذَا بَعْلِى شَيْخًا} (هود: ٧٢) أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر، كأنه قيل: خذوا هؤلاء، وبناتي: بدل، ويعمل هذا المضمر في الحال، و(هنّ) فصل، وهذا لا يجوز؛ لأنّ الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة، ولا يقع بين الحال وذي الحال.[٤].

وجميع ما وقف عليه الباحث على كلام المفسّرين أنّهم يذكرون هذه التوجيهات الثلاثة لقراءة نصب "أطهر" دون أن يجيزوا الفصل بين الحال وصاحبها كقاعدة نحويّة

---

[١] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٧٦/٩).

[٢] مفاتيح الغيب/ فخر الدين الرازي (٢٨/١٨).

[٣] البحر المحيط / أبوحيان (٢٤٦/٥).

[٤] الكشاف عن حقائق التنزيل/ الزمخشري (٣٩٠/٢).

مقرّرة، ومع طول بحثي في توجيه هذه القراءة لم أجد أحداً أجاز إعراب "أطهر" في الآية حالاً وجعل ذلك قياساً مطّرداً وقاعدة متبعةً، ومهما يكن من أمر إنّ هذه القراءة شاذة لا تدخل في مسمّى القرآن كما لا تجوز القراءة بها في الصلاة أو غيره.[1]. ولذلك رأى سيبويه أنّ هذه القراءة لحن، وتبعه على ذلك جمهورُ المفسّرين.

(1) الذين رُويت عنهم قراءة "أطهر" بالنصب جماعة من قراء الشواذ، وهم الحسن ، وزيد بن حسن ومحمد بن مروان (وهؤلاء مدنيّون) وعيسى بن عمر الثقفي وسعيد بن جبير من أزد قريش ، انظر: جامع البيان/ الطبري (٨٥/١٢) والجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٩/ ٧٦) والبحر المحيط/أبو حيان (٢٤٧/٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الأعراف: ٧٧

لا خلاف بين العلماء في أنّ الواو إذا سكنت وانكسر ما قبلها قلبت ياء وجوباً، وهذا ما نصّ عليه سيبويه حين ذكر أنّ الهمزة إذا كانت ساكنة وما قبلها مضموماً تبدل مكانها واواً إن أردت التخفيف، مثل: موقن من اليقين، وموسر من اليُسر، ويرى أنّ لغة من يجعل الهمزة ياء ولا يقلبها واواً مع أنّ قبلها ضمّة لغة ضعيفة أي مخالفة للكثير الشائع في كلام العرب، فسيبويه استشهد بهذه القراءة الشاذة على أنّه حكي عن أبي عمرو أنّه قلب همزة {ائتنا} ياءً فلم يقلبها واواً مع أنّ ما قبلها مضمومٌ، فشاهد سيبويه من هذه القراءة هو وقوع الياء ساكنة وقبلها ضمّة فيقول سيبويه: فإن أسكنتها وقبلها ضمّة قلبتها واواً كما قلبت الواو ياءً في ميزان وزعموا أنّ أبا عمرو قرأ {يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا} جعل الهمزة ياءً ثمّ لم يقلبها واواً، وهذه لغة ضعيفة(١).

فهذه القراءة التي حكاها سيبويه عن أبي عمرو شاذة جدّاً ،قال عنها ابن عماد الحنبلي وهذه القراءة لا تبعد عن الغلط لأن همزة الوصل في هذا النحوِ مكسورةٌ فمن أين جاءت ضمةُ الهمزة إلا على التوهُّم؟

وعبارة سيبويه تشعر بهذا لقوله (وزعموا) وقلّ من التفت إليها أو ذكرها من علماء القراءات واللغة والنحو والتفسير حتى إنّ أباحيان في البحر المحيط الذي يعدّ موسوعة للقراءات القرآنيّة متواترها وشاذها لم يتعرض لها بل ذكر قراءة الجمهور السبعيّة وهي {يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا} بسكون الهمزة، وهي قراءة متواترة فقال: قرأ ورش

(١) كتاب سيبويه (٣٣٧/٤)

والأعمش يا صالح وتِنَا وأبو عمرو إذا أدرج بإبدال همزة فاء ائْتِنَا واوا، وقرأ باقي السبعة بإسكانها[٢].

ويرى الباحث أنّ سيبويه يتحدّث عن لغة لبعض العرب جاءت عليها هذه القراءة الشاذة وحكم على هذه اللغة بالضعف أي القلة لمخالفتها الكثير الشائع من كلام العرب الذي عليه القياس، ولا يريد سيبويه الهجوم على هذه القراءة؛ لأنّ منهج سيبويه احترام القراءة وإن كانت شاذة.

---

[٢] البحر المحيط / أبو حيان (٣٣١/٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (فصلت: ١٧).

تحدث سيبويه في هذه الآية الكريمة عن قواعد ما اصْطُلِح عليه في النحو بالاشتغال، وذكر جواز الرفع والنصب في الاسم المتقدم في نحو «زيداً ضربته»، ثم قال: «وقد قرأ بعضهم: «وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ» (فصلت:١٧)، إلا أنَّ القراءةَ لا تُخالَفُ؛ لأن القراءةَ السُّنة». وإنما نصبه على إضمار فعل هذا يفسره [١].

وهو بهذه القاعدة الكلية يضع منهجه في التعامل مع القراءات القرآنية، فيحترمها لأنها «السُّنة»، ولا يُقِرُّ مخالفتها، وكتابه مليء بتوجيه كثير من هذه القراءات. أمّا ما عدَّه أحد الباحثين[٢] موقفاً من سيبويه تُجاه بعض القراءات المتواترة، فَهِمَ منه رَدَّها، فذلك سوء فهم لعبارة سيبويه وقلة معايشة مع كتاب سيبويه.

استشهد سيبويه بهذه الآية خمس مرات في كتابه فقد استشهد بها في الموضع الأول والثالث والخامس على قراءة رفع "ثمود" وهي قراءة الجمهور المتواترة، فتكون "ثمود" مرفوعة على الابتداء والخبر الجملة التي بعدها وأما النصب فاللفظ "ثمود" منصوب بفعل محذوف وذكر سيبويه في الموضعين الآخرين أنّ بعضهم قرأ بالنصب وهي قراءة شاذة.

وقد ذكر ابن عجيبة في تفسيره أنّ الرفع غير مصروف قراءة الجمهور وأنّ النصب قراءة الأعمش فقال: قلت: {وأما ثمود}، قراءة الجماعة بالرفع، غير مصروف، إرادة القبيلة، وقراءة الأعمش: بالنصب، من باب الاشتغال، وأصل الكلام : مهما يكن من

---

[١] كتاب سيبويه (١٤٨/١)

[٢] وهو الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه (سيبويه والقراءات) طبعة دار المعارف بمصر القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢م

شيء فثمود هديناهم، فحُذف الملزوم الذي هو الشرط، وأُقيم مقامه لازمه، وهو الجزاء ، وأبقيت الفاء المؤذنه بأن ما بعدها لازم لما قبلها ، وإلا فليس هذا موضع الفاء ؛ لأن موضعه صدر الجزاء.[1]

(1) البحر المديد / ابن عجيبة الإدريسي (٥٠٤/٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنعام: ٢٧

قرأ حمزة وحفص ويعقوب: (ولا نكذب ونكون) بنصب الباء والنون فيهما، وابن عامر: (ونكون) بالنصب فقط، والباقون بالرفع فيهما.[١]

وقد وقف سيبويه على هذه القراءة، وذهب إلى أن تقدير الرفع على معنيين: «**أحدهما:** أن يُعطف الفعلان {نكذب} {نكون} على {نردّ}: فيكون الفعلان داخلين في معنى التمني أي تمنوا الردّ وأن لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين.

والثاني: على معنى قولك: دَعْني ولا أعودُ، أي: فإني ممَّن لا يعودُ، فإنما يَسْأل التَّرْكَ، وقد أوجب على نفسه أنْ لا عودةَ له البتة، تُرِك أو لم يُترك، ولم يُرِدْ أن يَسْأل أن يجتمع له التركُ وألاَّ يعود»[٢]

فأما قراءة الرفع فيهما ففيها ثلاثة أوجه، أحدها: أن الرفع فيهما على العطف على الفعل قبلهما وهو « نُرَدُّ »، ويكونون قد تمنَّوا ثلاثة أشياء: الردَّ إلى دار الدنيا، وعدمَ تكذيبهم بآيات ربهم، وكونَهم من المؤمنين. والثاني: أن الواو واو الحال، والمضارع خبر مبتدأ مضمر، والجملة الاسمية في محصل نصب على الحال من مرفوع « نُرَدُّ »، والتقدير: يا ليتنا نُرَدُّ غيرَ مكذِّبين وكائنين من المؤمنين، فيكونُ تمنِّي الرد مقيَّداً بهاتين الحالَيْن ، فيكونُ الفعلان أيضاً داخلَيْن في التمني.

والثالث: من الأوجه المتقدمة أن قوله » ولا نكذِّبُ « خبر لمبتدأ محذوف، والجملة استنافية لا تعلُّقَ لها بما قبلها، وإنما عُطِفَتْ هاتان الجملتان الفعليَّتان على الجملة المشتملة على أداة التمني وما في حيِّزها فليستَتْ داخلةً في التمني أصلاً ، وإنما أخبر الله تعالى

---

[١] انظر : تحبير التيسير في القراءات العشر/ابن الجزري ، دار النشر : دار الفرقان – الأردن / عمان – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

[٢] انظر :كتاب سيبويه (١٨٦/١)

عنهم أنهم أَخْبروا عن أنفسهم بأنهم لا يُكَذِّبون بآيات ربهم ، وأنَّهم يكونون من المؤمنين، فتكون هذه الجملة وما عُطِف عليها في محل نصبٍ بالقول، كأنَّ التقديرَ: فقالوا: يا ليتنا نُرَدُّ وقالوا: نحن لا نُكَذِّبُ ونكونُ من المؤمنين واختار سيبويه هذا الوجه، وشبَّهه بقولهم:» دعني ولا أعودُ « أي وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركن، أي: لا أعود على كل حال، كذلك معنى الآية أَخْبروا أنهم لا يُكَذِّبون بآيات ربهم وأنهم يكونون من المؤمنين على كل حال، رُدُّوا أو لم يُرَدوا وهذا الوجه وإن كان سيبويه اختاره ورجّحه– كما مرَّ – ففيه إشكال؛ لأنَّ الكذبَ لا يجوز وقوعه في الآخرة، إنما يجوز في الدنيا.

وقد أجاب عن هذا الإشكال الذي ورد على كلام سيبويه العلامة ابن عماد الحنبلي فأجاد حيث يقول: (وقد أُجيب عنه بوجهين، أحدهما: أن قوله { وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } استيثاقٌ لذَمِّهم بالكذب، وأن ذلك شأنهم كما تقدَّم ذلك آنفاً . والثاني: أنهم صَمَّموا في تلك الحال على أنهم لو رُدُّوا لَمَا عادوا إلى الكفر لِما شاهدوا من الأهوال والعقوبات ، فأخبر الله تعالى أنَّ قولَهم في تلك الحال : « ولا نكذِّبُ » وإن كان عن اعتقاد وتصميم يتغيَّر على تقدير الرد ووقوع العَوْد ، فيصير قولهم : « ولا نكذب » كذباً ، كما يقول اللص عند ألم العقوبة : « لا أعود » ، ويعتقد ذلك ويصمم عليه ، فإذا خُلِّص وعادَ كان كاذباً [1].

وأمَّا نَصْبُهما فبإضمار « أَنْ » بعد الواو التي بمعنى مع ، كقولك : « ليت لي مالاً وأنفقَ منه » فالفعل منصوب بإضمار « أن »، والتقدير: يا ليتنا لنا رَدٌّ وانتفاءُ تكذيب بآيات ربنا وكون من المؤمنين ، أي : ليتنا لنا ردٌّ مع هذين الشيئين ، فيكون عدمُ التكذيب والكونُ من المؤمنين مُتَمَنَّيَيْنِ أيضاً ، فهذه الثلاثةُ الأشياءِ : أعني الردَّ وعدمَ التكذيب والكونَ من المؤمنين متمنَّاةٌ بقيد الاجتماع ، لا أنَّ كلَّ واحدٍ متمنًّى وحدَه؛:

---

[1] اللباب في علوم الكتاب / ابن عماد الحنبلي (٩١/٨)

وأمَّا قراءة ابن عامر – برفع الأول ونصب الثاني فلم يذكرها سيبويه –لكن ابن عماد الحنبلي خرّجها في تفسيره وذكر أنَّ الأولَ يرتفع على حدِّ ما تقدَّم من التأويلات، وكذلك نصبُ الثاني يتخرَّج على ما تقدَّم، ويكون قد أدخل عدم التكذيب في التمني أو استأنفه،[٢] وقد أخذ القرطبي بالوجهين اللذين ذكرهما سيبويه في تخريج القراءة المذكورة.، حيث قال: قوله تعالى: { لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} بالرفع في الأفعال الثلاثة عطفا، وكله داخل في معنى التمني؛ أي تمنوا الرد وألا يكذبوا وأن يكونوا من المؤمنين. واختار سيبويه القطع في {وَلا نُكَذِّبَ} {لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وكله داخل في معنى التمني ؛ أي تمنوا الرد؛ قال سيبويه : وهو مثل قوله دعني ولا أعود أي لا أعود على كل حال تركتني أو لم تتركني. واستدل أبو عمرو على خروجه من التمني بقوله: {وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} لأن الكذب لا يكون في التمني إنما يكون في الخبر.

وقال من جعله داخلا في التمني: المعنى وإنهم لكاذبون في الدنيا في إنكارهم البعث وتكذيبهم الرسل.

---

[٢] المرجع نفسه (٩٢/٨)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٩

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وخلف وأبو بكر بخلاف عنه(إنها إذا جاءت) بكسر الهمزة ، والباقون بفتحها[١]

فأما قراءة الكَسْر: فَوَاضِحَة استْجودها النَّاس: سيبويه وغيْرُه، لأن معناها: استْئنَاف إخْبَار بعدم إيمان من طُبع على قَلْبه ، ولو جَاءَتْهُم كلُّ آيَة .

وسأل سيبويه أستاذه الخليل عن قراءة كسر ﴿إِنَّهَآ﴾ مِن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام:١٠٩)، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وأحد الوجهين عن أبي بكر عن عاصم: ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يَحْسُن ذا في ذا الموضع، إنما قال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾، ثم ابتدأ فأوجب فقال: ﴿إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾، ولو قال: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ كان ذلك عذراً لهم».

وسأل سيبويه الخليل أيضاً عن قراءة باقي السبعة ﴿ أَنَّهَآ﴾ بفتح الهمزة في الآية نفسها، فأجابه: هي بمنزلة قول العرب: «ائت السوق أنَّك تشتري لنا شيئاً» أي: «لعلك»، فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. [٢].

وقد أفاد علماء توجيه القراءات والمفسّرين من هذا التخريج للقراءتين، وقوَّوا ما ذهب إليه سيبويه ، منهم ابن عادل الحنبلي حيث قال :

قال سيبويه: سَألْتُ الخَلِيل عن هذه القراءة عن: قِرَاءة الفَتْح فَقُلْت: ما مَنَع أن يكُون كقولك: ما يُدْرِيك أنّه لا يَفْعل ؟ فقال : لا يَحْسُن ذلك في هذا المَوْضِع ، إنَّما قال: " ومَا يُشْعِرُكم " ثم ابْتِدأ ؛ فأوْجَب، فقال: " إنَّها إذا جَاءَت، لا يُؤمِنُون " لو فتحت فقال: " وما يُشْعِرُكُم أنَّها إذا جَاءَتْ لا يُؤمِنُون " ، لكان عُذْراً لهم .

---

[١] تحبير التيسير / ابن الجزري (١/ ١٧٨)

[٢] انظر : كتاب سيبويه(١٤٢/٣)

وقد شرح النَّاس قَوْل الخَلِيل ، وأوْضَحُوه ، فقالوا : لأنَّك لو فَتَحْت " أنّ " وجَعَلْتَها الَّتِي في نَحْو : بَلَغَنِي أنَّ زيداً مُنْطَلِق ، لكان عُذْراً لمنَ أخبر عَنْهُم أنَّهم لا يُؤمِنُون ؛ لأنَّه إذا قال القَائِل : " إنَّ زَيْداً لا يُؤمِن " فقلت : وما يُدْرِيك أنَّه لا يُؤمِن ؟ كان المَعْنَى : أنه يُؤمِن ، وإذا كان كذلك ، كان عُذْراً لمن نفي عنه الإيمان ، وليس مُرادُ الآية الكريمة ، إقامة عُذْرهم ، ووجود إيمانهم .[1]

وأما قِرَاءة الفَتْح: فقد وَجَّهَها النَّاسُ على أوْجُه :أظهرها : أنَّها بمعنى : لَعَلَّ ، حكى الخَلِيل " أتيت السُّوق أنَّك تَشْتَرِي لَنَا مِنْهُ شَيْئاً " أي : " لَعَلَّك " فهذا من كلام العرب – كما حكَاه الخَلِيل – شَاهد على كَوْن " أنَّ " بِمَعْنَى لَعَلَّ

أرينِـــي جَـــوَاداً مَـــاتَ هُزْلاً لأنّـــنِي *** أرَى مـــا تَـــرَيْنَ أوْ بَخِيلاً مُخَلَّـــدَا[2]

ف " أنَّ " في هذه المواضِع كلِّها بِمَعْنَى : " لعلَّ " قالوا : ويدلُّ على ذَلِك أنَّها في مُصْحَف أبَيٍّ وقراءته : " وما أدْرَاكُم لعلها إذا جَاءَتْ لا يُؤمِنُون.

ويرى الباحث أنّ فيما نقله سيبويه عن أستاذه الخليل فائدةً وهي أن تكون (أنّ) بمعنى (لعلّ) في القرآن الكريم وذكر مثل ذلك ابن هشام فقال : (أنّ) تكون لغة في لعل كقول بعضهم أئت السوق أنك تشتري لنا شيئا وقراءة من قرأ (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون)[3]. وقد استحسن القرطبي توجيه سيبويه لهذه القراءة فقال :

{وَمَا يُشْعِرُكُمْ} أي يعلمكم ويدريكم أيها المؤمنون. {أَنَّهَا} بالفتح ، وهي قراءة أهل المدينة والأعمش وحمزة، أي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. قال الخليل: {أَنَّهَا} بمعنى لعلها؛

---

[1] اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٣٦٩/٨)

[2] قاله حُطائط بن يعفُر : من قصيدة من بحر الطويل وبعد هذا البيت ....

(ذَرِيني أكنْ للمال ربًّا ولا يكن ... لي المالُ ربًّا تَحمَدي غِبَّه غدا)

(ذَرِيني فلا أعيا بما حلَّ ساحَتِي ... أَسُودُ فأُكْفَى أو أطِيعُ المُسَوَّدا)

(ذريني يكنْ مالي لعِرْضِي وِقايةً ... يَقِي المالُ عِرْضِي قَبل أن يتبدَّدا)

انظر : [الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني] : دار الفكر – بيروت الطبعة الثانية (٣٠/١٣)

[3] مغني اللبيب / ابن هشام (٦٠/١)

وحكاه عنه سيبويه. وفي التنزيل: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣] أي أنه يزكى. وحكي عن العرب: ائت السوق أنك تشتري لنا شيئا، أي لعلك. وهو في كلام العرب كثير "أن" بمعنى لعل. وحكى الكسائي أنه كذلك في مصحف أبي بن كعب {وما أدراكم لعلها}[١]

وقد ذكر الطبري لهذه القراءة توجيها آخر غير ما ذكره سيبويه ، وهو أنّ (لا) في قوله تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ }زائدةٌ ، ولكنّه رجّح ما ذهب إليه سيبويه فقال:

"قل" للمؤمنين بك يا محمد="إنما الآيات عند الله وما يشعركم"، أيها المؤمنون بأن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركون بالله، أنهم لا يؤمنون به= ففتحوا"الألف" من"أنّ" .

وممن قرأ ذلك كذلك، أهل المدينة والكوفة، وقالوا: أدخلت"لا" في قوله:(لا يؤمنون) صلة، (١) كما أدخلت في قوله:(مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ)، [سورة الأعراف: ١٢]، وفي قوله:(وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ)، [سورة الأنبياء: ٩٥]، وإنما المعنى: وحرام عليهم أن يرجعوا= وما منعك أن تسجُد .

وقد تأوَّل قوم قرؤوا، ذلك بفتح"الألف" من(أنها) بمعنى: لعلها. وذكروا أن ذلك كذلك في قراءة أبيّ بن كعب ،وقد ذكر عن العرب سماعًا منها:"اذهب إلى السوق أنك تشتري لي شيئًا"، بمعنى: لعلك تشتري.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلات في ذلك بتأويل الآية، قولُ من قال: ذلك خطاب من الله للمؤمنين به من أصحاب رسوله= أعنى قوله:(وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) = وأن قوله:"أنها"، بمعنى: لعلَّها .

وإنما كان ذلك أولى تأويلاته بالصواب، لاستفاضة القراءة في قرأة الأمصار بالياء من قوله:(لا يؤمنون) .

ولو كان قوله:(وما يشعركم) خطابًا للمشركين، لكانت القراءة في قوله:(لا يؤمنون)، بالتاء، وذلك، وإن كان قد قرأه بعض قرأة المكيين كذلك، فقراءةٌ خارجة عما عليه قرأة الأمصار، وكفى بخلاف جميعهم لها دليلا على ذهابها وشذوذها وإنما معنى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٦٤/٨)

الكلام: وما يدريكم، أيها المؤمنون، لعل الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون، فيعاجلوا بالنقمة والعذاب عند ذلك، ولا يؤخَّروا به. [1]

ورجّح الفخر الرازي أيضا ما اعتمد عليه سيبويه ونقله عن أستاذه الخليل وزاد الرازي إيضاحاً وتفسيراً لعبارة الخليل فقال :

وقوله: {أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لا يُؤْمِنُونَ} قرأ ابن كثير وأبو عمرو {أَنَّهَآ} بكسر الهمزة على الاستئناف وهي القراءة الجيدة. والتقدير: أن الكلام تم عند قوله : {وَمَا يُشْعِرُكُمْ} أي وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتدأ فقال: {أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لا يُؤْمِنُونَ} قال سيبويه: سألت الخليل عن القراءة بفتح الهمزة في أن وقلت لم لا يجوز أن يكون التقدير ما يدريك أنه لا يفعل ؟

فقال الخليل: إنه لا يحسن ذلك ههنا لأنه لو قال: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ} بالفتح لصار ذلك عذراً لهم، هذا كلام الخليل. وتفسيره إنما يظهر بالمثال فإذا اتخذت ضيافة وطلبت من رئيس البلد أن يحضر فلم يحضر، فقيل لك لو ذهبت أنت بنفسك إليه لحضر، فإذا قلت: وما يشعركم أني لو ذهبت إليه لحضر كان المعنى: أني لو ذهبت إليه بنفسي فإنه لا يحضر أيضاً فكذا ههنا قوله: {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لا يُؤْمِنُونَ} معناه أنها إذا جاءت آمنوا. وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذراً للكفار في طلب الآيات ، والمقصود من الآية دفع حجتهم في طلب الآيات ، فهذا تقرير كلام الخليل وقرأ الباقون من القراء {أَنَّهَآ} بالفتح وفي تفسيره وجوه : الأول : قال الخليل : {أن} بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك ، فكأنه تعالى قال لعلها إذا جاءت لا يؤمنون. [2]

وبالجملة فما ذهب إليه سيبويه في توجيه هذه القراءة هو الذي عليه جمهور المفسّرين واعتمدوا عليه .

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (٣٨/١٢).

([2]) مفاتيح الغيب / الفخر الرازي (١٣/ ١١٨).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠

ذكر سيبويه أنّ من سمّاهم ببعض القرّاء قرءوا قوله تعالى { يلتقطه } بالتاء وأطال في توجيه هذه القراءة والاستشهاد عليها فقال :

(قرأ بعض القراء " تلتقطه بعض السيارة " . وربما قالوا في بعض الكلام: ذهبت بعض أصابعه، وإنما أنث البعض لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه، ولو لم يكن منه لم يؤنثه، لأنه لو قال: ذهبت عبد أمك لم يحسن.

ومما جاء مثله في الشعر قول الشاعر:

وتَشــرَق بالقــول الذي قد أذعتــه *** كما شــرِقت صدرُ القنــاة من الدم[١]

لأن صدر القناة من مؤنث. ومثله قوله:

إذا بعض الســنين تعرقتــنا *** كفــى الأيتــام فقــد أبــى اليتيــم[٢]

لأن " بعض " ههنا سنون.

وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به: اجتمعت أهل اليمامة، لأنه يقول في كلامه: اجتمعت اليمامة، يعني أهل اليمامة، فأنث الفعل في اللفظ إذ جعله في اللفظ لليمامة، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سعة الكلام.)[٣]

---

[١] البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (اللسان: شرق) قال: شرق الشيء شرقًا، فهو شرق: اشتدت حمرته بدم، أو بحسن لون أحمر، قال الأعشى: "وتشرق بالقول.." البيت. والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، . قال شارح الديوان: "وحتى تشرق بما أذعنت من قول، كما يشرق مقدم الرمح بالدم". وصدر القناة: أعلاها. والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرق بالتاء، مع أن فاعله وهو "صدر" مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، اكتسب منه التأنيث.

[٢] وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشام بن عبد الملك بن مروان (يرى للمسلمين عليه حقّاً كفعل الوالد الرؤف الرّحيم) (إذا بعض السّنين تعرّقتنا... كفى الأيتام فقد أبي اليتيم) انظر : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب / عبد القادر بن عمر البغدادي ـــــ دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٩٩٨م بيروت

[٣] كتاب سيبويه (١١/١)

هذا كلام سيبويه في توجيه هذه القراءة ، لكنه لم يسمّ من قرأ هذه القراءة، ولم يخرج المفسّرون عن هذا التوجيه بل كل من وجّه هذه القراءة يدور حول فلكه فهذا إمام المفسّرين ابن جرير الطبري اقتفى أثر سيبويه في توجيه هذه القراءة واستشهد مثل شواهد سيبويه وزاد تسميته للقارئ فقال: (وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ:" تَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" بالتاء .

وكانّ الحسن ذهب في تأنيثه"بعض السيارة" إلى أنَّ فعلَ بعضها فعلُها.

والعرب تفعل ذلك في خبر كان عن مُضافٍ إلى مؤنث، يكون الخبرُ عن بعضه خبرًا عن جميعه ، وذلك كقول الشاعر:[1]

أرَى مـــرَّ الســـنِينَ أخَـــذْنَ مِنِّـــي *** كَمـــا أخَـــذَ الســـرِّارُ مِنَ الهِـــلالِ

فقال: "أخذن مني" ، وقد ابتدأ الخبر عن"المرّ"، إذ كان الخبر عن"المرّ"، خبرًا عن"السنين"، وكما قال الآخر: [2]

إذَا مَـــاتَ مِنْهـــمْ سَـــيِّدٌ قَـــامَ ســـيِّدٌ *** فـــدَانَتْ لَهُ أهْـــلُ القـــرَى والكَنـــائِسِ

فقال:"دانت له"، والخبر عن أهل القرى، لأن الخبر عنهم كالخبر عن القرى . ومن قال ذلك لم يقل:" فدانت له غلام هند"، لأن"الغلام" لو ألقي من الكلام لم تدلَّ"هند" عليه ، كما يدل الخبر عن"القرية" على أهلها .

---

[1] البيت لجرير انظر ديوانه:رقم لبيت ٤٢٦ ، من قصيدة من الوافر ، يقول قبل البيت: دَعِينِي، إنَّ شَيْبِى قَدْ نَهَانِي ... وَتَجْرِيبِى، وشيبي، وَاكْتِهَالِى

رَأَتْ مَرَّ السِّنِينِ ....

وَمَنْ يَبْقَى عَلَى غَرَضِ المَنَايا ... وَأَيَّامٍ تَمُرُّ مَعَ اللَّيَالِي؟!

والسرار (بكسر السين وفتحها): آخر ليلة من الشهر ، ليلة يستسر القمر ، أي يختفي ، وأراد جرير بالسرار في هذا البيت: نقصان القمر حتى يبلغ آخر ما يكون هلالا ، حتى يخفى في آخر ليلة ، فهذا النقصان هو الذي يأخذ منه ليلة بعد ليلة ، أما "السرار" الذي شرحه أصحاب اللغة ، فهو ليلة اختفاء القمر ، وذلك لا يتفق في معنى هذا البيت.

[2] لم يعرف الباحث قائل هذا البيت .

وذلك أنه لو قيل": فدانت له القرى" ، كان معلومًا أنه خبر عن أهلها. وكذلك"بعض السيارة" ، لو ألقي البعض ، فقيل: تلتقطه السيارة ، علم أنه خبر عن البعض أو الكل ، ودلّ عليه الخبر عن"السيارة".[1]

وممن أيّد توجيه سيبويه وصنع مثل صنيعه القرطبي حيث قال : – قوله تعالى : {يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ} جزم على جواب الأمر. وقرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن وقتادة : "تلتقطه" بالتاء ، وهذا محمول على المعنى ؛ لأن بعض السيارة سيارة ؛ وقال سيبويه : سقطت بعض أصابعه ، وأنشد :

وتشـــرق بالقول الذي قد أذعتـــه *** كما شـــرقت صـــدر القنـــاة من الدم [2]

(1) جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (٥٦٨/١٥)

(2) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٣٣/٩).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٦

خرَّج سيبويه قراءة ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ بجزم «وَيَذَرْهُمْ» فقرأ: عاصم وأبو عمرو ويعقوب: { ويذرهم } بالياء ورفع الراء ، وحمزة والكسائي. وخلف بالياء وجزم الراء ، والباقون بالنون ورفع الراء [١]. قال سيبويه: وقد بلغنا أنَّ بعض القرَّاء قرأ" من يضلل اللَّه فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون " ؛ وذلك لأنَّه حمل الفعل على موضع الكلام؛لأنَّ هذا الكلام في موضع يكون جواباً؛ لأنّ أصل الجزاء الفعل، وفيه تعمل حروف الجزاء؛ ولكنَّهم قد يضعون في موضع الجزاء غيره.[٢]

وهذا توجيه جمهور الذين وجَّهوا القراءة من بعده ، وهذا ابن عادل الحنبلي يقول في توجيه هذه القراءة :

قوله : " ويَذَرْهُمْ " قُرأبرفع الفعل ، وقد رُوي الجزمُ أيضاً عن نافع ، وأبي عمرو في الشواذ . فالرفعُ من وجهٍ واحدٍ ، وهو الاستئناف ، أي : وهو يذرهم ، ونحن نذرهم ، على حسب القراءتين ، وأمَّا السُّكونُ فيحتمل وجهين :

أحدهما: أنه جزم نسقاً على محلِّ قوله : (فَلاَ هَادِيَ لَهُ (؛ لأنَّ الجملةَ المنفيَّة جوابٌ للشرط فهي في محلِّ جزم فعطف على محلِّها وهو كقوله تعالى : (وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ) [البقرة : ٢٧١] بجزم " يُكَفّر " [٣]

ومن الذين صنعوا صنيع سيبويه في توجيه هذه القراءة القرطبي [٤] وأبو حيان[٥] وأبو السعود[٦] وأبو القاسم الزمخشري. [٧]

---

[١] تحبير التيسير في القراءات العشر / ابن الجزري (٣٨١/١)

[٢] كتاب سيبويه (١٩٥/١)

[٣] اللباب في علوم القرآن / ابن عادل الحنبلي (٤٠٨/٩)

[٤] انظر : الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٣٣٤/٧)

[٥] انظر: البحر المحيط / أبوحيان (٤٣١/٤)

[٦] انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم / ابو السعود (٣٠٠/٣)

[٧] انظر: الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري (١٧٤/٢)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ سبأ: ١٠

قال الإمام سيبويه عند كلامه في هذه الآية :

وقرأ الأعرج: [١]" يا جِبالُ أوّبي معه والطيرُ ". فرفع، ويقولون: يا عمرو والحارثُ، وقال الخليل رحمه الله: هو القياس، كأنه قال: ويا حارثُ. [٢]...

ذكر سيبويه في هذا النصّ أنّ القرّاء اختلفوا في قراءة " الطير " في هذه الآية ،وأنّ الأعرج قرأ بالرفع[٣] ووجّه سيبويه هذه القراءة بأنّ لفظ "الطير" معطوف على " جبال " رعاية على لفظه فهو على نية تكرار العامل فكأنّه قيل: يا طير وقد وافق كبار المفسّرين سيبويه على هذا التوجيه منهم ابن حرير الطبري حيث قال : وفي نصب الطير وجهان: أحدهما أن الطير نوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع بما لا يحسن إعادة رافعه عليه فيكون كالمصدر عن جهته، والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه، فيكون معنى الكلام: فقلنا يا جبال أوبي معه وسخرنا له الطير. وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال، وإن لم يحسن نداؤها بالذي نوديت به الجبال، فيكون ذلك كما قال الشاعر:

ألا يا عمرُو والضحـــاكُ ســِيرا *** فقــد جاوزتما خَمــَرَ الطــريق[٤].

واكتفى سيبويه والطبري بهذا التوجيه الواحد ،وزاد على ذلك ابن عادل الحنبلي وجهين آخرين، الأول: عطفه على الضمير المستكن في " أَوِّبِي " وجاز ذلك

---

(١) الأعرج : هو عبد الرحمن بن هرمز، أبو داود، من موالي بني هشام، عرف بالاعرج: حافظ، قارئ، من أهل المدنية. وهو أول من برز في القرآن والسنن.وكان خبيرا بأنساب العرب، وافر العلم، ثقة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه. مات ١١٧هـــ الأعلام/ للزركلي (٣٤٠/٣

(٢) كتاب سيبويه (١٨٨/١)

(٣) الأعرج لم ينفرد بهذه القراءة بل شارك معه السُّلَميُّ ويعقوبُ وأبو نوفل وأبو يَحْيَى وعاصمٌ – في رواية – انظر : البحر المحيط / أبو حيان (٢٥١/٧)

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن / ابن جرير الطبري (٣٥٨/٢٠)

للفصل بالظرف، والثاني: الرفع على الابتداء والخبر مضمر أي والطيرُ كذلك أي مؤوبةٌ.[1] وزاد ابن عادل أيضاً توجيه قراءة النصب فقال: قوله: " والطير " العامة على نصبه وفيه أوجه: أحدهما: أنه عطف على محل جبال لأنه منصوب تقديراً .

الثاني: أنه مفعول معه قاله الزجاج . ورد عليه بأنه قبله لفظ " معه " ولا يقتضي العامل أكثرَ من مفعول معه واحد إلا بالبدل أو العطف لا يقال : جَاءَ زَيْدٌ مَعَ بَكْرٍ مَعَ عَمْرٍو قال شهاب الدين: وخلافهم في تَقَصِّيه حالين يقتضي مجيئه هنا .

الثالث: أنه عطف على " فضلاً " ، ولا بدّ من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلاً وتَسْبِيح الطير . الرابع : أنه منصوب بإضمار فعل أي سَخَّرْنَا لَهُ الطَّيْرَ .[2]

---

[1] اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٢٠/١٦)

[2] المرجع نفسه / نفس الصفحة .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ النساء: ١٦٢

اختلف القراء في قراءة " المقيمين " في هذه الآية الكريمة فقرأ الحسن ومالك بن دينار[1] وجماعة : "والمقيمون" على العطف ، وهذه القراءة لا إشكال فيها ولهذا لم يشتغل سيبويه بتوجيهها ، وفي قراءة النصب " والمقيمين " ورد فيها إشكال ، فكلمة : المقيمين" لا تتماشى مع قواعد النحو المعروفة. فهي معطوفة على " الراسخون" ويجب ان تكون مرفوعة، وليست منصوبة كما في الآية، فالمعطوف دائماً يتبع ما عُطف عليه. فأجاب سيبويه عن هذا الإشكال في (باب ما ينتصب على التعظيم) بأنّ كلمة " المقيمين " منصوب على المدح بإضمار فعل "أمدح " أو " أعني " فالنصب على المدح أو العناية لا يأتي في الكلام البليغ إلا لفائدة وهي هنا مزية الصلاة. لبيان فضل الصلاة كما قال سيبويه.[2]

وذكر القرطبي أنّ في توجيه هذه القراءة ستة أقوال وأنّ أصحّها قول سيبويه فقال: { وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ } اختلف في نصبه على أقوال ستة ؛ أصحها قول سيبويه بأنه نصب على المدح ؛ أي وأعني المقيمين؛ قال سيبويه : هذا باب ما ينتصب على التعظيم ؛ ومن ذلك { وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ }: وهذا أصح ما قيل في { َالْمُقِيمِينَ}. وقال الكسائي: { وَالْمُقِيمِينَ } معطوف على {ما}. وهذا بعيد ؛ لأن المعنى يكون ويؤمنون بالمقيمين .

وقيل: { وَالْمُقِيمِينَ } عطف على الكاف التي في { قَبْلِكَ } أي من قبلك ومن قبل المقيمين.

وقيل: { َالْمُقِيمِينَ } عطف على الكاف التي في { إِلَيْكَ }. وقيل : هو عطف على الهاء

---

[1] مالك بن دينار : هو أبويحيى مالك بن دينار البصري،: من رواة الحديث. علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بلغته.ولد في أيام ابن عباس، وسمع من أنس بن مالك، فمن بعده، وحدث عنه، وكان ورعا، يأكل من كسبه، ويكتب المصاحب بالاجرة. توفي في البصرة سنة ١٣١ هـ انظر : سير أعلام النبلاء / الذهبي (٥/ ٣٦٢)

[2] انظر : كتاب سيبويه (٢٤٣/١)

والميم، أي منهم ومن المقيمين ؛ وهذه الأجوبة الثلاثة لا تجوز ؛ لأن فيها عطف مظهر على مضمر مخفوض. والجواب السادس : ما روي [1] أن عائشة رضي الله عنها سئلت عن هذه الآية وعن قوله: { إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ}، وقوله: { وَالصَّابِئُونَ} في "المائدة"، فقالت للسائل: يا ابن أخي الكتاب أخطؤوا. وقال أبان بن عثمان[2]: كان الكاتب يملى عليه فيكتب فكتب {لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ} ثم قال له: ما أكتب ؟ فقيل له : اكتب {وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ} فمن ثم وقع هذا. قال القشيري[3]: وهذا المسلك باطل ؛ لأن الذين جمعوا الكتاب كانوا قدوة في اللغة ، فلا يظن بهم أنهم يدرجون في القرآن ما لم ينزل. وأصح هذه الأقوال قول سيبويه وهو قول الخليل ، وقول الكسائي والله أعلم. [4]

وقد ناقش الطبري في توجيه هذه القراءة نقاشاً طويلاً وانتقد أكثر هذه التوجيهات التي اختارها المفسّرون وسيبويه، واستحسن الباحث أن ينقل هذا النقاش برمّته لما اشتمل عليه من الفوائد فقال رحمه الله: (وقال آخرون، وهو قول بعض نحويي الكوفة والبصرة: "والمقيمون الصلاة"، من صفة "الراسخين في العلم"، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين "الراسخين في العلم"، "والمقيمين الصلاة" ما اعترض من الكلام فطال، نصب"المقيمين" على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحيانًا، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله. وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه. وربما أجروا ذلك على نوع

([1]) قال السيوطي: إسناده صحيح على شرط الشيخين. انظر: الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي (٥٣٦/١).

([2]) هو أبان بن عثمان بن عفان الإمام الفقيه ابن أمير المؤمنين كان محدثاً فقيهاً والياً على المدينة سبع سنين، أصابه الفالج في آخر عمره، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر : سير أعلام النبلاء. (٣٦/٤).

([3]) القشيري: هو الإمام الزاهد، القدوة، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب " الرسالة " ولد سنة ٣٧٥هـ. وتقدم في الأصول والفروع، .: كان أبو القاسم علامة في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر والكتابة.صنف " التفسير الكبير " وهو من أجود التفاسير، وصنف " الرسالة " في رجال الطريقة، (سير أعلام النبلاء) (٢٢٧/١٨)

([4])الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٥/٦)

واحد من الإعراب. واستشهدوا لقولهم ذلك بالآيات التي ذكرتها في قوله: (وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) [سورة البقرة: ١٧٧].

وقال قائلو هذه المقالة جميعًا: موضع"المقيمين" في الإعراب، خفض. [١]

فقال بعضهم: موضعه خفض على العطف على"ما" التي في قوله: " يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة. ثم اختلف متأوّلو ذلك هذا التأويل في معنى الكلام.

فقال بعضهم: معنى ذلك: " والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، وبإقامة الصلاة. قالوا: ثم ارتفع قوله: " والمؤتون الزكاة "، عطفًا على ما في"يؤمنون" من ذكر"المؤمنين"، كأنه قيل: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، هم والمؤتون الزكاة.

وقال آخرون: بل" المقيمون الصلاة"، الملائكة. قالوا: وإقامتهم الصلاة، تسبيحهم ربَّهم، واستغفارهم لمن في الأرض. قالوا: ومعنى الكلام:"والمؤمنون يؤمنون بما أنزل وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك:"والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، هم والمؤتون الزكاة، كما قال جل ثناؤه:(يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) [سورة التوبة: ٦١].ثمّ ذهب رحمه الله تعالى يردّ على ما ذهب إلي سيبويه فقال :

وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون: "المقيمين" منصوبًا على المدح. وقالوا: إنما تنصب العربُ على المدح من نعت من ذكرته بعد تمام خبره. قالوا: وخبر "الراسخين في العلم" قوله:"أولئك سنؤتيهم أجرًا عظيمًا". قال: فغير جائز نصب"المقيمين" على المدح، وهو في وسط الكلام، ولمّا يتمَّ خبر الابتداء.

وقال آخرون: معنى ذلك: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة. وقالوا: موضع "المقيمين"، خفض.

وقال آخرون: معناه: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة.

([١]) لعل الصواب – موضع " المقيمين " في الإعراب نصب ، بدليل العبارة السابقة " فطال، نصب"المقيمين" على وجه المدح "

قال أبو جعفر: وهذا الوجه والذي قبله، منكرٌ عند العرب، ولا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكنيٍّ في حال الخفض، وإن كان ذلك قد جاء في بعض أشعارها قال أبو جعفر: وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون "المقيمين" في موضع خفض، نسَقًا على"ما"، التي في قوله: " بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك" = وأن يوجه معنى"المقيمين الصلاة"، إلى الملائكة.فيكون تأويل الكلام:"والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك"، يا محمد، من الكتاب= " وبما أنزل من قبلك"، من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة. ثم يرجع إلى صفة "الراسخين في العلم"، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر. ثمّ انتقد رحمه الله على الذين قالوا إنّ هذه القراءة فيها لحن فقال: وإنما اخترنا هذا على غيره، لأنه قد ذكر أن ذلك في قراءة أبيّ بن كعب(وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاةَ)، وكذلك هو في مصحفه، فيما ذكروا. فلو كان ذلك خطأ من الكاتب، لكان الواجب أن يكون في كل المصاحف = غير مصحفنا الذي كتبه لنا الكاتب الذي أخطأ في كتابه = بخلاف ما هو في مصحفنا. وفي اتفاق مصحفنا ومصحف أبيّ في ذلك، ما يدل على أنّ الذي في مصحفنا من ذلك صواب غير خطأ. مع أن ذلك لو كان خطأ من جهة الخطّ، لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعلّمون من علَّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن، ولأصلحوه بألسنتهم، ولقَّنوه الأمة تعليمًا على وجه الصواب

وفي نقل المسلمين جميعًا ذلك قراءةً، على ما هو به في الخط مرسومًا، أدلُّ الدليل على صحة ذلك وصوابه، وأن لا صنع في ذلك للكاتب

وأما من وجَّه ذلك إلى النصب على وجه المدح لـ"الراسخين في العلم"، = وإن كان ذلك قد يحتمل على بُعدٍ من كلام العرب، لما قد ذكرت قبل من العلة، وهو أن العرب لا تعدِل عن إعراب الاسم المنعوت بنعت في نَعْته إلا بعد تمام خبره. وكلام الله جل ثناؤه أفصح الكلام، فغير جائز توجيهه إلا إلى الذي هو [أولى] به من الفصاحة. وأما توجيه من وجّه ذلك إلى العطف به على"الهاء" و"الميم" في قوله:"لكن الراسخون في العلم منهم"= أو: إلى العطف به على"الكاف" من قوله:"بما أنزل إليك"= أو: إلى"الكاف" من قوله:"وما

أنزل من قبلك"، فإنه أبعد من الفصاحة من نصبه على المدح، لما قد ذكرت قبل من قُبْح ردِّ الظاهر على المكنيّ في الخفض.

وأما توجيه من وجه"المقيمين" إلى"الإقامة"، فإنه دعوى لا برهان عليها من دلالة ظاهر التنزيل، ولا خبر تثبت حجته. وغير جائز نقل ظاهر التنزيل إلى باطن بغير برهان.[١]

وما أحسن قول الزمخشري وهو يردّ على القائلين بانّ في هذه القراءة لحنا ومؤيّداً ما اختاره سيبويه فقال :(المقيمين).

نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع وقد استشهد سيبويه على أمثلة وشواهد ،ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام وذب المطاعن عنه من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يَرْفوه من يلحق بهم [٢] وبالجملة فالراجح في توجيه هذه القراءة هو ما اعتمد عليه سيبويه والقرطبي والزمخشري ، وعليه جمهور المفسّرين ، والله أعلم .

---

[١] جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (٩/ ٣٩١)

[٢] الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري (٦٢٣/١)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المائدة: ٦٩

وقف سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ عند قوله تعالى" وَٱلصَّٰبِـُٔونَ " في هذه الآية الكريمة فاستشعر إشكالا في هذه الكلمة " وَٱلصَّٰبِـُٔونَ " لأ ن ظاهر الأعراب يقتضي أن يقال: "والصابئين"لأنّه في الظاهر معطوف على اسم إنّ كما ورد ذلك في قوله تعالى في سورة الحجّ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾ الحج: ١٧

قرأ الجمهور: " والصَّابئُونَ " بالواو في سورة المائدة ، وكذلك هو في مصاحِفِ الأمْصَار، ووجّه سيبويه هذه القراءة بأنه مرفوعٌ بالابتداء وخبرُه محذوفٌ ؛ لدلالةِ خبر الأول عليه، والنيةُ به التأخيرُ ، والتقديرُ : إنَّ الذينَ آمَنُوا والذينَ هَادُوا مَنْ آمَنَ منهم إلى آخره والصَّابِئُونَ كذلك ، ونحوه: " إنَّ زَيْداً وعمرٌو قائمٌ " ، [أي : إنَّ زَيْداً قائِم وعمرٌو قائمٌ] ، هذا مذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة .[1]

وقد أيّد فخر الدين الرازي مذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة وبيّن النكتة في مخالفة هذه الكلمة " الصابئون " لسائر أخواتها ، فقال رحمه الله تعالى : وقوله تعالى: (والصابئون) ظاهر الإعراب يقتضي أن يقال : والصابئين ، وكذا قراءة أبيّ بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة. وقرأ الجمهور بالرفع.

ومذهب الخليل وسيبويه أنه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التأخير كأنه قيل : إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف

---

[1] انظر : كتاب سيبويه (١٥٨/٢)

عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على من قبلهم هي أن الصابئين أشد الفرق المذكورة في هذه الآية ضلالاً فكأنه قال : كل هؤلاء الفرق إذا آمنوا وأتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون ، فإنهم إذا آمنوا كانوا أيضاً كذلك ، وإنما سموا صابئين ، لأنهم صبئوا عن الأديان كلها ، بمعنى : خرجوا لأنهم صبئوا إلى إتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل من عنده الله.[١]

وأبدى ابنُ كثير في مخالفة هذه الكلمة لأخواتها فائدة أخرى فقال: لما طال الفصل حسن العطف بالرفع[٢]

وقد أطال الزمخشري في نصرة مذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة وكشف عن أسرار بديعة في هذا التعبير الرباني فقال :. فإن قلت فقوله "والصابئون "معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله تعالى : " إن الذين آمنوا ٠٠٠ " الخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فإن قلت ما التقديم والتأخير إلا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على أن الصابئين يتاب عليهم إن صح منهم الإيمانُ والعملُ الصالح فما الظن بغيرهم ،وذلك أن الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدّهم غيّا وما سُمّوا صابئين الا لأنهم صَبئوا عن الأديان كلها[٣]

وقد أورد ابن عادل الحنبلي في توجيه هذه القراءة تسعة أوجه ،اختار منها ما اعتمد عليه سيبويه ، والوجه الثاني : " إنَّ " بمعنى " نَعَمْ " فهي حرفُ جوابٍ ، ولا محلَّ لها حينئذ، وعلى هذا فما بعدها مرفوعُ المحلِّ على الابتداء ، وما بعده معطوفٌ عليه بالرفع ، وخبرُ الجميع قوله : " مَنْ آمَنَ " إلى آخره ، وكونُها بمعنى " نَعَمْ " قولٌ مرجوحٌ ،

وعلى تقدير أنْ تكون بمعنى " نَعَمْ " ، فلا يَصِحُّ هنا جعلُهَا بمعناها ؛ لأنها لم يتقدَّمْها شيءٌ تكونُ جواباً له ، و " نَعَمْ " لا تقعُ ابتداءَ كلامٍ ، إنما تقع جواباً لسؤالٍ ، فتكونُ تصديقاً له.

---

[١] مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي (٤٤/١٢)

[٢] تفسير القرآن العظيم / ابن كثير (١٥٦/٣)

[٣] الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري (٦٩٤/١)

الوجه الثالث: أن يكون معطوفاً على الضَّمير المستكنِّ في " هَادُوا " أي : هَادُوا هم " والصَّابئُونَ ، وهذا قول الكسائيِّ ، و هو خطأٌ لأن الصابئ في هذا القول يشاركُ اليهوديَّ في اليهوديَّة ، وليس كذلك ، فإن الصابئ هو غيرُ اليهوديِّ ،

الوجه الرابع: أنه مرفوعٌ عطفاً على محلِّ اسم " إنَّ " ؛ لأنه قبل دخولها مرفوعٌ بالابتداء ، فلمَّا دخلَتْ عليه ، لم تُغَيِّر معناه ، بل أكدَتْهُ ، غايةُ ما في الباب : أنها عَمِلَتْ فيه لفظاً ، وهذا لا يصحّ أيضاً ؛لأنّ مثل هذا العطف جائز إذا تمّ الخبر ل"إنّ"

الوجه الخامس: أنْ تُضْمِرَ خبرَ " إنَّ " ، وتبتدئ " الصَّابِئُونَ " ، والتقدير : " إنَّ الذينَ آمَنُوا والذين هَادُوا يُرْحَمُونُ " على قول من يقولُ : إنَّهم مسْلِمُونَ ، و " يُعَذَّبُونَ " على قول من يقول : إنهم كفَّار ، فيُحْذَفُ الخبرُ ؛ إذ عُرِف موضِعُه

الوجه السادس: أنَّ " الصَّابِئُونَ " مرفوعٌ بالابتداء ، وخبرُه محذوفٌ ؛ كمذهب سيبويه والخليل ، إلا أنه لا يُنْوى بهذا المبتدأ التأخيرُ ، فالفرقُ بينه وبين مذهب سيبويه نيةُ التأخير وعدمُها ، وهو ضعيفٌ أيضاً ؛ لما يلزمُ من الجَمْع بين الحذفِ والفَصْل

الوجه السابع: أنَّ " الصَّابِئُونَ " منصوبٌ ، وإنما جاء على لغةِ بني الحرثِ وغيرهمُ الذين يَجْعَلون المثنَّى بالألفِ في كل حال ؛ نحو : " رأيْتُ الزَّيْدَانِ ، ومَرَرْتُ بالزَّيْدَانِ " ، وهذا ضعيفٌ ، بل فَاسدٌ .

الوجه الثامن : أنَّ علامة النصب في " الصَّابِئُونَ " فتحةُ النون ، والنونُ حرفُ الإعراب ، كهي في " الزَّيْتُونِ " و " عُرْبُونِ "

الوجه التاسع: رُفع " الصَّابِئُونَ " ؛ لأن " إنَّ " لم يظهر لها عملٌ في " الَّذينَ " فبقي المعطوفُ على رفعه الأصليِّ قبل دخول " إنَّ " على الجملة[1]

وبالجملة فما ذهب إليه سيبويه في توجيه هذه القراءة هو الراجح ، وقد وافقه على ذلك كبار المفسّرين بل لم أر من خالفه في هذا إلا ما كان من ابن عاشور ؛فإنّه تبنّى رأياً آخر يخالف ما اعتمد عليه سيبويه فقال :

---

[1] هذا خلاصة ما جاء في (اللباب في علوم الكتاب) ابن عادل الحنبلي (٧/ ٤٤٣)

فالّذي أراه أن يجعل خبر (إنّ) محذوفاً . وحذفُ خبر (إنّ) وارد في الكلام الفصيح غير قليل ، كما ذكر سيبويه في (كتابه) . وقد دلّ على الخبر ما ذكر بعده من قوله: (فلا خوف عليهم إلخ . ويكون قوله: (والّذين هادوا (عطفَ جملة على جملة ، فيجعل (الّذين هادوا) مبتدأ، ولذلك حقّ رفع ما عُطف عليه، وهو (والصابُون). وهذا أولى من جعل (والصابون) مَبْدأ الجملة وتقدير خبر له، أي والصابون كذلك، كما ذهب إليه الأكثرون لأنّ ذلك يفضي إلى اختلاف المتعاطفات في الحكم وتشتيتها مع إمكان التفصّي عن ذلك، ويكون قوله: (من آمن بالله مبتدأ ثانياً، وتكون (من) موصولة ، والرّابط للجملة بالّتي قبلها محذوفاً، أي من آمن منهم ، وجملة (فلا خوف عليهم) خبراً عن (مَن) الموصولة ، واقترانها بالفاء لأنّ الموصول شبيه بالشرط . وذلك كثير في الكلام . [1]

([1]) التحرير والتنوير/ ابن عاشوراء (٢٢٦/٦).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ المائدة: ٣٨

قدّمنا الكلام في هذه الآية في الفصل الثالث (الآيات المشكلة تفسيرها وإعرابها عند سيبويه) والكلام هنا يتعلق بالقراءات الواردة فيها

قال سيبويه في هذه الآية: « الوجهُ في كلامِ العربِ النصبُ، كما تقول : » زيداً فاضربه « ولكن أبَت العامةُ إلا الرفعَ »[1]

ذكر سيبويه في هذا النصّ أنّ في هذه الآية قراءتين، أحدهما: قراءة الجمهور بالرفع، ويعني سيبويه بقوله : "العامة" جمهور القراء .

والثانية : قراءة عيسى بن عمر بالنصب .

فأمَّا قراءةُ الجمهورِ ففيها وجهان، أحدُهما- وهو مذهبُ سيبويه - أنَّ « السارقُ » مبتدأ محذوفُ الخبر، تقديره : « فيما يتلى عليكم - أو فيما فُرِضَ - » السارقُ « والسارقة ، أي حكمُ السارق ، ويكون قولُه : » فاقْطَعُوا « بياناً لذلك الحكمِ المقدَّر.

وإنما اختار سيبويه أنَّ خبرَه محذوف كما تقدَّم تقديرُه دون الجملة الطلبية بعده لوجهين، أحدُهما: أنَّ النصبَ في مثله هو الوجه في كلام العرب نحو: « زيداً فاضربه » لأجل الأمر بعده، ولذلك قال سيبويه في هذه الآية: « الوجهُ في كلامِ العربِ النصبُ ، كما تقول: » زيداً فاضربه « ولكن أبَت العامةُ إلا الرفعَ » والثاني : دخولُ الفاءِ في خبره ، وعنده أن الفاءَ لا تدخلُ إلا في خبر الموصول الصريح كالذي.

أمَّا قراءةُ عيسى بن عمر فالنصبُ بفعلٍ مضمر يفسِّره العامل في سببِّيهما نحو: « زيداً فأكرم أخاه » والتقدير : فعاقبوا السارق والسارقة ، تقدِّره فعلاً من معناها نحو : « زيداً ضربْتُ غلامه » أي : أهنتُ زيداً ، ويجوز أن يقدَّرَ العاملُ موافقاً لفظاً لأنه يُساغ أنْ يقال : « قطعت السارق » وهذه قراءةٌ واضحةٌ لمكانِ الأمر بعد الاسم المشتغل عنه .

---

[1] كتاب سيبويه (١٩٦/١)

وقد لقي كلامُ سيبويه هذا نقدا عنيفاً من بعض المفسّرين ، واتهموه بأنّه يطعن في قراءة الجمهور المتواترة ، ويفضّل عليها قراءة النصب الشاذة.

من هؤلاء فخر الدين الرازي، » يقول : رحمه الله تعالى الذي ذهبَ إليه سيبويه ليس بشيء، ويدلُّ على فساده وجوهٌ ، الأول: أنه طعن في القراءة المتواترة المنقولةِ عن الرسول وعن أعلام الأمة، وذلك باطلٌ قطعاً، فإن قال سيبويه: لا أقول إن القراءة بالرفع غير جائزة، ولكني أقول: القراءةُ بالنصب أوْلى ، فنقول : رديء أيضاً لأنَّ ترجيحَ قراءةٍ لم يقرأ بها إلا عيسى بن عمر على قراءةِ الرسول وجميع الأمة في عهد الصحابة والتابعين أمرٌ منكرٌ وكلامٌ مردودٌ . الثاني : لو كانت القراءةُ بالنصبِ أوْلى لوجَبَ أن يكونَ في القراء مَنْ يقرأ { واللذان يأتيانِها منكم فآذوهما } بالنصب، ولمَّا لم يوجد في القُرَّاء مَنْ يقرأ كذلك عَلِمْنا سقوط هذه القول . الثالث : أنَّا إذا جعلنا « السارق والسارقة » مبتدأ وخبرُه مضمرٌ وهو الذي يقدِّره : « فيما يتلى عليكم » بقي شيء آخر تتعلَّق به الفاء في قوله : { فاقطعوا } فإنْ قال: الفاء تتعلق بالفعل الذي دلَّ عليه قولُه : « والسارق والسارقة » يعني أنه إذا أتى بالسرقة فاقطعوا يده ، فنقول : إذا احتجت في آخر الأمر [أن تقول : السارق والسارقة تقديرُه : مَنْ سرق ، فاذكر هذا أولاً حتى لا تحتاج إلى الإضمار الذي ذكرته .

الرابع: أنَّا إذا اختَرْنا القراءة بالنصب لم تدلَّ على أنَّ السرقة علةٌ لوجوب القطع، وإذا اخترنا القراءةَ بالرفع أفادت الآيةُ هذا المعنى، ثم إنَّ هذا المعنى متأكدٌ بقوله: { جَزَآءً بِمَا كَسَبَا } فثبت أنَّ القراءةَ بالرفع أوْلى. الخامس: أن سيبويه قال: « وهم يقدِّمون الأهمَّ والذي هم ببيانِه أعْنى » فالقراءةُ بالرفع تقتضي تقديمَ ذِكْرِ كونه سارقاً على ذِكْرِ وجوب القطع ، وهذا يقتضي أن يكون أكبر العناية مصروفاً إلى شرح ما يتعلق بحال السارق من حيث إنه سارق، وأما القراءة بالنصب فإنها تقتضي أن تكونَ العنايةُ بيان القطع أتمَّ من العناية بكونه سارقاً، ومعلوم أنه ليس كذلك فإن المقصود في هذه الآية تقبيحُ السرقة والمبالغةُ في الزجر عنها، فثبت أن القراءة بالرفع هي المتعينة « انتهى ردُّ الفخر الرازي على إمام الصناعة [1]. وقد

---

[1] مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي (١٧٦/١١)

أطال ابن عادل الحنبلي في نصرة مذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة وردِّ كلام الفخر هذا فقال: والجوابُ عن الوجه الأول وفي نقله تفضيلَ النصب على قراءة العامة نظر، ويظهر ذلك بنصِّ سيبويه، قال سيبويه : » الوجه في كلام العرب النصبُ كما تقول: « زيداً اضربه» ولكن أبت العامة إلا الرفعَ « وليس في هذا ما يقتضي تفضيلَ النصب ، بل معنى كلامه أن هذه الآية ليست في الاشتغال في شيء ، إذ لو كانت من باب الاشتغال لكن الوجهُ النصبَ، ولكن لم يَقْرأها الجمهورُ إلا بالرفع ، فدلَّ على أن الآية محمولةٌ على كلامَيْن كما تقدَّم ، لا على كلامٍ واحدٍ ، وهذا ظاهرٌ كيف يكونُ طاعناً في الرفع؟ وقولُه : « فإنْ قال سيبويه إلى آخره » فسيبويه لا يقول ذلك، وكيف يقوله وقد رجَّح الرفعَ بما أوضحته، وقوله: « لم يقرأ بها إلا عيسى » ليس كما زعم ، بل قرأ بها جماعة كإبراهيم ابن أبي عبلة، وأيضاً فهؤلاء لم يَقْرَؤُوها من تلْقاء أنفسِهم ، بل نقلوها إلى أن تتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم، غايةُ ما في الباب أنها ليست في شهرة الأولى. وعن الثاني: أن سيبويه لم يَدَّعِ ترجيحَ النصبِ حتى يُلْزمَ بما قاله ، بل خَرَّج قراءة العامة على جملتين ، لِما ذكرت لك فيما تقدم من دخول الفاء ، ولذلك لمَّا مَثَّل سيبويه جملة الأمرِ والنهي بعد الاسمِ مثَّلهما عاريتين من الفاء ، قال: « وذلك قولك : » زيداً اضربْه « » وعمراً امرُرْ به « وعن الثالث : ما تقدم من الحكمةِ المقتضية للمجيء بالفاء وكونها رابطة للحكم بما قبله ، وعن الرابع : بالمنع أن يكون بين الرفع والنصب فَرْقٌ بأنَّ الرفعَ يقتضي العلة ، والنصبَ لا يقتضيه ، وذلك أن الآية من باب التعليل بالوصفِ المُرَتَّب عليه الحكمُ ، ألا ترى أن قولك : » اقطع السارق « يفيد العلة، أي : إنه جَعَلَ علةَ القطعِ اتصافَه بالسرقةِ ، فهذا يشعر بالعلةِ مع التصريح بالنصبِ ، وعن الخامس : إنهم يُقَدِّمون الأهمَّ حيث اختلفت النسبَةُ الإسناديةُ كالفاعِلِ مع المفعولِ [1] .

ومن الذين نقدوا مذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة أبو القاسم الزمخشري ، وردّ عليه أيضاً ابن عادل الحنبلي كما ردّ على الفخر الرازي [2]

---

[1] انظر : اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٣٢١/٧)

[2] المرجع نفسه/ نفس الجزء والصفحة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ النساء: ٢٩

اختلف القرّاء في قراءة هذه الكلمة" تِجَٰرَةً" فقرأ عاصم وحمزة والكسائي بالنصب، والباقون بالرفع[١]

وقف سيبويه عند هذه الآية الكريمة فذكر أنّه ورد في هذه الكلمة "تجارة " قراءتان الرفع والنصب، ووجّه قراءة النصب بأنّ " تكون" ناقصة، واسمها ضمير مستتر، و"تجارة" منصوبة لكونها خبر " تكون " ووجّه قراءة الرفع بأنّ " تكون " تامّة بمعنى إلا أن تقع أو تحدث تجارة ، و" تجارة " مرفوعة بكونها فاعل " تكون " وفضّل سيبويه قراءة الرفع على قراءة النصب لكون قراءة الرفع لا تحتاج إلى إضمار ولا تقدير[٢]

فالحاصل من كلام سيبويه أنّ قراءة الكوفيين (عاصم وحمزة والكسائي) بالنصب، لا بد من تقدير (اسم كان) فيكون : إلا أن تكون الأموال تجارة، أو إلا أن تكون المعاملة تجارة، أو نحو ذلك من التقديرات.

أما على قراءة الباقين (بالرفع)، فلا حاجة لتقدير (اسم كان) فالمعنى: إلا إن حصلت تجارة عن تراض منكم، أو وقعت تجارة، فـ(كان) التامة بمعنى وجد أو حدث أو حصل، ومثلها في القرآن الكريم كثيرا جدا.

وقد اعتمد جمهور المفسّرين على ترجيح سيبويه لقراءة الرفع فمنهم فخر الدين الرازي حيث يقول :قوله تعالى :{إلا أن تَكُونَ تِجَـارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ } وفيه مسائل :

المسألة الأولى: قرأ عاصم وحمزة والكسائي : {تِجَـارَةً} بالنصب ، والباقون بالرفع. أما من نصب فعلى "كان" الناقصة ، والتقدير : إلا أن تكون التجارة تجارة ، وأما من رفع فعلى "كان" التامة، والتقدير: إلا أن توجد وتحصل تجارة. وقال الواحدي: والاختيار الرفع ، لأن

---

[١] انظر : تحبير التيسير / ابن الجزري(١/ ٣٣٨)

[٢] انظر : كتاب سيبويه (١/ ١٦١)

من نصب أضمر التجارة فقال تقديره إلا أن تكون التجارة تجارة والإضمار قبل الذكر ليس بقوى وإن كان جائزا. [1]

وقد خالف الطبري سيبويه وجمهور المفسّرين فرجّح قراءة النصب على قراءة الرفع خلافاً لما ذهب إليه سيبويه وجمهور المفسّرين، حيث يقول :

فقرأها بعضهم: (إلا أنْ تَكُونَ تِجَارَةً) رفعًا، بمعنى: إلا أن توجد تجارة، أو: تقع تجارة، عن تراض منكم، فيحل لكم أكلها حينئذ بذلك المعنى. ومذهب من قرأ ذلك على هذا الوجه:"ألا أن تكون" تامةٌ ههنا، لا حاجة بها إلى خَبر، على ما وصفت. وبهذه القراءة قرأ أكثر أهل الحجاز وأهل البصرة.

وقرأ ذلك آخرون، وهم عامة قراءة الكوفيين:(إلا أنْ تَكُونَ تِجَارَةً) ، نصبًا، بمعنى: إلا أن تكونَ الأموال التي تأكلونها بينكم، تجارةً عن تراض

قال أبو جعفر: وكلتا القراءتين عندنا صوابٌ جائزةٌ القراءةُ بهما، لاستفاضتهما في قرأة الأمصار، مع تقارب معانيهما. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن قراءة ذلك بالنصب، أعجبُ إليّ من قراءته بالرفع، لقوة النصب من وجهين:

أحدهما: أن في"تكون" ذكر من الأموال. والآخر: أنه لو لم يجعل فيها ذكر منها، ثم أفردت بـ "التجارة"، وهي نكرة، كان فصيحًا في كلام العرب النصبُ، إذ كانت مبنيةً على اسم وخبر. فإذا لم يظهر معها إلا نكرة واحدة، نصبوا ورفعوا. [2]

ويرى الباحث أنّ الراجح هو ما ذهب إليه سيبويه في ترجيح قراءة الرفع على قراءة النصب لأنّه معلوم أن (كان) التامة تكتفي بمرفوعها، بخلاف (كان) الناقصة التي ترفع المبتدأ، ويكون اسمَها، وتنصب الخبر وهو خبرها.ولا فرق من حيث المعنى بين القراءتين--

---

([1]) مفاتيح الغيب / الفخر الرازي (١٠/ ٥٧).

([2]) جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (٢٢٦/٨)

إلا أنّ قراءة الرفع التي لا حاجة فيها لتقدير محذوف أقوى من ناحية بلاغية من قراءة النصب التي نحتاج فيها لتقدير محذوف هو "إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض" .[1]

[1] ولا لوم على سيبويه في تفضيل قراءة على أخرى بجعل هذه أفصح من تلك استنادا إلى قلة الناطقين باللغة التي جاءت عليها فمثل هذا الحكم بالتفضيل جائز عند القراء أنفسهم كما صرح بذلك أبو نصر القشيري حيث قال : فما ثبت بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز أن يقال : هو خطأ أو قبيح بل في القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، وقد وفى ابن عاشور لهذه المسألة حقها في مقدمة تفسيره فقال : (ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة، قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة، وهو تمايز متقارب، وقل أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحانا، على أن كثيرا من العلماء كان لا يرى مانعا من ترجيح قراءة على غيرها،ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري، والعلامة الزمخشري وفي أكثر ما رجح به نظر سنذكره في مواضعه، وقد سئل ابن رشد عما يقع في كتب المفسرين والمعربين من اختيار إحدى القراءتين المتواترتين وقولهم هذه القراءة أحسن: أذاك صحيح أم لا؟ فأجاب: أما ما سألت عنه مما يقع في كتب المفسرين والمعربين من تحسين بعض القراءات واختيارها على بعض لكونها أظهر من جهة الإعراب، وأصح في النقل، وأيسر في اللفظ فلا ينكر ذلك، كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا أي بالأندلس فكان الإمام في الجامع لا يقرأ إلا بها لما فيها من تسهيل النبرات وترك تحقيقها في جميع المواضع، وقد تؤول ذلك فيما روى عن مالك من كراهية النبر في القرآن في الصلاة. (يعنى بالنبر هنا إظهار الهمزة في كل موضع على الأصل فكره ذلك واستحب فيه التسهيل على رواية ورش،) انظر : مقدّمة التحرير والتنوير / ابن عاشور (٨٦/٢)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنعام: ٢٣

وقف سيبويه عند هذه الآية الكريمة عند قوله تعالى:{ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ } فذكر أن القرّاء اختلفوا في قراءتها، وأنّ بعضهم قرأ بتاء المضارعة ونصب قوله تعالى ، " فِتنتَهم "، فوجّه سيبويه هذه القراءة بأنّ " كان" ناقصة ، واسمها المصدر المسبوك من "أن " وما بعدها ، والخبر مقدّم ــ وهو قوله تعالى ـ { فتنتهم}وهذه القراءةُ فيها لِحَاقُ علامَةِ تأنيث في الفعل مع تذكير الفاعل ، ولكن سيبويه ذكر أنّه بتأويل قوله تعالى " إلاَّ أنْ قالوا " في قوة" مقالتهم" أو لأنه هو الفِتْنَةُ في المعنى، وإذا أخبر عن الشَّيءِ بمؤنَّثٍ اكتسب تأنيثاً ، فعومل مُعامَلتهُ و " أن قالوا " يشبه المضمر، والمضمر أعرف المعارف ، وهذه القراءة جُعِلَ الأعرفُ فيها اسْماً ل " كان " وغير الأعرافِ خبرها ، وهذا هو الأصل في اللغة العربيّة. واستشهد سيبويه على هذه القراءة بقول الشاعر: وتشرق بالقَوْلِ الَّذِي قَدْ أذَعْتَه كمَا شَرَقَتْ صَدْرُ القَناةِ مِنَ الدَّم [1] وهذه القراءة التي وجّهها سيبويه هي قراءة الجمهور[2] وقد مشى ابن عادل على توجيه سيبويه لهذه القراءة ؛فإنّه قال في توجيهها: ووجه اتّصال الفعل بعلامة مضارعة للمؤنّث على قراءة نصب (فتنتهم) هو أنّ فاعله مؤنَّث تقديراً ، لأنّ القول المنسبك من (أن) وصلتها من جملة الفتنة على أحد التأويلين . قال أبو علي الفارسي: وذلك نظير التأنيث في اسم العدد في قوله تعالى: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لأنّ

---

[1] انظر: كتاب سيبويه (٩٢/١)و البيت لأعشى بن قيس بن ثعلبة (لسان العرب / ابن منظور٤/٤٤٥٠ شرق) قال: شرق الشيء شرقًا، فه و شرق: اشتدت حمرته بدم، أو بحسن لون أحمر، قال الأعشى: "وتشرق بالقول.." البيت. والبيت هو الرابع والثلاثون من قصيدة في ديوانه (طبع القاهرة ص ١٢١) يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر ليهاجيه. قال شارح الديوان: "وحتى تشرق بما أذعنت من قول، كما يشرق مقدم الرمح بالدم". وصدر القناة: أعلاها. والشاهد في البيت أنه أنث الفعل شرق بالتاء، مع أن فاعله وهو "صدر" مذكر. ولكنه لما أضيف إلى القناة وهي مؤنثة، فكأنه جعل الفعل للقناة لا لصدرها.

[2] انظر : اللباب في علوم القرآن / ابن عادل الحنبلي (٨/ ٧٢)

الأمثال لمّا كانت في معنى الحسنات أنّث اسم عددها[1] وصنع ابن عطية أيضاً صنيع سيبويه في توجيهه لهذه القراءة فقال : وفي هذه القراءة تأنيث " أن قالوا " وساغ ذلك من حيث كان الفتنة في المعنى وهذا كقوله تعالى " فله عشر أمثالها " فأنت الأمثال لما كانت الحسنات بالمعنى[2] وهذه قراءة متواترة وجّهها سيبويه ومن تبعه من المفسّرين على أحسن وجه كما ذكرناه آنفاً ولكنّ الطبري لم يحالفه الصواب في توجيه هذه القراءة حيث خالف جميع المفسّرين ووصف هذه القراءة بالشذوذ وأنّها غير فصيحة فقال : وقرأ بعض الكوفيين:(ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ) بالتاء، بالنصب، بمعنى: لم يكن اختبارَنا لهم إلا قيلُهم "والله ربنا ما كنا مشركين" = غير أنهم يقرءون"تكن" بالتاء على التأنيث. وإن كانت للقول لا للفتنة، لمجاورته الفتنة، وهي خبر. وذلك عند أهل العربية شاذٌ غير فصيح في الكلام.

ثم ذهب الطبري يوضّح رأيه الأخير في هذه القراءة فيقول: وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين: (ثُمَّ لَمْ يَكُنْ) بالياء، (فِتْنَتَهُمْ) بالنصب،(إلا أنْ قَالُوا)، بنحو المعنى الذي قصده الآخرون الذين ذكرنا قراءتهم.غير أنهم ذكَّروا"يكون" لتذكير"أن قالوا".

قال أبو جعفر: وهذه القراءة عندنا أولى القراءتين بالصواب، لأن"أنْ" أثبت في المعرفة من"الفتنة"[3]. وابن عادل الحنبلي وإن وافق الطبري في تفضيله قراءة حمزة والكسائي لكنّه لم يصف القراءة المتواترة بالشذوذ حيث قال :

فأمَّا قراءة الأخويْنِ فهي أفْصَحُ هذه القراءات لإجرائِهَا على القواعد من غير تأويل ، وَوَجْهُهَا أنَّ " فتنتهم " خبر مقدَّمٌ ، وإن قالوا بتاويل اسم مؤخر .

---

(1) المرجع السابق / نفس الجزء والصفحة .

(2) المحرر الوجيز / ابن عطية (٢/٢٢٦).

(3))جامع البيان في تأويل القرآن / الطبري (١١/٢٩٧)

والتقدير: " ثم لم تكن فِتْنَتهُمْ إلاَّ قولُهم " . وإنما كانت أفصح ؛ لأنه إذا اجتمع اسْمَانِ : أحدهما أعرفُ، فالأحْسْنُ جعله اسماً مُحَدَّثاً عنه ، والآخر خَبَراً حديثاً عنه[1]

وفي الآية قراءات أخرى لم يتعرّض لها سيبويه، منها ما قرأ ه بن كثير، وابن عامر، وحفص عن عاصم: " تَكُنْ " بالتاء من فوق فَتْنَتُهُمْ " رفعاً . وأما قراءة ابن كثير ومن معه فوجّهها ابن عادل بأنّ " فتنتهم " اسْمُهَا ، ولذلك أنّثَ الفِعلُ لإسناده إلى مؤنّثُ، و"إلاَّ أنْ قالوا " خَبَرُهَا ،ثمّ ذهب ابن عادل يقارن بين القراءتين فيرجّح القراءة الأولى التي ذكرها سيبويه بقوله : وفي قراءة ابن كثير ومن معه أنك جعلت غير الأعرف اسماً والأعرف خبراً ، فليست في قُوَّةِ الأولى[2] .

وقد لخّص القرطبي القراءات في هذه الآية ووجّه القراءة التي ذكرها سيبويه مثل توجيه سيبويه بقوله : ثم قيل في قوله تعالى : {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} خمس قراءات : قرأ حمزة والكسائي {يَكُنْ} بالياء {فتنتهم} بالنصب خبر {يَكُنْ} {إلاَّ أنْ قَالُوا} اسمها أي إلا قولهم ؛ فهذه قراءة بينة. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو {تَكُنْ} بالتاء {فِتْنَتُهُمْ} بالنصب {إلاَّ أنْ قَالُوا} أي إلا مقالتهم. وقرأ أبي وابن مسعود "وما كان - بدل قوله {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ} - فِتْنَتُهُمْ إلا أن قالوا". وقرأ ابن عامر وعاصم من رواية حفص، والأعمش من رواية المفضل ، والحسن وقتادة وغيرهم {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ} بالتاء {فِتْنَتُهُمْ} بالرفع اسم {تَكُنْ} والخبر {إلاَّ أنْ قَالُوا} فهذه أربع قراءات. الخامسة : {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ} بالياء {فِتْنَتُهُمْ} ؛ رفع ويذكر الفتنة لأنها بمعنى الفتون،[3]

---

(1) اللباب في علوم القرآن / ابن عادل الحنبلي (٧٢/٨).
(2) اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل (٧٣/٨).
(3) الجامع لأحكام القرآن (٤٠٣/٦).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ ﴾ هود: ١١١

وقف سيبويه عند هذه الآية الكريمة ، فذكر أنّ بعض من سمّاهم بأهل المدينة قرأها بتخفيف "إنّ" و"لما" ونصب "كُلًّا" فقال رحمه الله تعالى : وحدّثنا من نثق به، أنه سمع من العرب من يقول: إن عمراً لمنطلقٌ. وأهل المدينة يقرءون: " وإنْ كُلاً لما ليوفينّهم ربُّك أعمالَهم " يخففون وينصبون، كما قالوا:" كأن ثدييه حُقّانِ" وذلك لأن الحرف بمنزلة الفعل، فلما حُذف من نفسه شيء لم يغيَّر عملُه كما لم يغيَّر عملُ لم يكُ ولم أُبَل حين حُذف[1]

ذهب سيبويه في توجيه هذه القراءة (وهي قراءة نافع وابن كثير)أنّ الحجة لمن خفف "إنّ "أنه جعلها مخففة من المثقلة فأعملها عمل المثقلة ، فنصبت الاسم "كُلًّا" لأنها مشبهة بالفعل ووجهُه مِن القياس أنَّ « إنْ » مُشْبِهَةٌ في نصبها بالفعل ، والفعلُ يعمل وقد حذف منه حرفٌ كما يَعْمل غيرَ محذوف نحو : « لم يكُ زيدٌ منطلقاً » { فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ } [هود : ١٠٩] وكذلك لم أدْرِ وكقولك" سل زيدا" أو" قل الحق" فكانت "إن " بهذه المثابة ، ففي هذه القراءة إعمال إنْ المخففة ، وهي لغة ثانية عن العرب . وفي ذلك يقول سيبويه : « حَدَّثنا مَنْ نثق به أنه سَمع مِن العرب مَنْ يقول : » إنْ عمراً لمنطلقٌ « كما قال الشاعر : . . . . . .

. . . . . كأن ثَدْيَيْهِ حُقَّانِ [2]

وقد استحسن كبار المفسّرين توجيه سيبويه لهذه القراءة ومنهم القرطبي حيث نقل عبارة سيبويه في هذا التوجيه وردّ الكسائي الذي هاجم على هذه القراءة وردّ أيضاً الفراء الذي خالف سيبويه في هذا التوجيه فقال : قوله تعالى : {وَإِنَّ كُلّاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ} أي

---

[1] كتاب سيبويه (١١٩/١)

[2] هذا بيتٌ من الهزج، احتجّ به سيبويه في كتابه، ولم ينسبه لأحد؛ ولم يقف الباحث على قائله ،والشّاهدُ فيه: (كَأَنْ ثدييه حُقّان) حيث خفّفت (كأنّ) وبقي عملها، وحذف اسمها، ووقع خبرها جملة اسميّة؛ ويُروى: (كأن ثدياه حُقّان) على الإهمال.يُنظر هذا البيتُ في: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/عبد القادر البغدادي (٣٩٨/١٠)

إن كلا من الأمم التي عددناهم يرون جزاء أعمالهم ؛ فكذلك قومك يا محمد. واختلف القراء في قراءة {{وَإِنَّ كُلاً لَمَّا} فقرأ أهل الحرمين - نافع وابن كثير وأبو بكر معهم - "وإنْ كلا لَمَا" بالتخفيف ، على أنها "إن" المخففة من الثقيلة معملة ؛ وقد ذكر هذا الخليل وسيبويه ، قال سيبويه : حدثنا من أثق به أنه سمع العرب تقول : إن زيدا لمنطلق ؛ وأنشد قول الشاعر:[1]

.....كأنْ ظبية تعطو إلى وارق السلم، أراد كأنها ظبية فخفف ونصب ما بعدها ؛ والبصريون يجوزون تخفيف "إن" المشددة مع إعمالها ؛ وأنكر ذلك الكسائي وقال : ما أدري على أي شيء قرئ "وإن كلا"! وزعم الفراء أنه نصب "كلا" في قراءة من خفف بقوله : "ليوفينهم" أي وإن ليوفينهم كلا ؛ وأنكر ذلك جميع النحويين ، وقالوا : هذا من كبير الغلط ؛ لا يجوز عند أحد زيدا لأضربنه [2] والطبري أيضاً اعتمد على ما ذهب إليه سيبويه في توجيه هذه القراءة ، وعرّض بنقد توجيه الفراء وفي ذلك يقول : وقرأ ذلك بعض المدنيين بتخفيف:(إنْ) ونصب(كُلا)، وتخفيف(لَمَا) ،وقد يحتمل أن يكون قارئ ذلك كذلك، قصدَ المعنى الذي حكيناه عن قارئ الكوفة من تخفيفه نون "إن" وهو يريد تشديدها، ويريد ب"ما" التي في "لما" التي تدخل في الكلام صلة، وأن يكون قَصَد إلى تحميل الكلام معنى: وإنّ كلا ليوفينهم ،ويجوز أن يكون معناه كان في قراءته ذلك كذلك: وإنّ كُلا ليوفينهم ، أي : ليوفين كُلا = فيكون نيته في نصب "كل" كانت بقوله: "ليوفينهم"، فإن كان ذلك أراد ، ففيه من القبح ما ذكرت من خلافه كلام العرب. وذلك أنها لا تنصب بفعل بعد لام اليمين اسمًا قبلها.[3]

---

[1] هذا عجز بيت وصدره ــ

ويوماً توافينا بوجهٍ مقسم .قوله" تعطو"، أي تتناول، يقال: عطا يعطو إذا تناول، وأعطيته أنا، أي ناولته، والسلم: شجر بعينه كثير الشوك، فإذا أرادوا أن يحتطبوه شدوه، ثم قطعوه والمقسم : الوجه الحسن ، يقال :وجهٌ قسيمٌ ومقسمٌ، أي حسن . انظر : الكامل في اللغة والأدب / محمد بن يزيد المبرد (٧١/١)

[2] الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (١٠٤/٩)

[3] جامع البيان في تاويل القرآن / الطبري (٤٩٤/١٥)

ومن الذين أيّدوا توجيه سيبويه لهذه القراءة ابن عاشور فذكر أنّ الحق هو ما ذهب إليه سيبويه وأستاذه الخليل ، وفي ذلك يقول : قوله تعالى : (وَإِنَّ كُلاً لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) الواو اعتراضية . و (إنْ) مخفّفة من (إنّ) الثّقيلة في قراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي بكر عن عاصم ، وأعملت في اسمها فانتصب ما بعدها . و (إنْ) المخففة إذا وقعت بعدها جملة اسمية يكثر إعمالها ويكثر إهمالها قاله الخليل وسيبويه ونحاة البصرة وهو الحق . [1]

هذا وإنّ الإمام سيبويه اقتصر في توجيهه لهذه الآية على قراءة نافع وابن كثير ، ولم يوجّه القراءات الباقية الواردة في هذه الآية الكريمة ، فمنها قراءة ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم شدَّدُوا " إنَّ " و " لمَّا " معاً فيكون لفظ (كلاً) منصوباً ب(إنّ) "وأمَّا " لما " في هذه القراءة فاللاَّمُ فيها هي لامُ " إنْ " الدَّاخلةُ في الخبر ، " ومَا " يجوز أن تكون موصولة بمعنى " الذي " واقعةً على ما يعقلُ ، كقوله تعالى : (فَا انكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَآءِ) [النساء : ٣] ، فأوقع " ما " على العاقل ، واللاَّمُ في " لَيُوَفِّيَنَّهُمْ " جوابُ قسم مضمر ، والجملةُ من القسم وجوابه صلةٌ للموصول ، والتقديرُ : وإن كلاً للذين والله لَيُوَفِّيَنَّهُمْ، ويجوز أن تكون " ما " نكرةً موصوفة ، والجملة القسمية وجوابها صفةٌ ل " ما " والتقدير وإنْ كلاً لخلقٌ أو لفريقٌ والله ليوفيَّهم . والموصولُ وصلته أو الموصوفُ وصفته خبرٌ ل " إنْ " [2]

ومن القراءات التي في هذه الآية ولم يوجّهها سيبويه قراءة أبي عمرو والكسائي وهي التي وصفها الطبري بأنّها أصحّ القراءات ، فإنهما شددا " إنَّ " وخففا " لما " وفي ذلك يقول الطبري :

قال أبو جعفر : وأصحّ هذه القراءات مخرجًا على كلام العرب المستفيض فيهم ، قراءةُ من قرأ: "وَإنَّ" بتشديد نونها، "كُلا لَمَا" بتخفيف "ما"(لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ) ، بمعنى: وإن كل هؤلاء

---

(1) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٧٣/١٢).

(2)انظر : اللباب في علوم الكتاب/ ابن عادل الحنبلي (٥٧٧/١٠)

الذين قصَصنَا عليك ، يا محمد ، قصصهم في هذه السورة، لمن ليوفينهم ربك أعمالهم ، بالصالح منها بالجزيل من الثواب، وبالطالح منها بالشديد من العقاب = فتكون "ما" بمعنى "مَن" واللام التي فيها جوابًا ل"إنّ" ، واللام في قوله تعالى :(ليوفينهم) ، لامُ قسم[1] وقد أطال الباحث النفَس بعض الإطالة في هذه الآية لما في توجيه قراءاتها من صعوبات ، حتى قال فيها ابن عادل الحنبلي: هذه الآية الكريمة ممَّا تكلم النَّاس فيها قديما وحديثاً ، وعسر على أكثرهم تلفيقها وتخريجهاً ، وقد اضطرب الناسُ فيه اضطراباً كثيراً، حتى قال أبو شامة [2] وأمّا هذه الآية فمعناها على هذه القراءات من أشكل الآيات . [3]

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن/ الطبري (١٥/ ٥٩٥).

([2])أبو شامة) هوعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة: ولد ٥٥٩هـ وتوفي ٦٦٥هـ مؤرخ، محدث، باحث ،أصله من القدس، ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته.ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودخل عليه اثنان في صورة مستفتيين فضرباه، فمرض ومات. له (كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية) و (ذيل الروضتين – انظر : بغية الوعاة / السيوطي (٢٢٩/٢)

([3])اللباب في علوم الكتاب / ابن عادل الحنبلي (٥٧٦/١٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ ﴾ الأنعام: ٨٠

ذكر سيبويه أنّ القرّاء اختلفوا في قراءة هذه الآية الكريمة وأنّ بعض القراء قرأ بحذف إحدى النّونين من هذه الكلمة " أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي " ولم يسمّ سيبويه كعادته القارئ بحذف النون فقال - رحمه الله تعالى-.

تحذف نون الرفع لأنَّك ضاعفت النون، وهم يستثقلون التضعيف، فحذفوها إذ كانت تحذف، بلغنا أن بعض القراء قرأ أتحاجّوني وهي قراءة أهل المدينة؛ وذلك لأنهم استثقلوا التضعيف[1]

هذه القراءة التي ذكرها سيبويه هي قراءة نافع ، قرأها بتخفيف النون، وقرأها الباقون بالتشديد، فوجّه سيبويه قراءة النافع بأنه حذفت إحدى النونين من هذه الكلمة استخفافاً، فالنون الأولى نون الرفع في الأمثلة الخمسة، والثانية نون الوقاية، استثقل اجتماعهما وهذه لغة ثابتة عن العرب، وهذا مما يدلّ على أنّ سيبويه يحترم القراءات ويروم لها توجيها ملائما لها، خلافاً لبعض القرّاء الذين لحّنوا هذه القراءة كأبي عمرو بن العلاء البصري الذي لم يجد لها توجيهاً إلا أن يلحّنها .

وقد أيّد المفسّرون توجيه سيبويه لهذه القراءة منهم القرطبي حيث قال :

{قال قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ} قرأ نافع بتخفيف النون ، وشدد النون الباقون. وفيه عن ابن عامر من رواية هشام عنه خلاف ؛ فمن شدد قال: الأصل فيه نونان ، الأولى علامة الرفع والثانية فاصلة بين الفعل والياء ؛ فلما اجتمع مثلان في فعل وذلك ثقيل أدغم النون في الأخرى فوقع التشديد ولا بد من مد الواو لئلا يلتقي الساكنان ، الواو وأول المشدد ؛ فصارت المدة فاصلة بين الساكنين. ومن خفف حذف النون الثانية استخفافا لاجتماع المثلين ، ولم تحذف الأولى لأنها علامة الرفع ؛ فلو حذفت لاشتبه المرفوع بالمجزوم والمنصوب. وحكي

---

[1] كتاب سيبويه (٣/٤)

عن أبي عمرو بن العلاء أن هذه القراءة لحن. وأجاز سيبويه ذلك فقال : استثقلوا التضعيف. وأنشد :

تـــــراه كالثغـام يعـــل مسـكاً *** يســـوء الفاليـات إذا فليـني [1]

ومنهم أبو حيان فقد اقتفى أثر سيبويه في تخريجه لهذه القراءة وهاجم الذين لحّنوها فقال: وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام) أُتُحَاجُّونّى (بتخفيف النون وأصله بنونين الأولى علامة الرفع والثانية نون الوقاية والخلاف في المحذوف منهما مذكور في علم النحو، وقد لحن بعض النحويين من قرأ بالتخفيف وأخطأ في ذلك.

وقال مكي[2]: الحذف بعيد في العربية قبيح مكروه وإنما يجوز في الشعر للوزن والقرآن لا يحتمل ذلك فيه إذ لا ضرورة تدعو إليه وقول مكي ليس بالمرتضى.[3]..

ومنهم عاشور فقد وافق سيبويه في هذا التوجيه وزاد أنّ سيبويه ذهب أنّ المحذوف من الآية هي النون الأولى لا الثانية، وفي ذلك يقول : وذهب سيبويه أنّ المحذوفة هي الأولى لأنّ الثانية جلبت لتحْمِل الكسرة المناسبة للياء ونون الرفع لا تكون مكسورة ، وأيًّاً ما كان فهذا الحذف مستعمل لقصد التخفيف وعن أبي عمرو بن العلاء : أنّ هذه القراءة لحن ، فإن صحّ ذلك عنه فهو مخطئ في زعمه ، أو أخْطَأ من عزاه إليه.[4]

([1]) الجامع لأحكام القرآن / القرطبي (٢٩/٧) والبيت الذي ذكره القرطبي احتجّ به سيبويه على أنّ حذف النون استخفافا جائز في اللغة العربيّة كما جاءت عليه هذه القراءة ، والبيت :قائله عمرو بن معد يكرب الزبيدي من كلمة له يخاطب فيها امرأته، والثغام نبت له زهر أبيض، وقوله يعل مسكا، أي يدهن بالمسك مرة بعد مرة، من العلل وهو الشرب بعد الشرب الأول، يقال : فلى راسه فلياً بحثه عن القمل ، انظر : خزانة الأدب / البغدادي (٣٦٣/٥)

([2]) لم يعرف الباحث للمكي ترجمة .

([3]) البحر المحيط / أبو حيان (١٧٤/٤)

([4]) التحرير والتنوير / ابن عاشور (٣٢٧/٧)

ومنهم ابن عادل الحنبلي فقد وافق سيبويه وهاجم كل من لحّن هذه القراءة فقال: واعلم أن حَذْفَ النون في هذا النحو جائز فصيح ، ولا يلتفت إلى قَوْلِ مَنْ مَنَعَ من ذلك إلاَّ في ضرورة أو قليل من الكلام ، ولهذا عيبَ على مكي بن أبي طالب حيث قال : " الحذف بِعِيدٌ في العربية قبيح مكروه ، وإنما يجوز في الشعر لِلْوزْنِ ، والقرآن لا يحتمل ذلك فيه إذ لا ضرورة تدعو إليه "

وبالجملة إنّ ما ذهب إليه سيبويه في توجيه هذه القراءة هو الراجح ،بل لم يخالفه أحد من المفسّرين حسب علم الباحث ، والله أعلم .

الخاتمـة والنتـائج

الحمد لله ربّ العالمين ، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين وإمام المتقـين نبينـا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فقد مكثت فترة زمنية ليست قصيرة في رحاب عرضي لجهود سـيبويه فـي التفسير ولا أدّعي أني قد أوفيته حقه كاملاً في إبراز كل الجوانب العلمية ، ولكن بـذلت قصار جهدي في هذا البحث حتى أكملته ليخرج بهذه الصورة التي بـين أيـديكم ، وقـد خرج البحث بعدد من النتائج والتوصيات التي يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً : النتـائج

١. كشف هذا البحث نتائج مهمة لحياة الإمام سيبويه فعرّفت به تعريفاً علمياً واعتنيت بإبراز شخصيته وعصره الذي عاش فيه ، كما عرفت أسماء شيوخه الذين تلقـي منهم العلم وتلاميذه الذين نهلوا منه العلم وبينت الدراسة أن له مكانة مرموقة بـين علماء عصره لبراعته في التفسير اللغوي وغيره.

٢. تفسير سيبويه تفسير لغوي تحليلي متين المعاني قليل الألفاظ غزير الفوائد .

٣. صارت توجيهات سيبويه لآيات القرآن الكريم مرجعاً أساسياً لجميع المفسرين لـم يخل تفسير من توجهاته الفذة القيمة استسقي منه كبار المفسرين .

٤. يتميز الإمام سيبويه بالحرية الواسعة في عرض معاني كتاب الله تعـالى وينتقـد أحياناً أراء المفسرين .

٥. لم يرد عن سيبويه تفسيرٌ كاملٌ للقرآن الكريم وإنما ورد تفسيره لـبعض الآيـات خلال عرضه لبعض المسائل النحوية والشواهد اللغوية في كتابه النحوي مما فاق فيها كثيراً من كبار المفسرين ، وهذه ثروة تفسيريه لا يستهان بها .

ثانياً : التوصيات

١. أُوصِي العناية بالتأليف والتصنيف في جانب مناهج المفسرين ودراسة مصنفاتهم .
٢. ضرورة الاستفادة من حياة الأئمة السابقين من علماء هذه الأمة في تربية الجيل الناشئ .
٣. ضرورة التركيز على التفسير اللغوي ؛ لأنه يربط الأصول بالفروع ويكسب الطلاب مهارة الاستنباط، ويعطيهم القدرة علي الفهم الدقيق ويعيد للشريعة حيويتها وقوتها التشريعية .
٤. ما زالت كنوز عميقة في ثنايا كتب علماء هذه الأمة فتحتاج هذه الكتب إلي إخراج وتحقيق حتى يستفيد منها العالم والباحث والطالب.
٥. أوصي الجامعات الإسلامية أن يتنبهوا إلى مثل هذه الأبحاث لعلها تربط الأمة بتراثها .
٦. ضرورة وضع منهج محدد في دراسة المقارنة بين التفاسير وطريقة كتابته حتى لا يقوم كل باحث بمنهج من عند نفسه وذلك لإتمام فعالية هذه الدراسة.

وفي الختام أحمد الله تعالى على أن وفقني وأعانني على إتمام هذا البحث المتواضع فقد كتبت هذا البحث تحت ظروف قاسية في جو غير هادئ في وقت نزوح أهلي وأسرتي عن منازلهم ومراتعهم فإن كان الصواب حليفي فمن محض فضل الله تعالى المعين وإن كان غير ذلك فمن نفسي ومن الشيطان وحسبي أن بذلت فيه جهداً ما الله به عليم، فأرجو من الله أن يوفقني لتعديل ما جانبه الصواب ضارعاً من الله المولى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن يغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحابته أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الفهـارس العامـــة

- فهـــــرس الآيـــــات
- فهــرس الأحـــــاديث
- فهـــــرس الأعــلام
- فهرس المصادر والمراجــع
- فهـــــرس الموضـــــوعات

فهـرس الآيـــات

اســم الســـورة	رقم الآية	الصفحة
ســـورة الفاتحة		
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	١	41
مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ	٣	١٣٥
ســـورة البقـــرة		
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا	٢٦	١٥١
ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ	٦١	١١١
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ	٦٥	٥٦
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ	٨٥	١٤٨
وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ	١٠٢	٩٧
وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ	١٣٦	٤٥
قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ	١٣٦	٤٥
صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ	١٣٨	٤٥
وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ	١٧١	٨٦
لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ	١٧٧	٩٤
وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ :	٢٢٢	١٣٥
وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا	٢٥٩	١٣٥
وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ	٢٨٠	٧٥
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم	٢٨٢	٩٠
ســـورة آل عمران		
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ	١٥٤	١٢٧

سـورة النسـاء		
وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ	٤	٦٩
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ	٢٩	١٨٤
فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ	٦٥	٥١
وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ	١٥٩	١٣١
لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ	١٦٢	١٣٢
سـورة المائـدة		
وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ	٢	٥٠
وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا	٣٨	١٨١
مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ	٤٨	٣٦
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ	٦٩	١٧٧
سـورة الأنعـام		
ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ :	٢٣	١٨٧
وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ	٢٧	١٥٩
وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ	٨٠	١٩٤
وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	١٠٩	١٦٢
وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١	١٣٧	١٤٨
ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا	١٥٤	١٥٠
سورة الأعراف		
فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ	٧٧	١٥٥

وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ	١٠٨	١٨٧
وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ	١٣٢	٣٢
مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ	١٨٦	١٦٩
سـورة الأنفـال		
وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ	٦٠	٥٦
سورة التوبـة		
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ	٣٠	١٠٩
سـورة يـونس		
فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ	٩٨	١٥٨
سـورة هـود		
لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ	٤٣	٦٠
وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ ...الخ	٧٨	١٥٢
وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ	١١١	١٩٠
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ	١١٦	٦٣
سـورة يوسـف		
إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ : ٤	٤	١٢١
قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ	١٠	١٦٦
سـورة الحجر		
إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ	٩	١٩
سـورة النحل		
لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ	٤٤	١٣

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ	٦٢	٤٩
سـورة طـه		
فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا	٤٤	٥٢
وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ	١١٩	٤١
سـورة الحـج		
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ	١٧	١٧٧
ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ	٤٠	٦٦
سورة النور		
ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا	٢	١١٨
سورة الفرقان		
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا	٢٢	١٠٠
يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا	٢٢	٧١
سـورة النمـل		
وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ	١٢	٨٧
سـورة القصص		
وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ	٨٢	١٠٤
العنكبوت		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٤٢	١٦٦

سـورة السجدة		
تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ	٢	٧٨
أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ	٣	٧٨
سـورة سبا		
وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ	٦	١٧٠
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ	١٠	١٧٠
سـورة يس		
أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم	٣١	١٠٧
وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ	٣٢	١٢٠
ص		
﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾	٦	١٢٤
الزمر		
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ﴾	١٧	١٢٤
سـورة فصلت		
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ	١٧	١٥٧
سـورة الزخـرف		
وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ	١٩	١٣٦
وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ	٥١	٨٠
أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ	٥٢	٩٠

سورة محمد		
أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ	٢٤	٨٠
طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ		١٣١
سورة القمر		
إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ	٤٩	١٣٥
سورة الإنسان		
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا	٢٤	٨٣
سورة عبس		
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ	٣	١٦٤
سورة المطففين		
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ	٢	٣٩
سورة الطارق		
خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ	٦	٦٠
سورة البلد		
لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ	١	٥١

فهـــرس الأحـاديث

رقـــــم	طــرف الحديــث	رقــم الصفحة
١.	أحبوا العرب لثلاث	١٦
٢.	إعراب القرآن أحب إلينا	١٦
٣.	أعربوا القرآن	١٥
٤.	إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف	١٣٩
٥.	جودوا القرآن ولا تخلطوا به	١٦
٦.	من قرأ القرآن فأعربه	١٦
٧.	من قرأ بإعراب كان له من الأجر ضعفان	١٦
٨.	يا ابن أخي الكتاب أخطئوا	١٧٣

فهرس الأعـلام المترجـم لهــم

م	الاســـــم	رقم الصفحة
١.	أبان بن عثمان بن عفان	١٧٣
٢.	احمد بن فارس بن زكريا	٥٥
٣.	احمد بن محمد (بن عجيبة)	٥٣
٤.	إسماعيل بن عبد الرحمن (السدي)	٨١
٥.	إسماعيل بن عمر بن كثير (القرشي)	٥٠
٦.	إسماعيل حقي بن مصطفي (الخلوتي)	١٠١
٧.	بكر بن محمد بن بقية (المازني)	٣٤
٨.	حسن بن عبد الله (السيرافي)	٣
٩.	الحسن بن مسعود (البغوي)	١٠
١٠.	حسين بن عبد الله أبو على (بن سينا)	١٢١
١١.	حسين بن محمد المفضل (الراغب الأصفهاني)	٤٦
١٢.	حفص بن سليمان بن المغيرة	١٤٥
١٣.	حفص بن عمر بن عبد العزيز (الدوري)	١٤٥
١٤.	حمزة بن حبيب بن عمارة (الكوفي)	١٣٤
١٥.	الخليل بن احمد (الفراهيدي)	٢٥
١٦.	سعيد بن جبير	١٣
١٧.	رفيع بن مهران البصري (أبو العالية الرياحي)	١٤
١٨.	زبان بن العلاء البصري (أبو عمرو)	١٤٤
١٩.	سعيد بن مسعدة (الأخفش الأوسط)	٢٥
٢٠.	سفيان بن عيينة بن عمران	٩٢
٢١.	صالح بن إسحاق (الجرمي)	٣١
٢٢.	عاصم بن بهدلة (بن أبي النجود)	١٤٥
٢٣.	عبد الحميد بن عبد المجيد (الأخفش الأكبر)	٢٥

٢٤.	عبد الحق بن غالب (بن عطية)	٦٠
٢٥.	عبد الرحمن بن الكمال (السيوطي)	٣
٢٦.	عبد الرحمن بن على (أبو الفرج بن الجوزي)	١٢٠
٢٧.	عبد الرحمن بن هرمز (الأعرج)	١٧٠
٢٨.	عبد السلام محمد هارون	٢٧
٢٩.	عبد القاهر أبو بكر (الجرجاني)	١٦
٣٠.	عبد الكريم بن هوزان (القشيري)	١٧
٣١.	عبد الله بن حبيب بن ربيعة (السلمي)	١٤
٣٢.	عبد الله بن الحسين (أبو البقاء النحوي)	١٥
٣٣.	عبد الله بن عامر بن يزيد	١٤٨
٣٤.	عبد الله بن محمد بن على (أبو جعفر المنصور)	٢١
٣٥.	عبد الملك بن جريج	١٦
٣٦.	عبد الله بن يوسف (بن هشام الأنصاري)	٧٧
٣٧.	عبد الواحد بن على (أبو الطيب اللغوي)	٣١
٣٨.	عثمان بن سعيد (ورش)	١٤٥
٣٩.	على بن حمزة (الكسائي)	٢٦
٤٠.	على بن محمد بن إبراهيم (الخازن)	٨١
٤١.	على بن محمد بن علي (ابن خروف)	٨٦
٤٢.	عمر بن بحر (الجاحظ)	٣٣
٤٣.	عيسى أبو موسى (قالون)	١٤٥
٤٤.	مالك بن دينار (البصري)	١٧٢
٤٥.	محمد بن عبد الله بن الحسين (الألوسي)	١٠١
٤٦.	محمد الطاهر (بن عاشور)	٨٠
٤٧.	محمد بن الطيب بن محمد القاضي (أبو بكر الباقلاني)	١٤١
٤٨.	محمد بن احمد أبو عبد الله (القرطبي)	١٥

٤٩.	محمد بن احمد (الشربيني)	١٠١
٥٠.	محمد بن السراج (بن السراج النحوي)	٥٤
٥١.	محمد بن المنصور (المهدي)	٢١
٥٢.	محمد بن بهادر (الزركشي)	١١
٥٣.	محمد بن عبد الرحمن (السخاوي)	١٨
٥٤.	محمد بن جرير (الطبري)	٤٥
٥٥.	محمد بن على بن محمد (الشوكاني)	٥٣
٥٦.	محمد بن عمر بن الحسين (فخر الدين الرازي)	٤٦
٥٧.	محمد بن مستنير (قطرب)	٢٥
٥٨.	محمد بن يوسف أبو حيان (الأندلسي)	٣٢
٥٩.	محمود بن عمر (الزمخشري)	١٧
٦٠.	موسى بن مهدي أبو محمد (الهادي)	٢١
٦١.	منصور بن محمد بن مصطفي أبو السعود (السمعاني)	٦٦
٦٢.	نافع بن عبد الرحمن (الليثي)	١٣٥
٦٣.	هارون بن مهدي بن محمد (هارون الرشيد)	٢١
٦٤.	يحكي (البرمكي الوزير)	٢٦
٦٥.	يحي بن زياد بن عبد الله (الفراء)	٥١
٦٦.	يحي بن يعمر أبو سليمان (العدواني)	١٥٠
٦٧.	يعقوب بن إسحاق بن زيد (الحضرمي)	٢٥
٦٨.	يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر)	١٤٠
٦٩.	يونس بن حبيب (الضبي)	٢٥

المصـــادر والمراجـــــع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب التفسير:	
١.	إرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم/ محمد بن محمد أبوالسّعود/ دار إحياء التراث العربي/ بيرون بدون تاريخ.
٢.	البحر المحيط/ أبو حيان الأندلس/ دار الفكر بيروت ١٤٢٠هـ .
٣.	البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبن عجيبة الحسني/ دار الكتب العلمية بيروت/ الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٤.	التحرير والتنوير/ محمد طاهر بن عاشور/ دار النشر دار سحنون للنشر والتوزيع تونس ١٩٩٧م.
٥.	تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم/ نصر بن محمد السمرقندي/ دار الفكر بيروت.
٦.	تفسير السمعاني/ أبو المظفر السمعاني/ دار الوطن الرياض ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.
٧.	تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.
٨.	تفسير المراغي/ أحمد بن مصطفى المراغي/ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ ١٩٤٦ م.
٩.	جامع البيان في تأويل القرآن/ أبو جعفر الطبري / مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
١٠.	الجامع لأحكام القرآن / أبو عبد الله لمحمد بن أحمد القرطبي / دار عالم الكتب ـ الرياض المملكة العربية السعودية .
١١.	روح البيان/ إسماعيل حقي الخلوتي/ دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ.

١٢.	روح المعاني في تفسير القرأن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود الألوسي.
١٣.	زاد المسير/ ابن الجوزي/ المكتب الإسلامي ــ بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤.
١٤.	السراج المنير/ الخطيب الشربيني/ دار الكتب العلميّة بيروت/ بدون تاريخ.
١٥.	فتح التقرير الجامع بين فني الرواية والدراية/ الشوكاني دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع/ الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.
١٦.	الكشاف عن حقائق التنزيل / الزمخشري / دار النشر دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .
١٧.	لباب التأويل في معاني التنزيل/ علاء الدين علي بن محمّد الخازن / دار الفكر بيروت لبنان، ١٤٣٩هـ ١٩٧٩م.
١٨.	اللباب في علوم الكتاب/ عمر بن علي الحنبلي/ دارالكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٩.	المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ عبد الحق بن غالب الأندلسي/ دار الكتب العلمية لبنان/ الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
٢٠.	مدارك التنزيل وحقائق التأويل /أبو البركات عبد الله بن أحمد النسفي/دار الكتب الكلم الطيب– بيروت ،ط١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢١.	معالم التنزيل/ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي/ دار طيبة النشر والتوزيع الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ ١٩٩٧هـ .
٢٢.	مفاتيح الغيب / فخر الدين الرازي / دار النشر دار الكتب العلمية الطبعة الأولى بيروت ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٢٣.	النحو وكتب التفسير/ الدكتور عبد الله إبراهيم رفيدة / الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، الطبعة الأولى ١٩٨٢ .

ثالثــاً: علوم القرآن	
٢٤.	الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي / دار الفكر لبنان الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
٢٥.	البرهان في علوم القرءان/ الزركشي/ الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م دار إحياء الكتب العربية ثم صورته دار المعرفة بلبنان بيروت .
٢٦.	التبيان في إعراب القرآن/ أبو البقاء العكبري/ دار الجيل ــ بيروت لبنان ــ الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٢٧.	تحبير التيسير في القراءات العشر/ ابن الجزري دار النشر دار الفرقان/ الأردن عمان/ الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٢٨.	طيبة النشر/ ابن الجزري/ دار الهدى المدينة المنورّة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.٦١.
٢٩.	المباحث في علوم القرآن/ مناع القطان/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.
٣٠.	المفردات في علوم القرآن/ الرّاغب الأصفهاني/ دار العلم الدّار الشامية/ دمشق بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢.
٣١.	مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمّد عبد العظيم الزّرقاني/ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه الطبعة الثالثة بدون تاريخ .
رابعاً : كتب الحديث:	
٣٢.	صحيح البخاري/ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري / دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٣٣.	فتح الباري بشرح صحيح البخاري/أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة – بيروت ١٣٧٩هـ.
٣٤.	فتح الغيب شرح ألفية الحديث/ السخاوي / الطبعة الأولى نشر دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٣٣هـ ١٩٨٣م .

٣٥.	كنز العمال في سنن الأقوال لأفعال / علاء الدين علي بن حسام مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
٣٦.	مجمع الزوائد و منبع الفوائد/ نور الدين الهيثمي/ دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ.
٣٧.	المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله الحاكم النيسابوري/ المدينة المنورة/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
خامساً: كتب اللغة والنحو	
٣٨.	أبنية الصرف في كتاب سيبويه / للدكتورة خديجة الحديثي/ مكتبة النهضة بغداد الطبعة الأولى ١٩٦٥م .
٣٩.	الأصول في النحو/ ابن السراج النحوي البغدادي/ مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الثانية ١٩٨٨م.
٤٠.	تاج العروس من جواهر القاموس/ محمّد بن محمد الحسيني /دار الهداية بدون تاريخ.
٤١.	دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني/ نشر دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ .
٤٢.	سيبوية والقراءات دراسة تحليلية معيارية / لأحمد مكي الأنصاري/ دار المعارف ١٩٧٢م.
٤٣.	سيبويه إمام النحاة / علي النجدي الناصف/ طبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٧٩م .
٤٤.	سيبويه إمام النحاة / كوكيس عواد/ طبعة المجمع العلمي العراقي الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٩٨م .
٤٥.	سيبويه و القراءات/ الدكتور أحمد مكي الأنصاري / دار المعارف بمصر القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
٤٦.	سيبويه والضرورة الشعرية / إبراهيم حسن إبراهيم ١٩٨٣ .

٤٧.	شواهد كتاب الحيوان/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ /دار الجيل سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م لبنان بيروت .
٤٨.	عبقري من البصرة / للدكتور أحمد المخزوني/ دار الحرية بغداد ١٩٧٢م .
٤٩.	فهارس كتاب سيبويه ودراسة له/ محمد عبد الخالق عضيمة/ مطبعة السعادة بمصر بدون تاريخ .
٥٠.	القياس النحوي في كتاب سيبويه / صالح محمد ١٩٨٩م.
٥١.	الكتاب بين المعيارية والوصفية / الدكتور أحمد سليمان ياقوت/ دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٩م .
٥٢.	كتاب سيبويه قديماً حديثاً / الدكتور جودة مبروك/ ص٤٤ طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ٢٠٠٩م .
٥٣.	كتاب سيبويه وشروحه / الدكتورة خديجة الحديثي/ مطابع دار التضامن ببغداد بدون تاريخ .
٥٤.	لسان العرب/ محمد بن مكرم ابن منظور/ دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.
٥٥.	لمحات من تاريخ النحو العربي بالأندلس في ضوء كتاب سيبويه وشروحه / لمحمد خليفة الدناع/ دار الملتقى ٢٠٠٣م .
٥٦.	المحكم والمحيط الأعظم/أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي /دار الكتب العلمية – بيروت- ٢٠٠٠م.
٥٧.	مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/مكتبة لبنان ناشرون بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م
٥٨.	المزهر في علوم اللغة وأنواعها / السيوطي / دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
٥٩.	المصباح المثير في غريب الشرح الكبير/ أحمد بن محمد الفيومي المكتبة العلمية بيروت.

٦٠.	المعارضة الصريحة للقراءات عند سيبويه / أحمد مكي الأنصاري/ مجلة جامعة القاهرة بالخرطوم العدد٣ ١٩٧٢م .
٦١.	معجم مقاييس اللغة/ ابن فارس / دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٢.	معجم مقاييس اللغة/ احمد بن فارس بن زكريا/ دار الفكر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
٦٣.	مغني اللبيب عن كتب الأعاريب/ ابن هشام الأنصاري/ دار الفكر بيروت الطبعة السادسة ١٩٨٥م.
٦٤.	المفصل في علم العربية / أبو القاسم الزمخشري / مكتبة الهلال بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٦٥.	منهج سيبويه في الاستشهاد بالقرآن / الدكتور سليمان يوسف خاطر / مكتبة الرشد الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .
٦٦.	النواسخ في كتاب سيبويه/ عبد الوهاب سر الختم أحمد (ماجستير جامعة الخرطوم كلية الآداب ١٩٦٧م.
سادساً: كتب التاريخ	
٦٧.	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء/ خير الدين الزركلي/ دار العلم الطبعة ١٥/ ٢٠٠٢م.
٦٨.	الأغاني/ أبو الفرج الأصفهاني/ دار الفكر بيروت الطبعة الثانية بدون تاريخ.
٦٩.	إنباء الغمر بأنباء العمر/ ابن حجر العسقلاني / دار الكتب العلمية لبنان بيرون الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
٧٠.	البداية والنهاية/ إسماعيل بن كثير/ دار الفكر ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
٧١.	بغية الوعاة في طبقات النحويين واللغات / جلال الدين عبد الرحمن السيوطي/ المكتبة العصرية لبنان بدون تاريخ .
٧٢.	تاريخ الإسلام / الذهبي / دار النشر دار الكتاب العربي لبنان بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ـ الطبعة الأولى .

٧٣.	تاريخ قضاة الأندلس / أبو الحسن الماليقي الأندلسي/ دار الأفاق الجديدة بيروت لبنان/ الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ .
٧٤.	تهذيب الكمال/ يوسف بن الزكي أبو الحجاج المزي مؤسسة الرّسالة/ بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
٧٥.	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب/ عبد القادر البغدادي دار الكتب العلمية ١٩٩٨م بيروت.
٧٦.	سير أعلام النبلاء/ مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
٧٧.	شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ ابن عماد الحنبلي/ دار ابن كثير دمشق بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.
٧٨.	الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية/ طاش كبري زاده /دار الكتاب العربي ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ بيروت.
٧٩.	طبقات الشافعية الكبرى/تاج الدين عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي/ط٢، ١٤١٣هـ.
٨٠.	غاية النهاية في طبقات القرّاء/ شمس الدين بن الجزري/ مكتبة ابن تيمية نشر لأول مرّة ١٣٥١هـ.
٨١.	فهرس الفهارس والإثبات/ عبد الحّي الكتاني/ دار العربي الإسلامي بيروت الطبعة الثانية سنة ١٩٨٢م.
٨٢.	وفيات الأعيان / ابن خلكان / مطبعة السعادة بالقاهرة بدون تاريخ .
موقـــــع الإنترنت:	
٨٣.	http://www. Alwarraq. Com
٨٤.	com.www.Islamhouse
٨٥.	http://www.alkashf.net/mthahb

فهـرس الموضـوعات

م	الموضـــــوع	رقــم الصفحة
١	استهلال	أ
٢	إهداء	ب
٣	شكر وتقدير	ج
٤	مستخلص البحث	د
٥	abstract	هـــ
٦	المقدمة	١
٧	التمهيد : معني التفسير لغة واصطلاحاً	١٠
٨	نشأة علم التفسير وتطوره	١٢
٩	أهمية اللغة العربية في فهم القرآن الكريم	١٥
١٠	أهداف النحاة الأوائل	١٧
١١	الفصــل الأول ســـيبويه وكتــابه	
١٢	الحالة السياسية والاجتماعية في عصر سيبويه	٢١
١٣	سيبويه اسمه ولقبه وكنيته ونشأته	٢٣
١٤	شيوخ سيبويه وتلاميذه	٢٥
١٥	صفاته وثناء العلماء عليه	٢٨
١٦	مناظرة سيبويه	٢٨
١٧	رحلاته العلمية	٢٨
١٨	مفارقته بغداد ووفاته	٢٩
١٩	كتاب سيبويه وثناء العلماء عليه	٣١
٢٠	تاريخ تأليف كتاب سيبويه	٣٥
٢١	منهج سيبويه في تفسير الآيات	٣٦
٢٢	منهجه في الاستشهاد بالقرآن الكريم	٤٠

	الفصـل الثـاني فـي مفردات من القـران الكريـم وتفسـيرها عند سـيبويه	
٢٤	أقسام المفردات في القرآن الكريم	٤٤
٢٥	النصوص التي فسرها سيبويه	٤٥
٢٦	صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ	٤٥
٢٧	وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ	٤٩
٢٨	وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ	٥٠
٢٩	فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا	٥٢
٣٠	معني لعل في القران الكريم	٥٢
٣١	وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةٗ خَٰسِـِٔينَ	٥٦
٣٢	علم بمعني عرف في القرآن الكريم	٥٦
٣٣	فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ	٥٨
٣٤	إلا معني لكي في القران الكريم	٥٨
٣٥	لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ	٦٠
٣٦	فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ	٦٣
٣٧	ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ	٦٦
٣٨	وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ	٦٩
٣٩	مفرد بمعني الجمع في القران الكريم	٦٩
٤٠	يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا	٧١
٤٢	مصدر منصوب بفعل محذوف في القران الكريم	٧١
٤٣	وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ	٧٥
٤٤	كان التامة في القران الكريم	٧٥
٤٥	أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ	٧٨

٤٦	(أم المنقطعة في القران الكريم)	٧٨
٤٧	وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ	٨٠
٤٨	فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا	٨٣
٤٩	(أو) التخييرية في القرآن الكريم	٨٤
٥٠	الفصل الثالث تفسير سيبويه لما أشكل حكمه وإعرابه	
٥١	وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ	٨٦
٥٢	معنى التشبيه في هذه الآية	٨٧
٥٤	حذف من الأول للدلالة الثاني وعكسه في القرآن الكريم	٨٧
٥٥	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم	٩٠
٥٦	المقدم الذي معناه التأخير في القرآن الكريم	٩١
٥٧	لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ	٩٤
٥٨	التفسير بتقدير المحذوف في القران الكريم	٩٤
٥٩	خمسة أوجه في تفسير هذه الآية	٩٤
٦٠	وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ	٩٧
٦١	العطف في هذه الآية	٩٧
٦٢	وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا	١٠٠
٦٣	كلام سيبويه في علم التاريخ المنسوخ	١٠١
٦٤	وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ	١٠٤
٦٥	حوار سيبويه لأستاذه في هذه الآية	١٠٤
٦٦	أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم	١٠٧
٦٧	كم الخبرية في القران الكريم	١٠٧
٦٨	وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ	١٠٩
٦٩	معنى الدعاء على الظلمة في القرآن الكريم	١٠٩

٧٠	ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۖ	١١١
	وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا	١١٦
٧١	ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا	١١٨
٧٣	وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ	١٢٠
٧٤	لزوم اللازم في خبر إن المخففة	١٢٠
٧٥	إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ :	١٢١
٧٦	تعبير الجمع الذي لا يعقل بجمع المذكر السالم	١٢١
	وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ	١٢٤
	إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ	١٢٦
	ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ	١٢٧
	وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا	١٢٩
	طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ	١٣١
	وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ	١٣٢
	الفصل الرابع القراءات وتوجيهها عند سيبويه	
٧٨	العلاقة بين التفسير وعلم القراءات	١٣٥
٧٩	التعريف بالقراءات	١٣٧
٨٠	نشأة علم بالقراءات	١٣٨
٨١	الأحرف السبعة	١٣٩
٨٢	أقسام القراءات	١٤٢
٨٣	موقف سيبويه من القراءات	١٤٥
٨٤	دراسة الآيات التي وجهها سيبويه	١٥٠
	ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ ..	١٤٩

٨٥	وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ	١٥٩
٨٦	﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ ...	١٥٤
٨٧	وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ	١٥٦
	وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ..	١٥٨
٨٩	وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	١٦١
٩٠	قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ	١٦٥
٩١	مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ	١٦٨
٩٢	وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ	١٦٩
٩٣	لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ	١٧١
٩٤	إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ	١٧٦
٩٥	وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا	١٨١
٩٦	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ	١٨٤
٩٧	ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ :	١٨٧
٩٨	وَإِنَّ كُلّٗا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمۡ رَبُّكَ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ	١٩٠
٩٩	وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ	١٩٤
١٠٠	الخاتمة و النتائج	١٩٧
١٠١	التوصيات	١٩٨
١٠٢	الفهارس العامة	١٩٩
١٠٣	فهرس الآيات	٢٠٠
١٠٤	فهرس الأحاديث	٢٠٦
١٠٥	فهرس الأعلام	٢٠٧
١٠٦	فهرس المصادر و المراجع	٢١٠
١٠٧	فهرس الموضوعات	٢١٧